

التذكرة في الوصايا

للإمام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي
الجوزي القرشي الملقب بابن الجوزي
٥٠٨ - ٥٧١ هـ

تحقيق
أحمد عبد الوهاب فتيح
عضو مجمع البحوث الإسلامية

دار المعرفة
بيروت - لبنان

التذكيرة في الوعظ

لِلْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ
الْجَوْزِيِّ الْقُرَشِيِّ الْمَلَقَبِ بِابْنِ الْجَوْزِيِّ

"٥٥٧١ - ٥٠٨"

تَحْقِيقُ

أَحْمَدَ عَبْدَ الْوَهَّابِ فَيْتَحَ
عُضْوَ مَجْمَعِ الْبَحْوثِ الْإِسْلَامِيَّةِ

دار المعرفة

بِئَرُوت - لُبْنَانُ

مجلد اول
الطبعة الأولى
الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م



للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing

دار المعرفة

DAR EL-MAREFAH

مستديرة المطار - شارع البرجاي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١ - ٨٣٤٣٣٢ - برقية معرفكار بيروت - لبنان

التَّذَكُّرَةُ فِي الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد: فإنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثم: أما بعد:

فإنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ بَيْنَ إصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يَقْلِبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ يَجْعَلُ

مَنْ يَشَاءُ مُؤْمِنًا طَائِعًا، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ كَافِرًا أَوْ عَاصِيًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ أَسْبَابًا
فَجَعَلَ لِلتَّقْوَى أَسْبَابَهَا، وَلِلْكَفْرِ وَالطُّغْيَانِ أَسْبَابَهُ، وَجَعَلَ مِنْ أَسْبَابِ التَّقْوَى وَرِقَّةَ
الْقُلُوبِ، وَاسْتِمَالَتَهَا، وَجَلَاءَ صَدْنِهَا مَجَالِسِ الْوَعظِ وَرِيَاضِ الْأَنْسِ بِذِكْرِ اللَّهِ،
وَذَكَرِ حَدِيثِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَلَامِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِينَ.

ولما كان من دأب بعض علماء هذه الأمة أن لا يكتفي بالأثر الوقتي للوعظ
ساعة ساعة فسبل وعظه ومجالسه في كتب ليفيد منها من يأتي بعده من هذه
الأمة، وهذا الكتاب الذي نقدمه أفرد مؤلفه - وهو ابن الجوزي رحمه الله،
وسرده سرداً جميلاً يرتق فيه القلوب ويلينها بذكر الله وما نزل من الحق، ويدفعها
إلى فعل ما ينفعها في آخرتها، وترك ما يضرها ويجعلها تؤثر محبة الخالق على
محبة المخلوقين، وتؤثر الخوف من الخالق على الخوف من المخلوقين،
فشكرها لله، وخوفها من الله، وعبادتها لله - عز وجل - متمثلة قول الحق - عز
وجل - : ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وقد سمي ابن الجوزي كتابه بالتذكرة في الوعظ وهو حقاً اسم طابق معنى
مسماه، فهو يذكر قارئه بالفضائل وثوابها وما أعد لفاعليها من رياض وجنات
خالدين فيها ونعم أجر العالمين، والكتاب حافل بالعديد من المأثورات التي
تركها لنا السلف الصالح من كلامهم الطيب الجميل شعره ونثره وبخاصة النثر
الجميل، وكذلك طائفة من أقوال رسول الله ﷺ - الطيبة العطرة، وعدد من
الآيات البينات يستدل بها تارة ويشرح معناها تارة أخرى، والكتاب في الجملة
عبارة عن مجالس وعظ سهلة الأسلوب، شيقة المعنى. تعبر بوضوح عن قدرة
ابن الجوزي الأدبية، وبراعته في ذلك المضممار الذي أتقنه وأتقن غيره من الفنون
والعلوم نقدمها اليوم نسأل الله تعالى أن ينفع بها المسلمين.

ترجمة المؤلف

١ - نسبه :

هو عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن عليّ الجوزي، القرشي، البكري،
الفقيه، الحنبلي، الواعظ، الملقب بابن الجوزي، وكنيته أبو الفرج.

يمتد نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

والجوزي نسبه إلى (فرضة الجوز)، وقيل: نسبة إلى محلة الجوز
بالبصرة.

٢ - مولده ونشأته :

ولد ابن الجوزي سنة ٥١٠، أو ٥٠٨ أو قبلها، وقد نشأ يتيماً فقد مات أبوه
وله ثلاث سنين، وربته عمته وظلت ترعاه صغيراً حتى إذا ترعرع حملته إلى
مسجد أبي الفضل ابن ناصر - وهو خاله - فاعتنى به، وأسمعه الحديث، وحفظ
القرآن الكريم صغيراً، وقرأه على جماعة من القراء بالروايات، وهكذا نشأ ابن
الجوزي منذ نعومة أظفاره على حب العلم والشغف به محباً لطلبه، راغباً في
الاستزادة منه حتى صارت له يد طويلة في جميع الفنون... يقول هو عن نفسه:

« .. فركز في طبعي حب العلم وما زال يوقعني على المهم فالمهم،
ويحملني إلى من يحملني على الأصوب حتى قَوِّمَ أمري ».

٣ - شيوخه :

كان أول من تعلم على يديه ابن الجوزي خاله أبا الفضل ابن ناصر حيث اعتنى به وأسمعه الحديث، ثم تنقل ابن الجوزي بين الشيوخ طالباً للعلم حتى صار له سبعة وثمانون شيخاً منهم :

أ - علي بن عبد الواحد الدِّينَوْرِي .

ب - ابن الحصين

ج - أبو عبد الله البارع

د - أبو الوقت السجزي

هـ - أبو الوفاء ابن عقيل . . . وغيرهم كثير .

٤ - حياته العلمية وثناء الناس عليه :

اتجه ابن الجوزي إلى الوعظ فاشتغل بالوعظ منذ صغره وفاق فيه الأقران، ونشأت له فيه ملكة عجيبة، وبديهة حاضرة، وتاب على يديه آلاف، وحضر مجالسه الخلفاء والوزراء فهو واعظ مجد، وعالم بفنون الوعظ ليس له فيها مثيل .

ولم يقتصر ابن الجوزي على الوعظ وحده وإنما نبغ في كل منه وصار من سادة أهله، ومؤلفاته في كل الفنون تدل على ذلك فهو محدث، فقيه، أصولي، لغوي أديب تتمثل فيه شمولية الثقافة الإسلامية .

قال عنه موفق الدين المقدسي : «كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ، وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة، وكان صاحب فنون، وكان يدرس الفقه ويصنف فيه، وكان حافظاً للحديث وصنف فيه إلا أننا لم نرض تصانيفه في السنة ولا طريقته فيها» .

وقال ابن رجب : «نعم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم ميله إلى التأويل في بعض كلامه واشتد نكيرهم عليه في ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف فيه» .

٥ - وفاته :

توفي - رحمه الله - ليلة الجمعة بين العشاءين من شهر رمضان سنة (٥٧١).

٦ - مصادر ترجمته :

أ - مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ٢٢/٩ .

ب - المنهج الأحمد للعلمي ٣١١ .

ج - سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٦٠/٢١ .

د - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢٤٤/١ .

هـ - أسماء الرجال للطبري ١٠٠ .

و - التذكرة لطاهر الجزائري : ٢/١ .

ز - تذكرة الحفاظ للذهبي ١٣١/٤ .

ح - النجوم الزاهرة لتفري بردي ١٧٤/٦ .

ط - الجامع المختصر لابن الساعي ٦٥/٩ .

ي - الذيل على الروضتين لأبي شامة ٢١ .

ك - طبقات المفسرين للسيوطي ١٧ .

ل - البداية والنهاية ٢٨/١٣ .

م - مرآة الجنان لليافعي ٤٨٩/٣ .

وغيرها من المصادر .

وصف المخطوط

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية (تحت رقم ٣٧ ٢١ - تصوف وأخلاق) عدد أوراقها ١٦٢ - ورقة، مسطرتها ١٤ سطراً، بها خروم قليلة، وهي نسخة نادرة وحيدة، عليها تملكات .

منهج التحقيق

١ - ضبط النص: وقعت بعض الأخطاء في الأصل الخطي فقومناها بالرجوع إلى مظانها في كتب المصنف .

٢ - التعليق على الكتاب: وقد اشتمل على أمور عدة:

أ - تخريج الآيات القرآنية الشريفة .

ب - تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب، وقد اقتصرنا فيما أخرجه الشيخان - أو أحدهما - بالعزو إليه عما سواي الشيخين .

وقد حرصنا على نقل ما قاله العلماء من تصحيح أو تضعيف لتلك الأحاديث .

ج - شرح غريب اللغة .

د - وزن الشعر ونسبته لقائله، وقد أكثر ابن الجوزي من الشعر حتى ليرى

القارئ أنه لا يكاد يتكلم في جزئية ما إلا ويأتي بما يدعم المعنى أو يتضمنه من الشعر.

- ترجمة موضوعات الكتاب ، وقد تركها المؤلف بغير ترجمة .

٣ - فهرست أحاديث الكتاب وآثاره مرتبة هجائياً حسب أطراف الحديث .

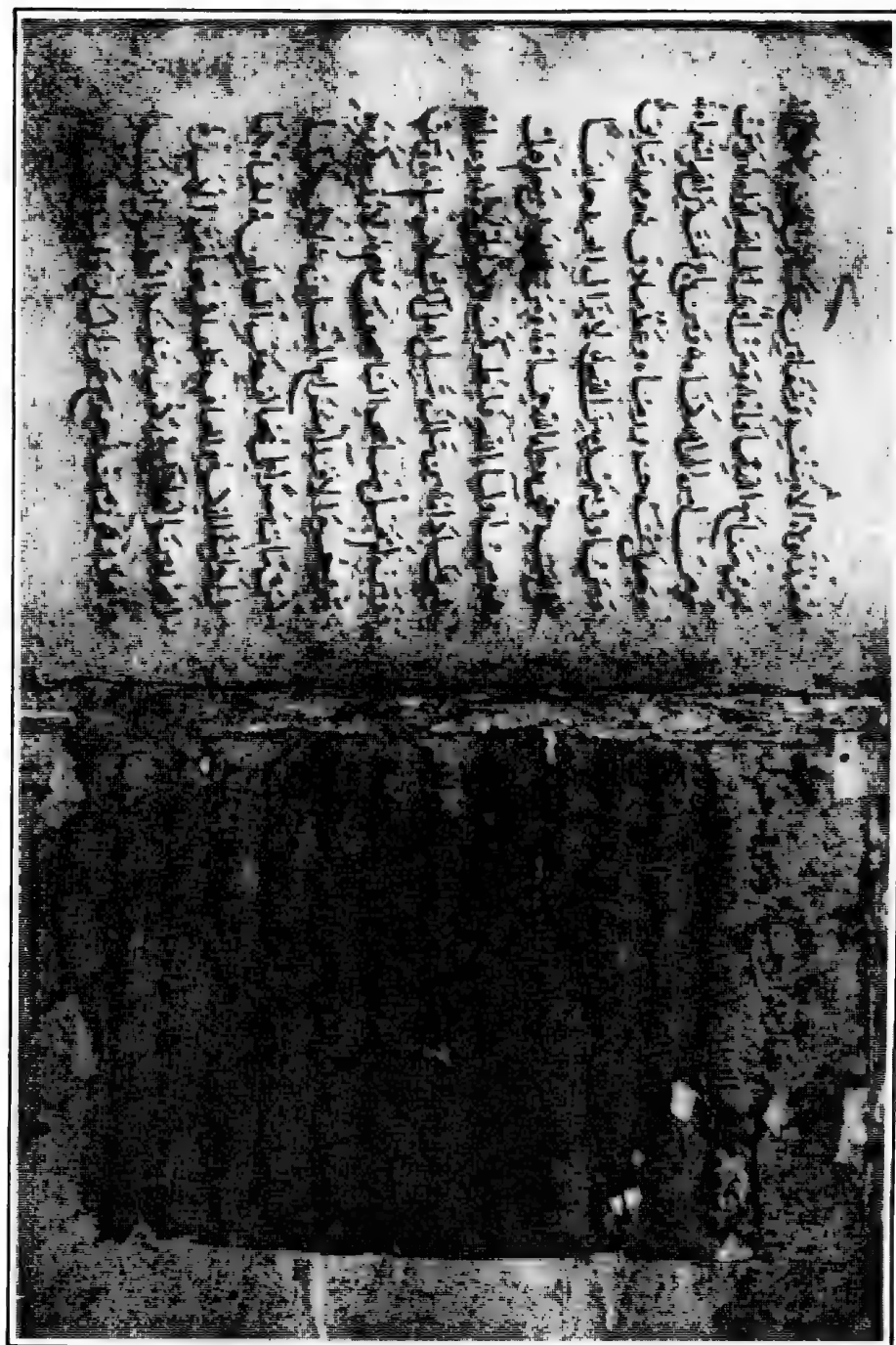
٤ - فهرست الموضوعات .

ونسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين ، وأن يُحْيِي به قلوباً قد أماتها حب الدنيا وكراهية الموت .

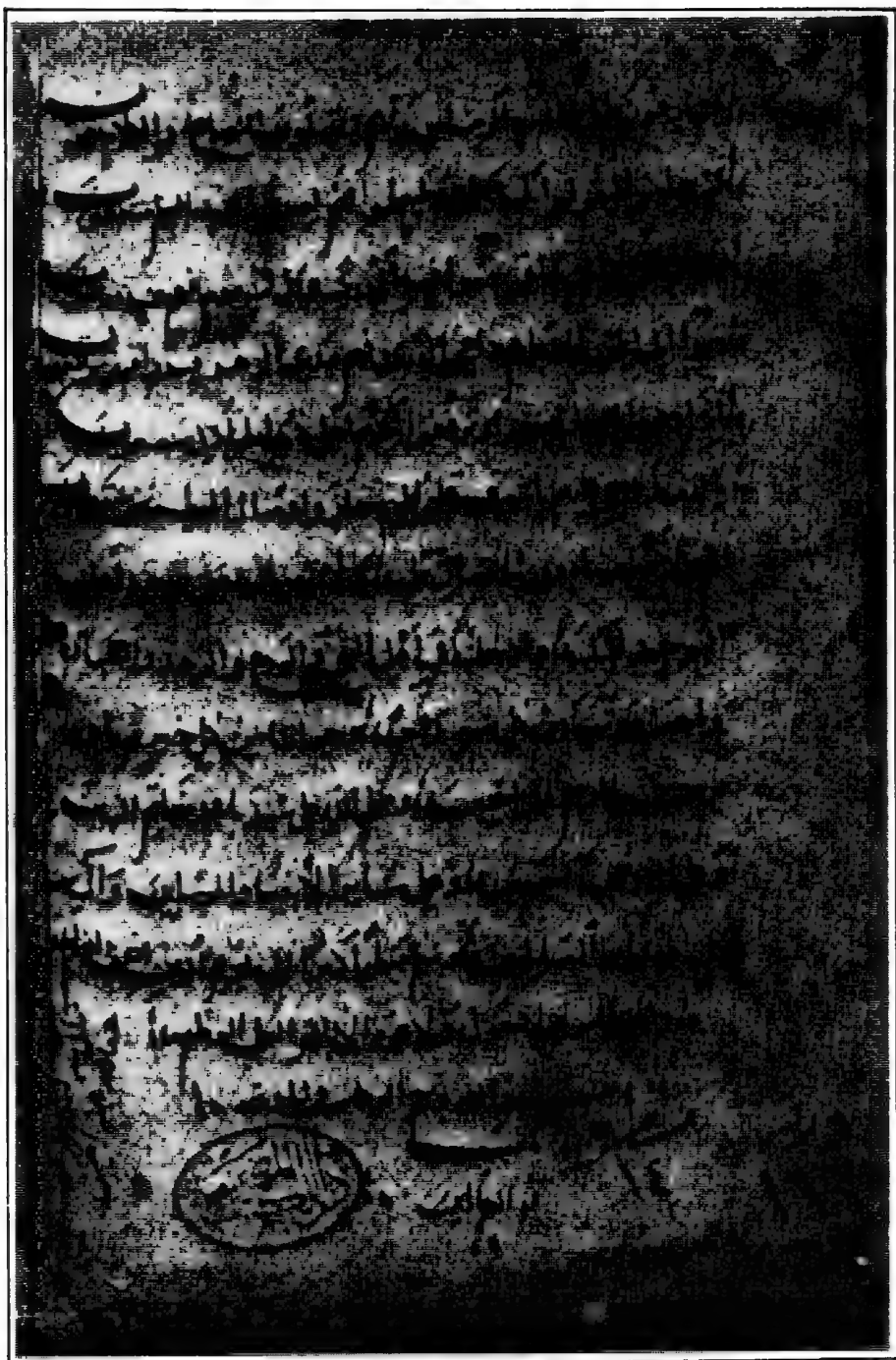
اللهم نجنا من شرور أنفسنا ، واختم لنا بالصالحات إنك سميع ، قريب ، مجيب الدعوات يا رب العالمين .



صورة لوحة العنوان للأصل الخطي



صورة الورقة الأولى من الأصل الخطي



صورة الورقة الأخيرة في الأصل الخطي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

سبحان الله ما تعاقبت الليالي والأيام، والحمد لله عدد الشهور والأعوام،
ولا إله إلا الله الذي لا تتصور عظمته الأوهام.

والله أكبر ذو الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، مدَّهر الدهر، مدبِّر
الأمر، ومقدِّر اليوم، والليلة، والسنة، والنهار، والعالي فوق كل شيء بالسلطان
والقهر والجلال.

كل معبود دون الله باطل، وإنه وحده دون غيره رب الأواخر والأوائل.

كيف يكون غيرَ الله معبودٌ سواه، وكل من تحت عرشه يرجوه ويخشاه؟
أليست الشمس والقمر والنجوم مسخرات؟ أليست السموات والأرض وما فيها
بحكمته مدبرات؟ أليست الهلال بتسخيره على أقطارها دائرات؟ أليست العقول
في فلوات تيه^(١) معرفته حائرات؟

سبحانه سبحانه، ما أعظم شأنه.

سبحانه سبحانه، ما أโดم سلطانه.

(١) « الفلاة » الأرض لا ماء فيها. « التيه » المفازة وهي التي لا علامة فيها يهتدى بها. وتاه: ضل عن الطريق.

عَبْدٌ تَتَوَلَّاهُ إِلَّا هُ بِنَفْسِهِ وَسَقَاهُ مِنْ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ مَا فِيهَا
من صفا مع الله صافاه، ومن أوى إلى الله آواه، ومن فوض أمره إلى الله
كفاه، ومن باع نفسه من الله اشتراه، وجعل ثمنه جنة ورضاه .

وعظاً (*) صادق، وعهد سابق، ﴿ ومن أوفى بعهده من الله ﴾ (١) .

لا يزال العبد خائفاً على نفسه حتى يدخله الله حماءه، ومن أراد أن يعلم
هل هو من أولياء الله؟ فلينظر كيف ولاه لمن أولاه، وعداؤه لمن عاداه؟
من سلك سبيل أهل السلامة سلم، ومن لم يقبل مناصحة
الناصحين ندم .

لا رزية كرزية (٢) من حرم الاقتداء بشرائع المسلمين .

لا بلية كبلية من مات مصرّاً على مخالفة رب العالمين .

الحياة كلها في إدامة الذكر، والعافية كلها في موافقة الأمر، والنجاة من
الهلاك في ركوب سفينة الكتاب والسنة، والفوز فوز من زحزح عن النار وأدخل
الجنة .

ليس الميت من خرجت روحه من جنبه، وإنما الميت من لا يفقه ماذا لربه
من الحقوق عليه .

الكرامة كرامة التقوى، والعز عز الطاعة، والأنس أنس الإحسان، والوحشة
وحشة الإساءة، وكل مصيبة لا يكون الله عنك فيها معرضاً فهي نعمة .

الغفلة عن الله ما قدحنا شيء غيره، ولولا الجهل بعظمة الله ما زعنا عن
أمره، ولولا الاغترار بحكم الله ما أصررنا على معصيته، ولولا الإساءة فيما بيننا

(*) ولعل الصحيح : وعدٌ - وهذا ما يقتضيه السياق .

(١) سورة التوبة . الآية : ١١١ .

(٢) « الرزية » : المصيبة .

وبين الله ما استوحشنا من كتابه .

كونوا كما أمركم الله ، يكن لكم كما وعدكم .

أجيبوا الله إذا دعاكم ، يجبكم إذا دعوتهم .

اعطوا الله ما طلبه من طاعته ، يعطكم من رحمته ما طلبتموه .

مثل العبادة بغير إخلاص ، مثل الحَدَقَةِ بلا ناظر .

تسمية الله في ابتداء كل أمر ، نجاح ذلك الأمر^(١) .

استهداء الله في كل مسلك أمان للسائر من الضلال .

أيها الناس : من أكرم على الله منكم لو أكرمتهم أنفسكم بالتقوى ، من أولى بالله منكم لو أحكمتم فيما بينكم وبينه عقد الولاء ، من أقرب إلى الله منكم لو آثرتم القرب على النوى .

لو عرف الإنسان قدر نفسه مادسأها^(٢) بمعصية الله ، ولا دنس عرضه بسوء ثناء الحفظة عليه في حضرة مولاه .

ولا يؤنس في وحشة القبر إلا العمل الصالح ، ولا يطفئ لهب النار إلا نور الإيمان ، ولا يثبت القدم على الصراط إلا الاستقامة في السلوك .

الرب خالق ، والعبد مخلوق ، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق إلا بواسطة الارتباط عليه بالعمل بكتابه الذي أنزله عليه فاعملوا بالكتاب ، وتابعوا السنة ، تتخلصوا من العذاب وتحصلوا على الجنة .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١) عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر أو قال أقطع » . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه .

(٢) « دسأها » حقر نفسه بالكفر والمعاصي وأوردها موارد الهلكة .

المجلس الأول

نعم الله تستوجب شكره

الحمد لله الذي أيسر نعمه ما يستوجب شكر الشاكرين، وقطرة من بحار كرمه تعم جميع العالمين، تُملأ القلوب فرحاً بالموهبة اليسيرة من هباته، وتحير القلوب دهشاً بالآية اللطيفة من بدائع آياته.

قتل ملك^(١) الأرض كلها ببعوضة دخلت أنفه، وأغرق الذي قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾^(٢) بقطرة أوردته حتفه، وهل أغرق فرعون من تيار ذلك الماء إلا قطرة حالت بينه وبين شم الهواء.

يجوع الملك العظيم من ملوك الأرض ساعة، ثم يلقى كسرة فتملاً قلبه سروراً.

ويتلي الأسد الضاري بذباب يسقط على عينه، فيظل في قبضته أسيراً.
ويسلط الحية الصغيرة على الفيل العظيم، فيخر منجداً^(٣) عقيراً.

(١) يقال إنه النمرود الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه وكان ملك الأرض.

(٢) سورة النازعات الآية: ٢٤

(٣) «منجداً»: منكسراً.

﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً
قديراً ﴾ (١).

* * *

إذا اكتنفتك عظامُ الأمور	ولم تر منها عليها مُجيراً
وصيرك الهمُّ في قبضةٍ من	النَّايَاتِ (٢) أسيراً حسيراً (٣)
هنالك فارحُ الكريم الذي	يُصِيرُ كلَّ عسيرٍ يسيراً
عليّاً كبيراً عليماً قديراً	لطيفاً خبيراً سميعاً بصيراً
هو المُنْشِئُ الخلق من قبضته	فعبداً شكوراً وعبداً كفوراً
وعبداً سعيداً وعبداً غنياً	وعبداً شقيّاً وعبداً فقيراً
له الفضلُ والعدلُ في حُكمه	فَطَوْرًا حَبوراً وَطَوْرًا ثَبوراً

* * *

لولا الخالق لم يكن المخلوق شيئاً مذكوراً، ولولا الرازق لم يملك
المرزوق فتيلاً (٤) ولا فقيراً (٥). كم من نعمة قد أنعم الله بها علينا، وكم من
حسنة قد ساقها الله إلينا: عافانا في أدياننا من الكفر، وفي أبداننا من الضر،
وأخرجنا من أصلاب آبائنا مسلمين، وأنشأنا بين إخوان مؤمنين، وجعل لساننا
الذي نتكلم به من أفصح الألسنة لهجة، وطريقنا الذي نسلك به إليه من أوضح
الطرق محجة.

(١) سورة فاطر الآية: ٤٤

(٢) « النايات » : مصائب الدهر.

(٣) « حسيراً » : مأذياً.

(٤) « فتيلاً » : الفتيل: التافه من الأشياء. وأيضاً ما بين شقي النواة.

(٥) « فقيراً » : النقرة في ظهر النواة.

فبأي شكر نقابل نِعْمَهُ علينا، وبأي جزاء نكافىء إحسانه إلينا.
سبحانه، سبحانه.

ما قام أحد من خلقه بحقيقة شكره، ولا أثنى عليه مُثْنٍ من عباده كما أثنى
هو نفسه، ولا قَدَّرَه مخلوق حق قدره، لأن ذلك كله موقوف على المعرفة به،
وهي بحر ما بلغ أحد إلى قعره.

سبحانه، سبحانه.

ما أسبغ أنعمه، وأعدل أحكامه.

لو أننا شكرنا كما في وسعنا لأوسعنا مزيداً، ولو اتخذناه كما ينبغي له رباً
لاصطفانا لنفسه عبداً، ولكننا لِكِشَافَةِ الحجاب وقفنا مع الأسباب.

كم مُدَّعٍ للتوحيد وهو مشرك بربه، وكم قائل أنا عبد الله وهو عبد بطنه،
يعصي ربه في إطاعة نفسه، ويبيع رضوان الله برضا مخلوق مثله.

كم بين متبع للهوى - هوى نفسه - قد اتخذ إلهه هواه.

وبين ممثل أمر ربه يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله.

أما يستحي المدعي لمحبة الخالق، أن يكون محباً لمخلوق أحسن منه في
معاملة الحبيب أدباً؟ وأصح منه في دعوى المحبة نسباً؟

روى مجنون ليلى بعد موته في المنام، ف قيل له: ما فعل الله بك؟ فقال:
غفر لي، وقال لي: إذهب، فقد جعلتك حجة على كل من ادعى محبتي.

* * *

أَهْلُونَا لِيَوْصِلَهُمْ ثُمَّ صَدُّوا لِيَرَوْا صَبَرْنَا فَمَا إِنَّ صَبَرْنَا
ثُمَّ جَاؤُوا بِالْقُرْبِ بَعْدَ بُعَادٍ لِيَرَوْا شَكَرْنَا فَمَا إِنَّ شَكَرْنَا
عَذَرُونَا فِي كُلِّ شَيْءٍ سِوَى السُّلُوِّ عَنْهُمْ فَإِنَّا مَا عَذَرْنَا

لو عرفنا حَيِّينَا ما سَلَوْنَا ولكن قدره ما قدرنا
لو سَعِدْنَا بوَصْلِهِ ما شَقِينَا لو غُنِينَا بفضله ما افتقرنا
لو رُوِينَا من حَبِّهِ ما ظَمِينَا لو سَلَكْنَا في طريقه ما عَثَرْنَا
هو نعم الحبيب لكننا بُئِيسٌ^(١) المَجْبُونُ لم نُطع إذا أَمَرْنَا
شَعْرَةً من حَنَانٍ ما قَرَبْنَا لِي لَمَّةً في مرضاته ما سَمِرْنَا
لو ذَكَّرْنَا ما كان منه وَمِنَّا لَخَزِينَا لكننا ما ذَكَّرْنَا

* * *

الزهد في الدنيا وطلب الآخرة

ينبغي للعبد المؤمن بربه إذا نظر إلى زهرة الدنيا، فدعته إلى نفسها،
برونقها بهيج، أن يقول لها بلسان الحال: إليك عني يا سريعة الزوال! إنما
تصلحين للتشويق إلى دار ليس لساكنها عنها انتقال، أنت خزف فانٍ، وتلك
جوهر باقٍ، فلتفرق بين الدارين عقول الرجال.

* * *

خَلَّ عَنْ مَنَزَلِ الزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ وَيَمَّمْ نَحْوَ الْجَنَابِ الْعَالِي
مَنْزَلُ الْكَرَامَةِ وَالْأَنْسِ وَالْبَرْئِ وَنَيْلِ الْمَنَى وَنَيْلِ النَّوَالِ
تِلْكَ وَاللَّهِ دَارُ قَوْمٍ شَرَوْهَا بِنَفْسِ النَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ
حِينَ رُفَّتْ إِلَيْهِمْ خَطْبُوهَا ثُمَّ سَاقُوا لَهَا الْمُهُورَ الْغَوَالِي
قَاتَلُوا دُونَ خَدْرِهَا فِي هَوَاهَا بِصَفَاحٍ^(٢) بِيضٍ شَرَّ غَوَالِي
ثُمَّ حَامُوا عَنْهَا وَحَامُوا عَلَيْهَا بَرُودِ الْأَوْجَالِ وَالْأَجَالِ^(٣)

(١) « بُئِيسٌ » : تصغير بئس .

(٢) « بَصْفَاحٍ » : بسيوف .

(٣) « الْأَوْجَالِ » الرجل : الخوف . والأجل : التهيج .

فامتطوا عزم معشرٍ رغبوا في أن يحلوا ساميات المعالي
سادة قادة حماة كماء محبّ مزلّ فحول ورجال
لبسوا للردى دروع اضطبار ولقوه بعزّة الأبطال
خشية أن يفوتهم ما رجوة من جناب المهيمن المتعال
لم يزالوا في السير حتى أناخوا^(١) بمحل الإكرام والإجلال
مقعد الصدق في جناب مليك ذي اقتدار وعزة وجلال

* * *

صفات الفائزين

أين خطّاب هذه العرائس؟ أين طلاب هذه النفائس؟ هم الذين مدحهم الله في محكم القرآن، في أول سورة المؤمنون^(٢)، وآخر سورة الفرقان^(٣). تلك والله صفات الفائزين بالرضوان، الخالدين في نعيم الجنان، الحائزين زغائب البر ومواهب الإحسان.

اللهم بما أنعمت عليهم، فارزقنا ما رزقتهم في الدنيا، من طاعتك وذكرك، وفي الآخرة من نعيم جنتك، ولذة النظر إلى وجهك، وألحقنا بهم، وأدخلنا فيهم، واجعلنا منهم، ولا تجعل نصيبنا منك ما عجلته لنا من مواهب الدنيا، بل ادخر لنا عندك ما ادخرته لأهل سلامة العقبي. واجعل الآخرة خير لنا من الأولى، وإذا أقررت أهل الدنيا بالدنيا، فأقر أعيننا بموجبات المغفرة والرحمة والرضا.

يا من عاد يمنع ركنه العائدون، سبحانك، ما أعظم شأنك.
يا من دعت الملبون - سبحانك ما أعظم شأنك - يا من مدّ إليهم أكفهم السائلون - سبحانك ما أعظم شأنك، يا من تقوم السماء، والأرض بأمره - يا من ينقاد الصعب الذلول بحكمه، يا من يفرق المحسن، والمثني من عدله - يا من

(١) «أناخوا» أناخ الجمل: أي أبركه فبرك: استراحوا.

(٢) يقصد قول الله تعالى: قد أفلح المؤمنون... الآيات (١ - ١١).

(٣) يقصد الآيات: وعباد الرحمن... الآيات (٦٣ - ٧٧).

يفتقر الغني ، والفقر إلى رزقك سبحانه ما أعظم شأنك - يا من خضعت الأعناق لعزته ، يا من توجهت الوجوه إلى قبلته ، يا من اعترفت الخليقة بربوبيته ، سبحانه ما أعظم شأنك ، يا من له ما في السماوات والأرض كل له قانتون ، يا من دعا إلى حج بيته على لسان خليله فلباه في الأصلاب الملبون يا من ~~طعكف~~ على باب فضله العاكفون . إليه بالدعاء والسؤال يجأرون ، وبرحمته في الدنيا والآخرة يتعرضون ومن مخالفة أمره يستغفرون ، وبأذial عفوه يتمسكون . سبحانه ما أعظم شأنك .

سبحانك ، ما أوضح برهانك .

سبحانك ، ما أقدم سلطانك .

سبحانك ، ما أوسع غفرانك .

سبحت لك السموات وأملاكها ، والنجوم وأفلاكها ، والأرض وسكانها ، والبحار وحيتانها ، والسادات وعبيدها ، والأمطار ورعودها ، والملوك ومماليكها ، والجيوش ومعاركها ، والديار وأطلالها ، والأسود وأشبالها .
كل معترف . .

فإنك لفطرته خالق ، ولفاقته رازق ، وبناصيته آخذ ، وبعفوك من عقابك عائد ، وبرضاك من سخطك لائذ ، إلا الذين حقَّت عليهم كلمة العذاب ، فالقضاء فيهم نافذ .

* * *

يا مالكا هو بالنواصي آخذ	وقضاؤه في كل شيء نافذ
أنا عائد بك يا كريم ولم يخب	عبد بعزك مستجير عائد
أرجوك يا سؤلي فتحيا مهجتي	والخوف من عملي لكبدي فائد
إن لآذ غيري بالأنام وظلمهم	فأنا الذي بظليل ظلك لائد
فامن علي بتوبة يُمحأ بها	ذنْب فظهري في القيامة قائد

* * *

مجالس الذكر ولحظات القرب وساعات الغفران

في مثل هذه الساعة يرجى الغفران، ويتوقع الإحسان، ويطلب من صاحب الأمر الأمان.

لو كشف عن الأبصار حوايك الانتشار، لعاينتهم الرحمة، تنزل في هذا الوقت كالأمطار الغزار.

كم لله في مجالس الذكر من عينٍ محرمة على النار، كم قد وضع فيها عن الظهور من ثقل الأوزار، وتنفجر فيها ينابيع الرحمة، ويتوفر فيها على الحاضرين من النعمة، ويعطى كل سائل ما سأل، ومبلغ كل آملٍ ما أمله، من كرم ذي الجلال والإكرام، ومواهب من له الفضل والإنعام، الذي لا يتعاضم ذنبٌ غفره لجانيه، ولا فضل وهبه لسائله. فأحضروا في هذه الساعة قلوبكم، واغسلوا بمياه التوبة ذنوبكم، واستغفروا ربكم فإنه يغفر ذنوب المستغفرين، واعتذروا إليه من تقصيركم، فإنه يقبل عذر المعتذرين، واستنصروه على من بغى عليكم، فما أسرع نصرته إلى المنتصرين.

من كان مقيد الجوارح عن محارم الله فهو رأس الخائفين.

ومن كان لا يسكن بقلبه إلى شيء سوى الله فهو سلطان العارفين، فارغبوا في القرب من الله.

لله دُرُّ أقوامٍ عكفوا بقلوبهم عليه، وتقرَّبوا بذبح نفوسهم إليه، لا يسعون في محبته عذل العاذلين، ولا يعتذرون بالإنفاق في سبيله ينحل النحالين.

أبغضوا كل من سواه ليكون منهم دانياً، وخرجوا من كل شيء ليدخلوا إليه، وظعنوا^(١) عن كل شيء ليقدموا عليه، وهجروا كل حبيب في طلب وصاله، وأعرضوا عن كل قريب طمعاً في إقباله.

(١) ظعنوا أي: ساروا ورحلوا من مكان إلى آخر. اهـ. اللسان.

فلو قيل لهم: من معبودكم؟ لقالوا: الله. ولو سئلوا: ما مقصودكم؟ لقالوا: الله. فالله سبحانه هو معبودهم الذي يعبدونه، ومقصودهم الذي لا يستقرون دونه.

* * *

لرَبِّي عِبَادٌ وَحِدُهُ يَعْبُدُونَهُ	يرومونه لا يستقرون دونه
هُوَ السَّنْدُ الْأَقْوَى اسْتَنْدُوا بِهِ	هو القَصْدُ الْأَقْصَى الذي يقصدونه
إِذَا اعْتَمَدَ الْمَضْطَّرُّ فِي الْخُطْبِ ^(١) غَيْرَهُ	فليس لهم إلا هو يعتمدونه
إِذَا حَسَدَ النَّاسُ الْمُلُوكَ بِمُلْكِهِمْ	فليس لهم في الناس من يحسدونه
لأنهم حَلُّوا ضَمَائِرَ مَالِكٍ	فمهما أرادوا عنده يجدونه
مَحَبَّتَهُ الْقُوَّةَ الَّذِي يَقْتَدُونَهُ	وتوحيده الورد ^(٢) الذي يردونه
مَتَى فَاتَهُمْ مِنْ وَضْلِهِ قَدْرُ ذَرَّةٍ	فبالروح زال القدر الذي يفتدونه
لهذا اصطفاهم للعبادة دون من	سواهم فهم طوال المدى يعبدونه
تَوَلَّاهُمْ دُونَ الْوَرَى ^(٣) فَوَلَّاهُ	طراز ^(٤) على ثوب التقى يرتدونه

* * *

دعاء وثناء وابتهاال

هذه ساعة رفيعة القدر، منيرة الفجر، قد أثنينا فيها على الله بالأبد، وجلونا فيها محاسن آلائه.

والرب سبحانه قد أشرقت علينا أنوار قربه، على القلوب، ورجونا من سعة عفوه غفران الذنوب.

فمدّوا أيديكم لنستقي سحب رحمته الممطرة، ونستكسى من رضوانه

(١) «الخطب»: الأمر.

(٢) الورد: الماء المورود ويطلق أيضاً على الإبل الواردة.

(٣) «الورى»: العباد.

(٤) طراز: أي الرسوم التي تكون على الثوب.

الحلل الفاخرة.

ومن كان منكم لبعض إخوانه المؤمنين مصارماً، فليكن من الآن على مواصلته عازماً.

ومن كان مصرّاً على مكروه، فليقلع عنه.

ومن كان قد أصاب ذنباً فليتب إلى الله.

ومن كان مشاحناً لجاره، فليقصد حسن الجوار، فلا حق بعد حق القرابة أعظم من حق الجار.

وقولوا بقلوب حاضرة، خاشعة، إلى كرم الله طامحة، في نيل رضاه طامعة: يا حيّ يا قيّوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا أرحم الراحمين، يا كثير الخير، يا دائم المعروف، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصيه غيره أحداً.

يا محسن، يا مجمل، يا منعم، يا مفضل: نسألك مما كتبت على نفسك من الرحمة، ومما في خزائن فيضك، ومكنون غيبك، أن تُضَاعِفَ صلواتك على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسائر عبادك الصالحين.

اللهم اعتقنا من رق الذنوب، وخلصنا من أَشْرٍ^(١) النفوس، وأذهب عنا وحشة الإساءة، وطهرنا من دنس الذنوب، وباعد بيننا وبين الخطايا، وأجرنا من الشيطان الرجيم.

اللهم طيِّبنا للقائك، وأهّلنا لولائك، وأدخلنا في المرحومين، وألحقنا بالصالحين، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وتلاوة كتابك، واجعلنا من حزبك المفلحين، وأيدنا بجندك المنصورين، وأرزقنا مرافقة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

(١) أَشْرَ بفتح الهمزة والشين المعجمة أي البطر وهو أشد الكبر. اللسان.

اللهم اغفر لنا ما مضى من ذنوبنا، واحفظنا فيما بقي من أعمارنا، وكلما
عُدنا بالمعصية فُعد علينا بالتوبة منها.

وإذا ثقلت علينا الطاعة فهوّنْها علينا، وذكّرنا إذا نسينا، وبصّرنا إذا عمينا،
وأشركنا في صالح دعاء المؤمنين، وأشركهم في صالح دعائنا، برحمتك يا أرحم
الراحمين.

لخالقنا الحمد على ما مَنَّ به من الفضل وأنعم، وله الحمد عدد ما أسبغ
على خلقه من النعم، وله الحمد كما يستوجبه على جميع الأمم، وله الحمد كما
أثنى على نفسه في القدم. وله الحمد كما أجراه على ألسنة حامديه، وألهمهم
حمداً تضيق عنه الآفاق، ولا تسعه السبع الطباق، كما يحب ويرتضي، ينقضي
الليل والنهار ولا ينقضي، لا تحصى السفرة الكرام، ولا تفنيه الليالي والأيام.

وكيف لا نحمد خالقنا الذي لم يشاركه في خلقه أحد، ورازقنا الذي لو
عددنا نعمه لم يحصرها العدد.

كنا أمواتاً فأحيانا، وفقراء فأغنانا، وهو الذي أطعمنا وأسقانا، وكفانا وآوانا،
وأرسل إلينا رسولاً، وأنزل علينا قرآنًا، وأجرى على جوارحنا طاعة، وكتب في
قلوبنا إيماناً.

فله الحمد على ما أولانا، إن رحمنا أو عذّبنا، وإن أسعدنا أو أشقانا.

* * *

المتقون محبوبون في الدنيا فائزون في الآخرة

- السلطان العادل وجنده: يحاربون الأعداء، ويفتحون الأمصار، ويغنمون
الأموال، فيكون ذلك لهم لذة في دنياهم ومثوبة في آخرهم^(١).

- والعلماء الذين يعلمون الناس علوم الدين: فهم في الدنيا بين الناس مكرمون،

(١) روى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه
ويتقى به فإن أمر بتقوى الله عز وجل وعدل كان له بذلك أجر وإن يأمر بغيره كان عليه منه».

وفي الآخرة على هداية الخلق إلى الله مأجورون^(١).

- والمؤدبون أولادهم بالآداب الحسنة، والعلوم النافعة: فالوالد يُحسُّ حال ولده، فهو أبيض الوجه، قرير العين في الدنيا، رفيع المنزلة، عظيم المثوبة في الآخرة.

- والمعامل للناس بالصحة والسلامة في مجاورتهم ومعاشرتهم: فهو في الدنيا أبيض الوجه، وفي الآخرة عظيم الأجر.

- والموسع على عياله من صالح كسبه: فهو مسرور لحسن حالهم في الدنيا، ومأجور على إحسانه إليهم في الآخرة.

- والمتقربون إلى الله تعالى بقربان الأضاحي، وسائر ما فيه النفع المتعدي: فهم لا يزالون يسمعون الناس حسن الثناء، مع ما ادخر الله لهم من حسن الجزاء.

- والزاهد العابد، الذي قد أقبل على ربه، وأعرض عن شهوات نفسه: فهو في الدنيا حبيب القلوب والأرواح، وفي الآخرة مبعوث في زمرة أهل الفوز والصلاح.

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

طوبى لعبد إذا أحسن إليه ربه حمد وشكر، وإذا أساء إلى نفسه تاب واستغفر.

كلما قضى عليه بمعصية اغتم وحزن، وكلما وفق لطاعة فرح واستبشر.

* * *

(١) روى أحمد في مسنده عن أبي أمامة الباهلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أربع تجري عليهم أجورهم بعد الموت رجل مات مرابطاً في سبيل الله ورجل علم علماً فأجره يجري عليه ما عمل به - وفي رواية. ومن عمل علماً أجرى له مثل ما علم - ورجل أجرى صدقة فأجرها يجري عليه ما جرت عليه ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له».

يا مَنْ بغيرِ رِضاه لا أُستبشر
حُزنى على ما فات منك مُلابسي
وإذا اغتذى قلبٌ بطيبِ مطاعم
وإذا تقربَ ناسكٌ بضحية
يا مالِك الرِّقِّ الذي لغيرك
مالي هجرت ولم أزل بك عائداً
وكُسرت بالإعراض منك ولم يزل
إن كنت تُعطي السائلين لفقرهم
أو كان بالجُرم الكبير جَرَمَتِي^(١)
مثلي يُسامح بالذنوب لأنني
هَبْنِي آتَيْتُكَ بالجرائم كلها

أُترى بِقُربى من جنابك أظفُر
أُغْدو بها بين الورى أُنَبِّخْتُر^(٢)
فَغِذاء قلبي أنه لك يذكر
فضحيَّتِي أنى لنفسي أنحر
حقاً على كل الموالى المفخر
إنى إذاً عن الوصال وأهجر
قلب الكسير بباب جُودك يُجبر
فلأنا إلى حذواك منهم أفقر
فأنا الشهيد بأن عفوك أكبر
من أن تؤاخِذ فيّ أذل وأحقر
أنت الذي كل الجرائم تغفر

* * *

مقارنة بين حال الغافلين والمستيقظين

لك الغافلين من الحمقى والشباب، في لبس مبغضات الثياب، وتناول ألوان الطعام والشراب، واللهو بين الرياض والأنهار مع الأخدان^(٣) والأتراب.

ولك المستيقظين في إنفاق الأعمال الصالحة لإحراز الثواب، والاهتمام بأمر العاقبة لكريم المآب، وإنقاذ نفوسهم من سوء الحساب، وأليم العذاب، والفوز بمفاز ذي حدائق وأعنان، وكواعب أتراب، ولذة العارفين فيما يقربهم من جناب العزيز الوهاب. لا تهتمون بما تحت العرش وما فوق التراب، لأن ذلك كله مخلوق والاهتمام بالخالق أوجب عند أولى الألباب.

(١) اتبختر: أزهو وأفتخر.

(٢) «جرمتي»: الجرم: الذنب.

(٣) «الأخدان»: الخدن الصديق.

إذا أعجبتك الدنيا برونق رائقها، فاجعلها سبباً للشوق إلى رياض الجنة
وحدائقها. وإذا بهرتك الجنة بنعوت ذرايبها ونمازقها، فاجعلها حادياً تحذوك إلى
جناب خالقها.

* * *

رؤيا عن الجنة ونعيمها

رأيت يوم الجمعة في المنام، ونحن في انتظار الصلاة، قائلاً يقول:
إنما يصلح العبد لحضرة الله، بعد أن يجعله في الجنة، بين حورها
وولدانها وسائر نعيمها، ثم تراه غير ملتفت إلى شيء من ذلك، فحينئذ يرسل
جبريل فيدعوه إلى الحضرة.

لعمري إن جنة عدن عظيمة القدر، ولكن حضرة الله أعظم ما فيها.

وجنة الفردوس لذیذة الوقع، ولكن ألد منها النظر إلى وجه بانيها.

كما لا يُشبه الله تعالى شيء من خلقه، كذلك لا يستغني عنه شيء من
رزقه، قدر هذا الكلام فوق همة القائل والسامع، وما منّا إلا من هو في نيل هذا
الأمر طامع، فنعوذ بالله أن يكون طمعنا غروراً، ونسأله ألا تكون حقيقة الزيادة
في حقنا زوراً.

لولا رجاء كريم، وعدل، ما طمعنا أن نزور، لكن وعدت وليس وعدك
زوراً. نستغفر الله العظيم.

طريق الخشية والتعظيم، طريق مأمون العثار سليم، فعظّموا الله العظيم،
بمبلغ ما تبلغه عقولكم وأفهامكم.

وأطيعوه بقدر ما تحتمله قلوبكم وأجسامكم.

واسألوه أن يجعل نعمه عليكم عوناً على طاعته، وبلاغاً إلى جنته، وباعشاً على محبته وسابقاً إلى ما أعدّه لأوليائه في دار كرامته.

وأشركوا الأرامل والأيتام في ما تصطفونه لأولادكم من شهّي الطعام.

وأحسنوا مجاورة الجيران، ومصاحبة الإخوان.

واملأوا أوقاتكم طاعات وقرباً، ولا تتخذوا دينكم لهواً ولعباً.

واعلموا أن سرور المؤمنين يوم يعبرون القناطر، ويأمنون المعائر، فذلك يوم عيدهم، وطالع شعورهم.

وما داموا في دار الغرور فلا غبطة ولا سرور، وأي سرور لمن الموت معقود بناصيته، والذنوب راسخة في آنيته، والنفس تقوده إلى هواها، والدنيا تتزين في عينه بمشتهاها، والشيطان مُستبطنٌ فقار ظهره، لا يفتر عن الوسوسة في صدره، ونفسه، وماله، بعرضه الحوادث، لا يدري في كل نفس ما عليه حادث.

ومن ورائه المغير، ومساءلة منكر ونكير، ويوسد التراب إلى يوم النشور، والقيام في يوم، لا يبلغ وصف أهواله، ولا شرح أحواله، ما لا يسع المؤمن به أن يستقر له قرار، ولا يخلد إلى هذه الدار، ولا يكون له هم في هذه الدنيا، إلا التقرب بأنواع القرب، واجتناب الفواحش والريب، وإقامة الدين الذي في إقامته النجاة، وفي تضييعه العطب.

* * *

المجلس الثاني

أربع من المهلكات

إخواني :

سبح المسبحون بحمد الله اللطيف الخبير، ما بلغوا من تعظيمه مثقال ذرة .
واجتهد العارفون في العلم بصفات العلي الكبير، ولم يشربوا من بحر
معرفته مكيال قطرة .

وشمّر المجتهدون في طلب القرب من جناب العزيز الحكيم، ثم ماتوا
وفي قلوبهم من القرب حسرة .

وكيف تدرك عظمة من لا يحاط به علماً، أم كيف يُتناسى القرب من جناب
من ليس لارتفاعه منتها، ولا وراءه مرمى .

إلنه انتظمت الأمور بتدبيره، وتقدرت العلوم بتقديره، ومهد بساط المكان
لأجسام العالمين وطاً، ومدّ رواق الزمان بحركات العالمين وعاءً، وصرفه فصولاً
مختلفة الطبائع : ربيعاً، وخريفاً، وصيفاً، وشتاء .

أربعة أعمال قطعت أعناق الرجال :

- أولاً : الكفر -

- أولها : الكفر ! وهو قسمان :

كفر الشك : كفر فرعون، حين قال : ﴿ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي

لَأُظَنَّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١﴾.

وكفر السخط: كفر إبليس، حين قال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتِ عَلَيَّ﴾ (٢).

وجميع أقسام الكفر مشتقة من هذين القسمين.

وكفر السخط بليته أعظم البليتين، لأن الشاك قد يؤمن إذا اتضح اليقين.

وأما الساخط فعلى بصيرة كَفَر بربِّ العالمين.

- ثانياً: البدعة

- ثانيها: البدعة! وهي قسمان:

مكفرة، ومضللة. فمن سلم منهما فقد سلم له إسلامه وهداه، ومن ابتلى بإحدهما فقد حاد عن طريق الإسلام أو تاه عن سبيل النجاة.

- ثالثاً: الغفلة

- ثالثها: الغفلة عند ذكر الله! فإن المعصية إلى الغافل أسرع من انحدار الصخرة إلى المكان السافل.

- رابعاً: حب الدنيا

- ورابعها: حب الدنيا! فإن مثل المحب لها، ولو كابد العبادة، كمثّل ناشر الأرز، يرفع رجلاً ويضع أخرى ومن مكانه لا يبرح.

وكذلك الذي شغل بحب الدنيا قلبه، وبالعبادة جوارحه، تراه طول عمره يتقرب إلى الله بظواهره، ويبعد عنه بقلبه.

* * *

(١) سورة القصص. الآية: ٣٨.

(٢) سورة الاسراء. الآية: ٦٢.

أنت الأميرُ على الدُّنيا بزُهدك في حُطامها وطريق الحق مُسلوك
وأنتَ عبدٌ لها ما دُمتَ تعشقُها إن المُحبَّ لمن يَهواه مَمْلوك

* * *

زاد المحبين إلى رب العالمين

المُحبُّون لله قوم شغلهم حبه عن حب من سواه، فهم في قبضة محبته
أسراء، وعلى كل من دونه أمراء.

إذا علت أصوات العباد، إذ غلت أسعار الأقوات، وجدوا من ذكره قوتاً
غازياً، وإذا مرضت أمزجة أبدانهم صادفوا من كتابه دواء شافياً.

وإذا خافت السبل سلكوا إليه طريقاً أميناً، وإذا انقطعت الأسباب أمسكوا
من يقينهم حبلاً متيناً، واشوقاه إليهم، بل والهفاه عليهم.

* * *

لا تحسبوا أن عنكم صبرٌ فا لطف باكٍ وقلبي حشوهُ جمر
وقد بُليت بما لا أَشتهي العُمر با لله ارحموا عَبرتي^(١) قد مسنى الضَّرر

* * *

التضرع بالدعاء عند نزول البلاء

لو أن بنا حياة لأحسننا بما نحن فيه من جهد البلاء.

ولو أحسننا ببلائنا لانقطعت أصواتنا من الدعاء، وفرحت أجفأؤنا من
البكاء، ولكننا طردنا، فما أحدٌ على نفسه حزيناً، ونمنا ملء عيوننا، وضحكنا ملء
أفواهنا، كأن لم يأكل الكلب لنا عجيناً.

(١) العبرة: تحلبُ الدمع.

وكان من الواجب على قوم حرموا لذة منجاة الله ، وطرّدوا عن مجالس أولياء الله ، أن يحثوا على رءوسهم التراب ، ويخرجوا إلى الصعيد يَحَارُونَ ، ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

فابكوا على أنفسكم بكاءً طويلاً ، ولا تقيّلوا ميلاد العباد ، فما اتخذها عاقلاً مقيلاً .

* * *

تَبَتَّلْتُ (٢) رُوحِي لَكُمْ فِي الْحُبِّ تَبَّ
 حَتَّى أَصِيرَ بُعِيدَ الطَّرْدِ مَقْبُولاً بِاللَّهِ عَلَيْكُمْ اِسْمَعُونِي نَعَمْ لَمْ تَسْمَعُونِي لَا

* * *

الْأَمْنُ وَالسَّلَامُ فِي جَنَابِ اللَّهِ وَالْخَوْفُ وَالذَّلُّ فِي الْبَعْدِ عَنْهُ
 مَنْ لَمْ يَعْتِزْ بِطَاعَةِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ ذَلِيلاً ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِكِتَابِ اللَّهِ لَمْ يَزَلْ عَلِيلاً .

وَمَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ بِالْاِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ ، فَهُوَ الدَّهْرُ فَقِيراً .
 وَمَنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ بِالْعُبُودِيَةِ لِلَّهِ ، فَهُوَ لِكُلِّ شَيْءٍ عَبْدٌ ، وَفِي قَبْضَةِ اللَّهِ كُلِّ أَسِيرٍ .

وَمَنْ لَمْ يَتَرَسَّ بِتَرَسِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ ، أَصَابَهُ كُلُّ رَامٍ .
 وَمَنْ لَمْ يَحْتَمِ بِحِمَايَةِ اللَّهِ ، لَمْ يَحْمِهِ سِوَاهُ حَامٍ .

* * *

(١) سورة الأنعام . الآية ٤٣ .

(٢) « التَّبَتُّلُ » : الانقطاع عن الدنيا إلى المحبوب .

جَفَنِي القَرِيحَ عَلَيْكُمْ وَاقَعُ دَامِي والماء من سحب عيني هَامِعٌ هَامِي^(١)
وَمُذْ هَجَرْتُمْ وَكُنْتُمْ عِزِّي السَّامِي غَشَانِي الذَّلْ من خلفي وَقَدَّامِي

* * *

هذا جزاء من دُعي إلى العزيز الغفار، فما أجاب الداعي .
وندب إلى السعي في فكاك رقبتك من أسر النفس والشيطان فقصرت به
المساعي .

- الله يحيي القلوب الميتة بذكره كما يحيي الأرض بغيته -

سبحان من بهرت عظمته عقول العارفين .

سبحان من زهرت أنواره لبصائر السالكين .

سبحان من ظهرت بدائعه لنواظر المتأملين .

انظر إلى آثار رحمة الله، كيف يحيي الأرض بعد موتها، وملبسها قبل ليل
بهجتها، بعد سلبها وفوتها .

كذلك ينظر إلى القلوب الميتة فيحييها، وإلى المهج الصادية فيرونها .

ينظر الله سبحانه إلى الأرض كل سنة في آخر فصل الشتاء، وقد لقيت من
شدة البرد جهد البلاء، فعزيت أشجارها، وخرست أطيوارها، وهمد حسيها،
وأوحشت آنيته، وعبست مباسمها، ودرست مراسمها، فيتداركها البر الرحيم
بالطافه، فإذا هي قد اخضر يابستها، وأفتر عابسها، وطفحت أنهارها، وصدحت
أطيوارها، وهب نسيمها الراكد، وحيي رميمها الهامد . فاصغ أيها اللبيب تسمع
الفهم والفكرة، إلى ما تقوله الناشئات بلسان العبرة، فإنها تقول بلسان الحال :

(١) «هامع هامي» : دامع ناضب .

سبحوا بحمد الكبير المتعال، واستدلوا بقدرته على إحياء الأرض الموات، إنه قادر على إخراج الأموات بعد الشتات.

* * *

يا مُعرضاً عن عَرَضه وحِسابه	لا يستعد ليوم نَشْر كتابه
مُتعلِّلاً بِعياله وبماله	مُتلَهِّياً في أهله وصحابه
مُتناسياً لِمماته وضريحه	ونشوره ووقوفه ومآبه
القول قول مصدق والفع	ل فعل مُكذَّب بشوابه وعقابه
من قال قولاً ثم خالف قو	له بِفعاله فِفَعَاله أولى به

* * *

باب

برد العزيمة يؤثر في الأعمال والنيات، كما يؤثر برد الشتاء في ناضر النبات.

يلفح البرد مخضر الشجر فيصير يابساً، ويسقع مفتر الزهر فيعود عابساً..

فكذلك برد العزيمة، يجعل العامل عاطلاً، والنابه خاملاً.

فإن لم يكن بدٌّ من الفتور عن طلب الخيرات، فاضعف عن السيئات ضعفك عن الحسنات.

- حفظ رأس المال مقدم على الربح -

* * *

إذا فَاتَكَ الريح الذي كُنْتَ ساعياً لإحرازه حتى تُثمر مالك

فَكُنْ مُحَرِّزاً مِنْ رَأْسِ مَالِكَ أَصْلَهُ لَعَلَّكَ تَنْجُو لَا عَلَيْكَ وَلَا لَكَ

* * *

بَابُ

لَوْلَا التَّفْرِيطُ فِي حِفْظِ الْأَصُولِ، لَكَانَ لِكُلِّ سَاعٍ إِلَى النِّجَاةِ وَصُولٌ، وَلِكُلِّ
وَاقِفٍ عَلَى الْبَابِ دُخُولٌ.

وَإِنَّمَا الْوَصُولُ إِحْكَامُ الْعَمَلِ، بِأَحْكَامِ الْعِلْمِ الْمُنْقُولِ، مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِي
كِتَابِهِ وَشَرَعَهُ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ.

شَرِيعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَفِينَةٌ مَأْمُونَةٌ، مِنْ اعْتَصَمَ بِرُكُوبِهَا نَجَا، وَمَحَجَّةٌ مِنْ
سَلَكَ طَرِيقَهَا وَصَلَ إِلَى نَيْلِ الْمُنَى، لِأَنَّهُ ﷺ مُؤَيَّدٌ بِالْعَصْمَةِ فَمَا يَنْطِقُ عَنْ
الْهَوَى.

* * *

شَرَعُ الرِّسُولِ سَفِينَةٌ مَأْمُونَةٌ	مِنْ يَعْتَصِمُ بِرُكُوبِهَا يَوْمًا نَجَا
وَمَحَجَّةٌ لِّلسَّالِكِينَ فَمَنْ يَسِرْ فِيهِ	هِيَ عَلَى نَهْجِ الْهُدَى بَلَّغَ الْمُنَى
شَمْسُ الظُّهَيْرَةِ فِي نَهَارٍ صَائِفٍ ^(١)	مِنْ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا فَقَدْ اهْتَدَى
هَذَا وَاللَّهُ مَقَامُ الْفُحُولِ الْأَبْطَالِ	وَمِنَالُ أَصْحَابِ الْهَمِّ الْعَوَالِي
قَوْمٌ سَمَتْ بِهِمُ الْعَوَارِفُ وَالنَّهْيُ	أَنْ يَرْغَبُوا فِي كُلِّ فَاِنٍ قَالِي ^(٢)
قَوْمٌ أَبَتْ بِهِمُ الْمَفَاخِرُ وَالْعُلَى	أَنْ يَشْتَرُوا غَيْرَ النَّفِيسِ الْغَالِي
لَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْمُعْجَلَّ ^(٣) هَهُنَا	كَدَّرَ الْمَشَارِبَ مُؤَذِّنُ بَزْوَالِي

(١) صَائِفٌ: حَارٌّ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ.

(٢) «قَالِي» الْقِيلَى: الْبَغْضُ.

(٣) «الْمُعْجَلُ» الْعَاجِلُ ضِدُّ الْأَجَلِ.

ورأوا نعيم الخلد حظ نفوسهم والحظ لا يخلو من الإللال
كنز متى ظفرت به كف أمرى لم يخطر الإملاق منها ببال

* * *

يا طلاب الجنة أقبلوا

إن جناب الجنة رفيع، وملكها كبير، ولكن جناب الله أرفع وأكبر.
وسلمنا أن بهجة الفردوس بهية باهرة، ولكن بهجة حضرة الله أبهى
وأبهر.

ما سمت همم العارفين عن طلب الجنة، جهلاً بما فيها من نعيم النفوس
والقلوب، ولكن رأوا أن نعيم الحضرة أحب إليهم من كل محبوب.
يا طالب الخير: احذر أن يشغلك قلبك عن كبيرة.

يا خائف الشر: لا يلهك صغيره عن كبيره.

اسمُ بهمتك إلى المعالي، ونافس في كل نفيس غالي، ولكن احذر أن
تقول أنا لا أرغب في جنة النعيم، ولا أرهب من عذاب الجحيم، وأنت ممن إذا
أقبلت عليه الدنيا ظل فرحاً مسروراً، وإذا أدبرت عنه أسف ودعا هنا ثوراً.

* * *

ما أَقْبَحَ الدَّعْوَى من المُدَّعَى يعرف هذا كل قلب يَعِي
أليس يكفي المُدَّعَى أنه في نسب الصُّدُق زَنِيم^(١) دَعَى

* * *

(١) «زَنِيم» الزنيم الذي يعرف بلؤمه كما تعرف الشاة بزئمتها. أي القطع في أذننها.

أنت تنظر إلى رونق زهر الربيع وبهجته، وتصغي إلى ترجيع صوت العندليب ونغمته، فيلهيك ذلك عن ذكر مولاك، وتستحوذ به عليك دنياك، حتى تنسى أخراك. فكيف بك لو تبرجت لك حورية مما نعت الله في كتابه؟ أو سعى عليك بعض الولدان المخلدين بأباريقه وأكوابه؟ إذا لطار قلبك، وطاش لُبُّك. إنما الشغل بالله عما سواه مرتبة العارفين، فأما من لم يبلغ شأنهم فالأولى به مقام الخائفين.

نستغفر الله . . ما أعز جناب الله، ما أظهر حضرة الله .

نستغفر الله . . نحن قوم ضعفاء خلق الله، إنما تحل أنفسنا بحيث أحكمنا الله .

عسى الله الذي أخرج الورق من الشجر اليابس، أن ينقلنا عن الأحوال المبغوضة إلى أحوال رضية، ويبدلنا بهم الدنيا الدنية همماً عليّة، فطالما أغاث المجدبين عندما قحطوا، وأنزل الغيث من بعد ما قنطوا.

يا معشر الشباب: هذا زمان ربيعكم، فإين زهر علومكم؟

يا معشر الكهول: هذا أوان خريفكم فإين ثمر أعمالكم؟

يا من قد عاش في الإسلام برهة من الزمان، في سماع الحديث النبوي والقرآن: أين آثار ذلك في أعمالكم وأحوالكم؟

هذه أرض حرث آخرتك هامدة، ما اهتزت بالأعمال الصالحة ولا ربت.

هذه سيوف عزمك كلما ضربت في جهاد النفس والشيطان نبت.

إذا كان البلد طيباً خرج نباته بإذن ربه، وإذا جنت لا تخرج إلا نكداً.

يا مكروباً لم ينفس من كربته، يا مصراً على ذنبه قد حال الشيطان بين التوبة وبين قلبه! إصرخ إلى الله صراخ من قد ييس عوده، وهُزمت جنوده، وقل بلسان الذكر في الانكسار: يا وهَّاب النعم الغزار، يا فائق الحب والنوى يا

منشئ الأجساد بعد البلى ، يا مؤوي المنقطعين إليه يا كافي المتوكلين عليه . .
انقطع الرجاء إلا منك ، وخابت الظنون إلا فيك ، وضعف الاعتماد إلا عليك ،
ووهن الاستناد إلا إليك .

نسألك بالرحمة التي كتبتها على نفسك ، وبالكرامة التي أخفيتها لأوليائك ،
أن تمطر محل قلوبنا سحائب برك وإحسانك ، وأن توفقنا في كل حال لموجبات
رحمتك ، وعزائم غفرانك ، إنك جواد كريم ، غفور رحيم .

* * *

المجلس الثالث

من فضائل القرآن

الحمد لله على نِعَمِهِ التي لا تحصى، وأياديه التي لا تستقصى .

فالحمد والشكر لمن أنعم، أكرمنا بكتاب جلابه عن الأبصار العمى، وأخرج به الأسماع من الصمم، وأنقذ به النفوس من الردى، وشفى به القلوب من السقم، وخصنا بنبيٍّ بعثه إلى الأحمر والأسود، واصطفاه على العرب والعجم، وفضّله على كل ملك في حضرته معرب، وكل نبي برسالته مكرم .

أنزل عليه كتاباً، ضمن لقارئه بكل حرف عشر حسنات، إلى مائة حسنة، فإن تدبره فالأمر أجل وأعظم .

القرآن: دليل لا يضل في السلوك من تابعه، وناصر لا يخشى الخذلان من شائعه ومشيره، لا يخطيء الصواب من طاعه .

أهل القرآن: أئمة بهم اقتدى أهل السلوك إلى رضا الجبار، وبهم تخلص من نجا من نار .

* * *

خُزَانُ وحي الله لم يُرَ غيرهم أهلاً لحفظ كلامه المختار
لكنّ عَلَيْهِم أن يَقُومُوا بالذي فيه من المشروع للأبرار

صدق وإخلاص وحسن عبادة وقيام ليل مع صيام نهار
وتورع وتزهد وتعفف وتشبه بخلائق الأخيار
وديانة وصيانة وأمانة وتجنب لخلائق الأشرار
وأداء فرض واجتناب محارم وإدامة الحمد والأذكار
يا حَامِلَ القرآن إن تك هكذا فلك الهنى بفوز عقى الدار
ومتى أضعت حُدوده لم تنتفع بحرُوفه وسكنت دار بَوار

* * *

العالم حذر والعارف متيقظ

على قدر قرب العبد من الله يكون حظّه، وكلما توفّر نصيب العالم من العلم اشتد حذره.

ومن عرف مكر الله بأعدائه لم يغتر بطول الحلم، فإن العواقب عنا مغنيات، وسهام الأقضية إلينا مصوبات.

وما فعلوا لنا إلا أحسن الظن بكرم الله، وقوة الاعتماد عليه.

إن رحمتنا الله بفضله، وإن عذبنا فبعده، حسابنا عليه، وإنابتنا إليه.

فأحسنوا بالله الظنون والآمال، واحلموا إليه بالأعمال، فإنه لا يخيب آمال الآملين، ولا يضيع أجر العاملين.

هو الحى لا إله إلا هو، فادعوه مخلصين له الدين.

الحمد لله رب العالمين.

لا إله إلا الله . . توحيداً يبين عقائد المشركين.

لا إله إلا الله . . تنزيهاً يناقض دعاوى المبطلين.

لا إله إلا الله . . إقراراً بما أنكرته عقول الجاحدين .

لا إله إلا الله . . إيقاناً لا يشوبه تردد الشاكِّين .

لا إله إلا الله . . الملك الحق المبين .

لا إله إلا الله . . إسلام من قال له ربه : أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين .

لا إله إلا الله شهادة أرجو بها مجاورة الرب الكريم ، في جنات النعيم ،
مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين .
تقدَّست أسماؤك . . يا من أنزل علينا كبراً .

تعالى جدك . . يا من لم يتخذ في سلطانه مشيراً .

أنت الذي قدرت سير الشمس والقمر في منازل فصول السنة تقديرًا ،
وجعلت مواقيت الصلاة مؤقتة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً .
فطوبى لعبد أقمته في خدمتك ، آناء الليل وأطراف النهار ، راکعاً ،
وساجداً ، وحامداً ، وشكوراً .

سبحان مقل عثرات المذنبين .

سبحان غافر خطايا المستغفرين .

سبحان من جعل الزمان أوقاتاً ، تقبل فيها توبات التائبين ، وتقضي فيها
حوائج السائلين .

فانتبه أيها العبد الفقير الضعيف ، واغتنم شرف هذا الوقت الشريف ، فكم
لله في مثل هذه الساعة من نعمة أسداها ، وحاجة لعبد مضطر قضاها .

* * *

أَيَّا رَاقِدٍ اللَّيْلِ انْتَبَهْ مِنْ رُقَادِكَ	وَكُنْ مَعَ سُؤْلِكَ الْمَحَبَّةَ سَالِكًا
فَهَذَا زَمَانُ الْبَذْلِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى	فَقُمْ وَاسْأَلِ الْخَيْرَاتِ تَعْطِ سُؤْلَكَ
أَيَّا نَاسِيًا عَهْدَ الْمَحَبَّةِ قَاطِعًا	حِبَالَ حَبِيبٍ وَاصِلٍ لِجِبَالِكَ
إِلَى كَمْ صَدُودًا وَاجْتِنَابًا وَجَفْوَةً	تَعَالِ نُجَدِّدْ عَهْدَنَا مِنْ وَصَالِكَ
أَمَّا أَنْ تَشْتِاقَ قَرَبَ مِزَارِنَا	كَمَا نَحْنُ مُشْتَاقُونَ قَرَبَ مِزَارِكَ
تَنَاسَيْتُنَا حَتَّى نَسِيتَ عُهْدُونَا	لَكِنَّا لَمْ نَنْسَ عَهْدَ وَدَادِكَ
كَأَنَّكَ لَمْ تُذَنْبْ إِذَا جِئْتَ تَائِبًا	فَتُبْ نَعْفُو عَمَّا كَانَ مِنْ سُوءِ حَالِكَ

* * *

تنبيه الغافلين إلى جنة رب العالمين

انتهاز فرصة الزمان، قبل تعذر الإمكان، قبل أن تنقل من اسم ما زال إلى خبر كان^(١)، فما كل حين ممكن الفوز بالمنى، ولا كل وقت يرفع الحجب للعبد.

إِذَا بَاعَدْتُكَ الرِّيحُ فَادْفَعْ شِرَاعَهَا	فَيُوشِكُ أَنْ تَأْتِيَ الْعَوَاقِبُ بِالْحَمْدِ
فَمَا حَازِمٌ مِنْ لَمْ يُبَادِرْ إِلَى الْعُلَا	وَلَا نَافِسٌ مِنْ لَمْ يُنَافِسْ عَلَى الْمَجْدِ

* * *

هذه سوق المعاملة قائمة، فأين طلاب الأرباح.

هذه مقصورات الخيام بارزة، فأين خطّاب الملاح.

لو أن حوراً طلعت إلى الدنيا لملاؤها نوراً وعطراً..

فهل إلى مقارنة هذا القرين الصالح مرتاح.

كيف ينفرع لخطبة الحور، من هو مخلص إلى دار الغرور، إن هجرته الدنيا

فهو محرور، وإن وصلته فهو مسرور، قد خدعته أباطيل المنى، وغره بالله الغرور.

* * *

أيها الرّافل ^(١) في ثوب الغرور	أيها الغافل عن يوم النّشور
أين ما قدّمت للقبر الذي	سوف فيه تُثوى ^(٢) ما بين القبور
أين ما قدّمت للْحشْر الذي	فيه تدعو بثُبور وحبور ^(٣)
أين ما قدّمت للمولى الذي	هو عدلٌ في قضاء لا يُجور
احذر الغفلة عنه فهي من	أقتل الدّاء ومن شر الشُّرور

* * *

اللهم لا تجعلنا عن ذكرك غافلين، ولا عن أمرك زائفين، وأدخلنا في عبادك الذين اصطفيتهم لوراثته كتابك، وأنظمنّا في سلك من أهله لولائك، واغفر لنا بفضلك مغفرة عزماً، لا نخاف بعدها ظلماً ولا هضماً.

اللهم يا من أفاض خلع الإيمان على المؤمنين، ويا من ملأ من عطائه أكف السائلين، ارزقنا إيماناً تخالط بشاشته القلوب، وهب لنا عطاء غير ممنون ولا محسوب.

اللهم يا جواد يا كريم، يا عزيز يا وهّاب، إهد إلى حضرة الحبيب محمد صلاتنا، وسلامنا، أفضل ما هداه المحبوب إلى حضرة الأحباب.

* * *

(١) «الرافل» رفل في ثيابه به أطالها وجّرها متبخراً.

(٢) «تثوى» الثواء الإقامة.

(٣) «الحبور» السرور.

عليك صلاةُ الله ثم سَلامُهُ سلامٌ على الأيامِ باقٍ دوامه
وَجَاذَاكَ اللهُ عَنَا أَفْضَلَ مَا جَزَى نِيًّا يَفْرُقُ الْفَرْقَدَيْنِ^(١) مقامه
فَأَنْتَ شَفِيعُ الْمُذْنِبِينَ إِذَا زَكَا سَعِيرٌ جَحِيمٌ لَا يُطَاقُ ضَرَامُهُ^(٢)
بجَاهِكَ عِنْدَ اللهِ كُنْ لِي شَافِعًا إِلَى صَاحِبِ الْجُودِ الْمَهُونِ غَرَامُهُ
فَلَا زِلْتَ مِنْ فَضْلِ الْكَرِيمِ مَنْعَمًا بِقَرَبِ مُحَلٍّ لَا يَنَالُ مَرَامُهُ

* * *

الطريق إلى الله

إن بين العبد وبين ربه مسافة، لا تقطع إلا بقطع العلائق، ورفض
العوائق.

وعلى مرآة القلب صدأ، لا يجلوه إلا نسيان الخلق في جنب ذكر الخالق.

فمن أراد أن يصل إلى ربه، فليتفرغ لمواصلة السرى.

ومن آثر جلاء مرآة قلبه، فليتناسى ذكر الورى.

كيف يصل إلى الله من لا يسير، وهو في قبضة العوائق أسير.

الأمر كله في حرفين:

- أحدهما: الإعراض عما سوى الله.

- والآخر: الإقبال عليه.

فمن لم ينقطع عما سواه، لم يمله الاتصال به، ولا الوصول إليه.

* * *

(١) الفرقدين: نجمان قريان من القطب.

(٢) «الضرام» اللهب.

يا حسرة الغافل واللاهي	لا كان ما يُلهي عن الله
أطرح الدنيا وأشغالها	لا كان ما يُلهي عن الله
ولا تقل أهلي ولا عشيرتي	لا كان ما يُلهي عن الله
ولا تقل ولدي ولا زوجتي	لا كان ما يُلهي عن الله
ولا تقل داري ولا ضيعتي	لا كان ما يُلهي عن الله
ولا تقل أرضي ولا مولدي	لا كان ما يُلهي عن الله
ولا تقل طبعي ولا عاذتي	لا كان ما يُلهي عن الله
ولا تقل مالي ولا قنيتي ^(١)	لا كان ما يُلهي عن الله
الله يُغني عن سواه	وسواه لا يُغني عن الله

* * *

الصحة والفراغ

كم بين الفارغ والمشغول؟ كم بين الصحيح والمعلول؟

ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد، وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»^(٢)، نظير الصحة: قرينها، وكذلك الشغل نظير السقم وقرينه.

ففرغ إلى الله قلبك، فنعم بالله بالاً، وواصل إلى الله مسيرك، تنل من الله وصلاً.

* * *

(١) «قنيتي» القنية: العطية والأملاك.

(٢) أخرجه البخاري في الرقاق عن ابن عباس وأخرجه أيضاً الترمذي في الزهد وابن ماجه فيه والدارمي في الرقاق وأحمد في مسنده [١ / ٢٥٨ ، ٣٤٤].

بذُلُوا النُّفُوسَ وَأَنْفَقُوا الْأَمْوَالَ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَأَيِّتُمُوا الْأَطْفَالَ
طَلِبَ السَّبَاقِ وَخَفَفُوا الْأَثْقَالَ
طَالَ مَا كَانَتْ تَتِيهِ عَلَى النِّعَمِ دَلَالًا
وَلَقُوا شَجُونًا فِي السَّرَى وَكَلَالًا
دَارًا تَفُوقُ الْفَرْقَدَيْنِ مَنَالًا
دَهْرَهُمْ حَوْلًا وَلَا يَخْشُونَ زَوَالَ

يَأْتِي الَّذِينَ تَجَنَّبُوا الْأَشْغَالَ
تَرَكُوا النِّسَاءَ كَأَنَّهُنَّ أَرَامِلُ
وَجَوْعُوا وَتَعَطَّشُوا وَتَضَمَّرُوا^(١)
فَطَمُّوا عَنِ الدُّنْيَا نَفُوسًا
حَتَّى إِذَا بُلِيتْ ضَنَى أَجْسَادِهِمْ
وَرَدُوا جَنَابَ مَلِكِهِمْ فَأَحْلَهُمْ
فِي حَيْثُ لَا يَبْغُونَ عَنْهُ

* * *

سَبِيلُ الْأَنَامِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ

أَبْصِرِ الْقَوْمَ قَصْدَهُمْ، وَبَذِلُوا فِي الطَّلَبِ جَهْدَهُمْ، وَعَلِمُوا أَنَّ الْعَلَائِقَ
عَوَائِقُ، وَأَنَّ الْمَخْفَ هُوَ السَّائِقُ، فَخَفَّفُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَظْهَرَهُمْ مِنْ أَثْقَالِ الْأَشْغَالِ،
لَعَلَّهُمْ بِأَنَّ الطَّرِيقَ كَثِيرَ الْمَزَالِقِ.

هَذِهِ سَنَةُ الْكِرَامِ، فِي طَلَبِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَأَيْنَ الْمُقْتَدُونَ؟

هَذِهِ سَبِيلُ هِدَاةِ الْإِمَامِ، وَدَارِ السَّلَامِ، فَأَيْنَ الْمُهْتَدُونَ؟

عَاقِنَا وَاللَّهِ عَنْ اقْتِنَاءِ آثَارِهِمْ، وَالتَّعَلُّقِ بِأَذْيَالِ غِبَارِهِمْ، فَضُولُ الْكَلَامِ
وَالطَّعَامِ، وَشُغْلُ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ بِكَسْبِ الْحَطَامِ وَالْآثَارِ.

اسْتَنْفِرْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُثْبُنَا، وَدَعَيْنَا إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِيِّ فَأَبَيْنَا. إِنْ لَهُمْ
دُنْيَا لَا تَشْتَاقُ إِلَى الْعَالِيِّ، وَلَا تَنَافِسُ فِي طَلَبِ الْغَالِيِّ، وَلَا تَأْنِفُ مِنَ الْهَوَاءِ وَلَا
تُبَالِي.

* * *

(٢) تَضَمَّرُوا: مِنْ تَضَمِيرِ الْخَيْلِ أَيْ عَلَفَهَا بَعْدَ سِمَانِهَا أَوْ مِنْ ضَمُورِ الْبُطْنِ كُنَايَةً عَنِ النِّحَافَةِ وَقِلَّةِ
الْأَكْلِ.

مَالِي وَالتَّفْرِيطُ مَالِي	قَدْ حَالَ بِالتَّفْرِيطِ حَالِي
كَمْ ذَا أُعْلَلُ بِالمُنَى	كَمْ ذَا أُسَوِّفُ بِالمَحَالِ
أَيْنَ التَزَوُّدُ لِلرَّحِيلِ فَقَدْ	دَنَا وَقْتُ ارْتِحَالِي
يَا لَيْتَ أَحْبَابِي الَّذِينَ هُمْ	مِنَ الدُّنْيَا سَوَالِي
يَرْتُونُ لِي مِنْ عِلَّةٍ	قَدْ صُرْتُ بِهَا كَالْخِلَالِ
قَالَ الْحَبِيبُ وَقَدْ رَأَى	مَا بِي مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ
مَنْ دَاوَاهُ الْهَجْرَانُ لَا	يُشْفِيهِ مِنْهُ سِوَى الْوَصَالِ

الداء والدواء

قد ثبت في الحكمة أن شفاء الأمراض قصذ أسبابها، فمن استشفى لمرضه بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها.

فمن كان داؤه المعصية فشفاهه الطاعة، ومن كان داؤه الغفلة فشفاهه اليقظة، ومن كان داؤه كثرة الاشتغال فشفاهه في تفريغ البال.

من تفرغ من هموم الدنيا قلبه قل تبعه، وتوفر من العبادة نصيبه، واتصل إلى الله مسيره، وارتفع في الجنة مصيره، وتمكن من الذكر، والفكر، والورع، والزهد، والاحتراس، من غوائل النفس، ووساوس الشيطان.

ومن كثر في الدنيا شغله، اسود قلبه، وأظلم طريقه، وكثر همّه، ونصب بدنه، وصار مهون الوقت، طائش العقل، معقود اللسان عن الذكر، مقيد الجوارح عن الطاعة، من قلبه في كل وادٍ شعبة، ومن عمره لكل شغل حصّة.

فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم، فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشثوم، ومن فاته القرب من مولاه، فهو لو جازت يده نعيم الخلد محروم.

كل العافية في الذكر والطاعة، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة، وكل الشفاء في الإنابة والتوبة. متى أردت أن تعلم: أي الدارين أولى بك؟ فانظر أي

الحالين أغلب عليك، فإذا أصحاب الطاعة الجنة أولى بهم، وأصحاب المعصية النار أولى بهم.

ولا تخادع نفسك في صحة النظر، فجهل الإنسان بنفسه أضّر الضرر، وأعظم الخطر.

وانظر بعين التفكير والاعتبار: لو أن طبيباً نصرانياً، عفاك عن شرب الماء البارد، لأجل مرض من أمراض الجسد لأطعته في ترك ما نهاك عنه، وأنت تعلم أن الطبيب قد يصدق وقد يكذب، ويصيب ويخطئ، وينصح ويغش. . فما بالك لا تترك ما نهاك عنه أنصح الناصحين وأصدق القائلين؟ لأجل مرض القلب الذي إذا لم تشف منه فانت من أهلك الهالكين.

لا تقدر على التخلص من بلوى المعصية إلا بالتخلص من سجن الغفلة ولا تتخلص من الغفلة إلا بتضمير البطن، وتفرغ القلب، ومواصلة الذكر.

فجوع بطنك، ورفض شغلك، واذكر ربك، يعتزلك شيطانك.

إن الشيطان حامل على العصيان، والعصيان جنون، ومن لم يحضره الشيطان فليس بمجنون.

طوبى لمن كان كلامه مناجاة الله، وعمله معاملة مع الله، وفكره في تدبر الله، والاعتبار بصنع الله، ونيته خالصة لوجه الله، يزاحم العلماء بركبته، ويقبض على العلم بكليتي يديه، عبادته مؤسسة على القواعد، وعلى تصحيح العقائد.

* * *

ألا رُب من قد أنحل الزُّهد جسمه كثيرُ صَلَاةٍ دائم الصوم عابد

(١) تضمير البطن: أي جعلها حنا مرة أي صغيرة.

يُرُومُ وِصَالاً وَهُوَ بِالطَّرُقِ جَاهِلٌ إِذَا جَهْلُ الْمَقْصُودِ قَدْ خَابَ قَاصِدُ
قَلِيلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْعِلْمِ نَافِعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ بِالْجَهْلِ فَاسِدُ

* * *

فضل العلم والعلماء

من أحب أن يكون للأنبياء وارثاً، وفي مزارعهم حارثاً، فليتعلم العلم النافع، وهو علم الدين . .

ففي الحديث: « العلماء ورثة الأنبياء »^(١)، وليحضر مجالس العلماء، فإنها رياض الجنة. ومن أحب أن يعلم ما نصيبه من عناية الله، فلينظر ما نصيبه من الفقه في دين الله . . ففي الحديث: « من يرد الله به خيراً، يفقهه في الدين »^(٢).

ومن سأل عن طريق تبلغه الجنة، فليمش إلى مجلس العلم . .

ففي الحديث: « من سلك طريقاً يلتمس فيها علماً، سلك الله به طريقاً إلى الجنة »^(٣).

ومن أحب ألا ينقطع عمله بعد موته، فليُنشر العلم بالتدوين والتعليم . . ففي الحديث: « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له »^(٤).

(١) البخاري في الترجمة في كتاب العلم وأحمد في مسنده وأبو داود ومسلم في صحيحه جزء من حديث.

(٢) البخاري في العلم تعليقان الاعتصام موصولاً جزء من حديث.

(٣) البخاري في الترجمة في العلم ومسلم وغيرهما.

(٤) مسلم في الوصية عن أبي هريرة.

وفي الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلثة، لا يسدها إلا خلف مثله.

وعن أبي الأسود، قال: الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وقال فتح الموصلي: أليس المريض إذا منع من الطعام والشراب والدواء يموت؟ قيل له: بلى. قال: فكذلك القلب، إذا منع عنه العلم والحكمة ثلاثة أيام يموت.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حدّث بحديث فعُمل به، فله أجر مثل ذلك العمل.

وقال الحسن^(١): لولا العلماء لصار الناس أمثال البهائم.

فيا من خلقه الله إنساناً، لا تجعل نفسك بقلة العلم بهيمة، ونافس في إعلاء قيمتك بالعلم.

من ليس له علم فليس له قيمة.

اغتنم تعلم العلم، واحضر مجالسه، فمن ليس بعالم ولا متعلم.. فهو بمنزلة البهيمة، وليست فطرته سليمة.

* * *

يا طَالِبَ المَجْدِ والْجَلالَةِ والرَّفعةِ والمَكْرُماتِ والشرفِ
تعلِّمُ العِلْمَ واختسبه لوجهِ الله لا للمعاشِ والجِرْفِ
وخذْهُ من فوقِ فالْعُلُومُ لنا أنفعه ما رُوي عن السلفِ

(١) هو الحسن بن يسار البصري تابعي مشهور.

العلم دُرُّ إذا أفادك في الدين وما لم يفيد كالصدف

* * *

إن جهلنا العلم . . فما نحن بجهله معذورين .

وإن تعلمنا ولم نعمل به . . كنا على ذلك مؤاخذين .

وإن علمنا وعملنا وأخلصنا . . لم نكن بالقول واثقين .

فما لنا عن التنبه لهذا الخطر العظيم غافلين، فكأننا بصحائف أعمالنا عند حضور آجالنا وقد طويت، ثم كأننا بها يوم القيامة وقد نشرت، وكأننا بسوءاتنا يوم القيامة وقد كشفت، فيا خجلتنا يوم الوقوف بين يدي الله، ويا حسرتنا على ما فرطنا في جنب الله .

كفى بالمسيء جزاء على إساءته أن يفوته بياض وجوه المحسنين، وعلو درجات المقربين .

فكيف وقد أوجب لنفسه سوء الحساب، وأليم العذاب، والفضيحة على رءوس الخلائق، والتوبيخ على التقصير بين يدي الخالق .

واغوثاه بالله ! يفوتنا الخير ونحصل على الشر، تدركننا العقوبة ولا نحصل الأجر، هذا والله هو الخسران المبين .

اللهم . . يا من لا يرضى لنا بدون رضاه عتاً، ولا يحب لنا إلا ما يحبه منا: أنقذنا من ورطات الهالكين، وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين، ونجنا بمفازات المتقين، برحمتك يا أرحم الراحمين .

* * *

المجلس الرابع

دعاء

اللهم . . إنك افترضت علينا ما لا نطيق أدائه إلا بتوفيقك ، فوفقنا لأداء ما افترضته . وحرّمت علينا ما لا نمتنع من مواقعه إلا بحفظك ، فاحفظنا عن مواجهة ما حرّمته ، فلا نعتمد إلا عليك .

اللهم . . ارحمنا برحمة تغنينا بها عن رحمة الراحمين ، وارض عنا رضى لا تسخط علينا بعد أبد الأبدین .

* * *

يا طالِبَ الخيرات أين أنتَ عن بابِ الغنيِّ الحميد
يا خائفَ الشرِّ هلاًّ لجأتَ إلى رُكنِ القويِّ الشديد
يا من قد اعتكرت على قلبه الهموم لم لا تُروِّحَ بذكر الحميد المجيد

* * *

استغاثة

يا من قد أخطأت وتجاوزت الحد : استغث بمن هو أقرب إليك من حبل الوريد ، هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، من حكم بشقاوته فذاك الشقي ، ومن قضى بسعادته فذاك السعيد .

رب الآخرة والأولى ، ليس لأحد سواه مولى .

إذا حكم فلا معقب لحكمه ، وإذا قطع فلا مسبب لقطعه ، يقضي فلا دافع ، ويعطي فلا مانع ، وهو الصانع لكل صنعة وصانع .

* * *

كُلُّ الْوُجُودِ لِعَزِّ قَهْرِكَ خَاضِعٌ	وَالْكُلُّ فِي صِدَقَاتِ جُودِكَ طَامِعٌ
يَا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ أُمُومًا بَابَهُ	فَهَنَّاكَ فَضْلٌ لِلْبَرَايَا وَاسِعٌ
يُعْطِي الْعَطَاءَ فَلَا يُمَانَعُ مَانِعٌ	يَقْضِي الْقَضَاءَ فَلَا يُدَافَعُ دَافِعٌ
مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ	كَلَّا وَلَا مَسْعَى لَدَيْهِ ضَائِعٌ
يَا سَائِلِي عَنْ رُتَبَةِ الْحُبِّ الَّذِي	مَنْ حَلَمْنَا فَهُوَ الْإِمَامُ الْبَارِعُ
الزَّمْ طَرِيقَ الذِّكْرِ عُمْرَكَ دَائِبًا	فَالذِّكْرُ فِي الْقَلْبِ الْمَحَبَّةُ زَارِعُ

* * *

من شروط الذكر

الذكر لله له شرطان : حضور القلب في تحريره ، وبذل الجسد في تكثيره .
فإن أحببت أن تكون في الراسخين الأقدام في هذا المقام ، فحرر الذكر على الإحسان ، وكثره بقدر الإمكان .

* * *

يَا لِلرِّجَالِ الْأَقْنَى سَمَوْا إِلَى	نِيلِ الْعُلَا لَا يَزْهِيهِ مَطَامِعُ
قَدَمٌ هُمَامٌ مَاجِدٌ مُتَقَدِّمٌ	بِهِمْ جَسُورٌ فَاتَكُ مَسَارِعُ
يَغْشَى بَصْدَرَهُ بَنْحَرُهُ وَالْوَجْهَ	مِنْهُ أَبْلَغُ مُسْتَنِيرٍ سَاطِعُ
سَمِعَ الْعَدُوَّ بِذِكْرِهِ فَتَزَعَزَعَتْ	أَرْكَانُهُ وَعَرَاهُ ذُلُّ قَامِعُ

هذي صفات الذاكرين ونيلها صعب المرارة على النفوس وشامع
فتتبلوا للذكر وانتدبوا له فالذكر درع في الكريهة مانع
ومتى عقلتم فاعلموا وتحققوا أن العدو على حماكم طالع

* * *

اللهم . . نور بصائرنا بنور هدايتك، حتى ننظر بعين الاعتبار في عجائب
صنعتك . فكم قد فطرت من بدائع النسم، وأبرزت إلى الوجود من بحر العدم .
فنشهد أن لا إله إلا أنت، كما وحدت نفسك في قديم القدم .

* * *

وحدوا لله مَعَشَرِ الْعَارِفِينَا فلتوحيدهِ الشواهد فينا
وصِفُوهُ بكل ما هو أهل أن تكونوا به واصفينا
وإذا ما رَجَوْتُمُوهُ فكونوا منه أيضاً مع الرجا خائفينا
وبأبوابِ بَرِّهِ لا تزالوا فوق أقدام شكره واقفينا
لتكونوا من بَحْرِ مَعْرُوفِهِ الزاخر مهما أردتم غارقينا

* * *

جزاء المنقطعين إلى الله

يلزم العبد مَنَابَاتُ عَبْدٍ مثله متردداً بسعيه إليه، عاكفاً بخدمته عليه، فلا
يلبث أن يعرف حق ملازمته، وبحقه بالطاف كرامته .

فكيف لمن انقطع إلى الله الذي له ما في السموات والأرض وما بينهما وما
تحت الثرى .

لقد حاز المنقطع إلى الله كنوز الغنى، وفاز الطالب من الله بلوغ المنى .

يا سائلي عن مطلبها: من حازه حاز المني، اسع فديتك ما سأوضحه
وضحاً بيناً، وجدد ولا تشرك وكن بضمان ربك موقناً، وانقد لطاعته تُقدك إلى
المسرة والهنا.

من أدخل الله على قلبه مسرة رضاه فقد تمت أفراحه .
ومن ستره الله بستر التوبة النصوح فقد أمن افتضاحه .

* * *

يا من له النعم الغزارُ على الخلائق ليس تُحصى
هَبْ لي رضاك فيها مدى أُملي وأقصى
* * *

معرفة الله بأصول ثلاثة

لا تطلب الحياة إلا بالعافية، ولا تتم العافية إلا بالرضا، وإنما يرضى الله
على من تاب من مخالفته، من أهل مرافقته .

من لم يلزم نفسه بتقوى الله فهو لئيم، ومن لم يرض بما قسم الله له فهو
عديم . الشأن كله في أن تفهم عن الله ثلاثة أصول :

- أولها: أن تعرف الله بما تعرف به إليك بما هو أهله، وتعرف ما فرض الله عليك
معرفته من أحكام شرعية .

- ثانيها: أن تطيعه في فعل الواجبات وترك المحرمات .

- ثالثها: أن تشاق إلى ما شوق إليه، وتخاف ما خوف منه .

فإذا أحكمت هذه الأصول، لم يتأخر عنك الوصول .

لأن العالم بصفات الله وأحكامه أعلم العالمين، والعامل بطاعة الله فيما أمره ونهاه أعمل العاملين.

ذهب الزاهدون بالراحة، وحصل العابدون على المشوبة، ونجا الورعون من المناقشة، وتحضر المتقون من العقوبة، وفاز المتقربون من القرب، والقرب من الله نظام رغائب الطالبين، وغاية مطالب الراغبين.

وليس للقرب من الله نهاية تنتهي إليها المساعي، فطالب القرب على قدم الجد في الدنيا ساع، لا تستقر به دار، ولا يقر له قرار، كلما بلغ من القرب غاية علم بأن له أن وراءها عليه أخرى، فهو سائر إلى الله أبداً لا يفتر.

اللهم.. عطشنا بالشوق إلى لقائك، وأسلكنا في سلك أوليائك، وأعقبنا جبراً لا يعقبه كسر، واغننا غنى ليس معه فقر، وخر لنا واختر لنا في كل ما تقضي من أمر، واحفظنا في أنفسنا، وأهلينا، وذرياتنا، وأهل ملتنا من كل ما يسوءنا. واجعلنا في كل انواع الطاعة إليك مقربين، وفيما عندك راغبين، وإلى ما أعددت لأوليائك متقبليين، وصل على نبيك محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *

المجلس الخامس

حكمة الله

الحمد لله . . الذي ما زالت أحكامه على نظام الحكمة جارية، وأقداره في جميع خلقه نافذة، وعليهم قاضية .

مكرم من اتقاه، ومُهين من عصاه، ويعزّ من انقطع إليه، ويذل من تمرد عليه . يداوي كل ذي داء بدوائه الذي هو له أوفق، ويقيم كل ذي قدر في مقامه الذي هو له أليق .

فمن كان السقم أنفع لقلبه ابتلاه الله بالإسقام، ومن كان العُدم أصلح لحاله ارتضى له الإعدام .

يدبر عباده بحكم التدبير في مجاري التقدير، ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بِقَدَرٍ ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾^(١) .

فلا تتهموا الله في قضائه، فإن قضاءه بزمam الحكمة مزوم .

وسلّموا له بالانقياد لأمره في حلّ القضاء ومُمرّه، فإن المُسلّم له ليس بمحروم . وقابلوا إحسانه إليكم بدوام حمده وشكره، وانسبوا عدله عليكم إلى تقصيركم في القيام بواجب أمره، فإنه سبحانه على الدوام يعامل عباده بإحسانه

(١) سورة الشورى . الآية : ٤٢ .

وفضله ، فإذا استعانوا بإحسانه على عصيانه أدبهم بسوط عدله ، حتى لا يزال المخلوق مراقباً لخالفه ، والمرزوق شاكراً لرازقه ، متأدباً في معاملته ، مقتدياً في السلوك إلى ربه بأوليائه وأهل طاعته ، فمن رزق ما يحب فليشكر الرزاق ، ومن أصابه ما يكره فليتهم نفسه في معاملة الخلاق .

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين : ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ﴾ ^(١) .

إبتلاهم الله تعالى بالقحط ليخلعوا أروية كبريائهم ، ويرجعوا إلى طاعة أنبيائهم .

فالواجب على كل قوم انقطعت عنهم متصلات الأرزاق أن يعودوا باللوم على أنفسهم ولا يتهموا الرزاق .

ويستغفروا ربهم من ارتكاب معصيته .

ويتوبوا إليه من الإصرار على مخالفته .

ويتحللوا غرماءهم من أهل المظالم .

ويأخذوا بالإنكار على يد السفیه والظالم .

ويتصدقوا من فاضل ما أنعم الله عليهم على من أحوجهم الله إليهم .

ويقيموا دين الله كما أمر .

ويحذروا تمام نعمة الله فيهم فهو حق الحذر .

وينكسروا بين يدي الله عساه يجبر كسرهم .

ويبتهلوا إليه بالاستعانة والتضرع لعله يكشف ضرهم ويصلح أمرهم .

* * *

(١) سورة الأعراف . الآية : ١٣٠ .

يا جَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسَدِ
يا مُنْشِئَ الطُّفْلِ الصَّغِيرِ وَرَاحِمِ الشَّدِ
يا شَافِيَ الدَّنْفِ^(١) السَّقِيمِ وَمُحْيِيَ الدِّ
يا مُنْقِذَ الْغُرُقَى قَدْ أَشْرَفُوا عَلَى
يا مَنْ يُغِيثُ الْعَبْدَ وَهُوَ فَرِيسَةٌ
ارْحَمْ بِفَضْلِكَ جَهْلَنَا وَأَقْبَلْ بَعْفَ
وَأَفْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رِزْقِكَ شُرْعًا

ر وَمُطْلَقِ الْعَانِي الْأَسِيرِ
يَخِ الْكَبِيرِ وَغَافِرِ الْأَوْزَارِ
عَظْمِ الرَّمِيمِ وَوَاضِعِ الْأَصَارِ^(٢)
حَدَّ الْهَلَاكِ بِلُجَّةِ التَّيَّارِ
فِي قَبْضَةِ الْأَسَدِ الْهَرِيرِ الضَّارِي
وَكُ عُذْرَنَا يَا قَابِلَ الْأَعْذَارِ
أَبْدًا وَبَذَلْ عُسْرَنَا بَيْسَارَ

* * *

جزاء المخالفين لأمر رب العالمين

مخالفة الأمر توجب سخط الأمر، والإصرار على المخالفة أعظم منها.
ما أسرع العقوبة إلى المسارع إلى المعصية، وما أبعد الفلاح عن لا
تؤدبه العقوبة.
كيف يطمع في الزيادة من هو مضيق للشكر، وكيف تدوم التوسعة لقوم
كلما اتسعت أرزاقهم ضيقوا على فقرائهم.
المستعين بالنعم على المعاصي مستوجب السلب، ومن لا يتأدب بالرزية
في ماله أدبته الرزية في نفسه.
ألا ترون كيف يعاتبنا ربنا تعالى بتضييق مجاري أرزاقنا، وتسليط أقويائنا
على ضعفائنا، فما لنا لا نعتب ربنا إذا عتب علينا، ولا نجيب داعيه وقد أشار
بطاعته إلينا، فهل نتظر بعد لطيف العتاب إلا عنيف العقاب.

(١) «الدنف» المرض.

(٢) «الإصر»: الذنب.

فتوبوا إلى الله مما أنتم عليه من العصيان تبصروا، فإنكم عما قريب إليه صائرون، فهل أنتم على عذابه صابرون، أو على رفع بأسه قادرون.

فاتقوا الله بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه، وإدامة الذكر له، واستشعار الخشية منه، ولا تكونوا ممن ينام تحت الضرب ويظهر الجلد، فإنه الله، إذا عاقب لم يقم لعقابه أحد. غضب بعض الملوك على بعض من هو تحت يده، فلم يحبسه في دار سجنه، وأجرى عليه رزقاً واسعاً، ثم سأل عنه، فقيل: إنه متجلّد غير مكترث، فأمر بنقله إلى ما هو أضيق منه وأشدّ، ثم لم يزل كذلك كلما أخبروه عنه بقلّة مبالاته بعقوبة الملك نقله إلى ما هو أضيق منه وأشدّ، حتى أمر بقتله.

فكذلك العبد إذا عصى ربه وجه إليه أخف عقابه، فإن هو استقال واستغاث بربه أقاله وأغاثه. وإن هو أصر على ذنبه واستهان بعقوبته، شدّد الله عليه، وزاده مما يوجهه إليه من العذاب كذلك أبداً حتى يكون أحد أمرين: - إما أن يتوب إلى الله من معاصيه، - وإما أن يتمادى في طغيانه، ويصر على كفره وعصيانه. ففي الأول يعافيه الله ويصطفيه. وفي الثاني يخلده الله في دار نقمته، ولا يؤنسه من رحمته.

العذاب مصبوب على أهل سخط الله، والسخط حال على أهل معصية الله. والمعصية لازمة لمن الشيطان له ملازم، وإنما يلزم الشيطان من غشى عن ذكر الله.

فاحذر الغفلة عن ذكر الله فإنها أصل كل بليّة، وجالبة كل رزية.

* * *

أَحَبُّهُ قَلْبِي لَا تُخَيِّبِ الْأَمَلَ وَهَذَا أَوَانُ اقْتِرَابِ الْأَجْلِ
فَوَا أَسَفَا وَوَاخْشَرْنَا لِقَبْحِ اقْتِرَافِي وَفَرَطِ الدَّلِيلِ

لقد خَابَ ظَنِّي فيما رَجَوْتُ وسُدَّتْ عَلَيَّ وُجُوهُ الْحِيلِ
 عسى تَرْقُمُونَ عَلَى قِصَّتِي غَفَرْنَا لَإِذَا الْعَبْدُ ذَاكَ الدَّلِيلِ
 وكنت أَحْمَلُ ثِقْلَ الْغَرَامِ وَلَمْ يَبْقَ فِي عَبْدِكُمْ مُحْتَمَلِ
 وما كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الْبُعَادَ يَبْلُغُ قَتْلِي فَهَذَا قَدْ قَتَلَ
 فَبِاللَّهِ جُودُوا وَلَا تَبْخَلُوا وحَاشَاكُمْوَا سَادَتِي مِنْ بَخْلِ
 فَمَعْرُوفِكُمْ عَمَّ كُلَّ الْوَرَى إِلَى كُلِّ ذَانٍ وَقَاصٍ وَصَلِ
 فَمَالِي حُرْمَتُ وَكَانَ الْوَصَا لِي عَلَى حَرَامٍ وَلِلْغَيْرِ حَلِ

* * *

دعاء

اللهم: بعلمك بحالنا، وقدرتك على إصلاحنا، ورحمتك التي لم تنزل تعاملنا بها منذ خلقنا، أتمم علينا نعمتك، وأوجب لنا رضاك ورحمتك، وأجزل نصيبنا من جزيل لطفك، وخفي عنايتك.

اللهم: وفقنا للعمل بموجبات رضاك، ولا تحرمنا عطاءك، ولا تقطع لنا بنا دونك، ولا تخيب رجاءنا فيك، ولا تولنا أحداً غيرك، ولا تحرمنا خيرك، يا من خير الدنيا والآخرة في خزائنه وأهل السموات والأرض مفتقرون لرحمته.

اللهم: إننا ظلمنا أنفسنا، وأسأنا في معاملتنا، وغفلنا عن التيقظ من ذنوبنا حتى غلب على قلوبنا رينها، وقد ندمنا على قبح ما فعلنا وارتكبنا، وبدا لنا سيئات ما كسبنا.

اللهم: اغفر لنا مغفرة من عندك يحسن لنا بها توفيقك، وتكشف بها عنا عذابك، وتغشينا بها رحمتك.

يا من أظهر الجميل وستر القبيح، ولم يؤاخذ بالجريرة، ولم يهتك السريرة.

يا حي يا قيوم، برحمتك نستغيث، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا إلى
أحد من خلقك، وأصلح لنا شبابنا كله، برحمتك يا أرحم الراحمين.
وصلِّ على محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً
كبيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس السادس

سبحان الله

الحمد لله . . ما سبّحت بحمده ألسنة الذاكرين، وسبحان الله . . ما
أشرقت أنوار ذكره وجوه العابدين، وما امتدت إلى عطائه أكف السائلين .

سبحان الله . . ما حنت إلى لقائه قلوب العارفين .

سبحان الله . . إنه الأولين والآخرين، ورب الخلائق أجمعين، ﴿ يغشى
الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق
والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾^(١). أنزل إلينا كتاباً أوضح به منازل السالكين، وأيقظ
به عقول الغافلين، أنزل به الروح الأمين، على قلب محمد سيد المرسلين،
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، صلاة وسلاماً دائماً باقياً أبداً الأبدين،
ودهر الداهرين .

سبحان من أذن لأوليائه في مناجاته إذا أرخى ستور الليل البهيم .

سبحان من فتح أقفال القلوب بمفاتيح الذكر الحكيم .

سبحان من عاد على رحيق فصاله أن نشر بها إلا كل حدّ كريم .

سبحان من أجزل نصيب أوليائه من خالصة الود القديم، فلو شهدت أيها

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤ .

المحروم نفاسة ما وصلوا إليه لزهقت نفسك حسرة عليه .

لكن جَمِلْتَ فما وَصَلْتَ وكل من جَهَلَ التَّوَّاصِلَ لا يَحْنُ إليه
ما بَالُ رُكْبِ العَارِفِينَ سَرُّوا إلى مولاهم وحظوا الغداة إليه
وَأَرَاكَ عَنْهُمْ بالتَّخَلُّفِ راضياً يا نقص حَظُّكَ من نَوَالِ يديه
سَهَرَ العَابِدُونَ في إِحْرَازِ رَغَائِبِ العِبَادَةِ وَأَنْتَ راقِد
وَنَهَضَ العَارِفُونَ إلى تَشْيِيدِ معاقل السَّعَادَةِ وَأَنْتَ قاعد
وذاب المُشْتَاقُونَ من تَوَقُّدِ حرارة الصَّبَابَةِ وَأَنْتَ جامد
فلا إلى ما وصلوا إليه أَنْتَ واصل ولا على ما وفدوا عليه أَنْتَ وافد

تأنيب للغافلين

ما الذي فاتك يا محروم من نيل منك، أمت قلباً كان حياً أحسن الله
عزاك، فإنك إن ساعدك الدمع والافتباك، إنما يحصد الزرع من بذر البذور فما
أنت حاصد، وإنما يروج الحور من نقد المهور فما أنت ناقد، كل امرئ على ما
قدم فاقدم، وفيما شيد خالد. فما الذي قدمت لنفسك يا جاهلاً في صورة عاقل،
وغائباً في مظهر شاهد.

أَسْفِي وما أَسْفِي عليك لأنني ضَيَّعْتُ من أَمْرِي ولا تَضِيعُكَ
وَقَعَدْتُ مثلكَ عن عِبَادَةِ خَالِقِي من غَفَلَتِي وَصَنَعْتُ مثل صَنِيعِكَ
أنا قَدَيْتُكَ دماً لتفريطي فَنَحْ يا صاح وَأَبْكَ دماً على تفريطك
واعلم بأن بُكَاءَكَ لا يُغْنِي إذا لم تَمْتَسِكَ بالطَّوْعِ أَمْرَ مَلِكِكَ

لقد ألزمتك الله بكتابه المنزل قاطع الحجة ، وبحجج نبيه واضح المحجة .
تدعى إلى ساحل النجاة وأنت من الهلاك في لجة .
حاسب نفسك ، هل صليت على شرط القبول صلوة واحدة؟ أو حججت
إلى بيته حجة .

* * *

هيا إلى مَعَشَرَ تَجَافُوا عن الدنيا وخلوا حرامها والحلالا
كلما أقبل الظلام عليهم قابلوه بأوجه تَنَلَّلا
أَسْقَمُوا بالجوع والسُّهَاد أجسا دهم ليصَحَّحُوا الأعمالا
هذه حَالٌ من يَرُومُ المِ عالي هكذا وإلا فَلَا

* * *

مناصحة جليلة

كل شهر في غير خدمة الله باطل ، وكل بداء على غير عنا الله ليس له
حاصل .

فنافسوا في اقتناء ما يبقى ولا يزول ، وفرغوا قلوبكم من فضول أشغال
الدنيا وكلها فضول .

كيف يثق بالحياة الدنيا من المنية راضيه إلى جنبه؟ كيف يرجو راحة الدنيا
من لا راحة له دون لقاء ربه؟ والله لو كانت الدنيا صافية المشارب من كل
شائب ، ميسرة المطالب لكل طالب ، باقية علينا لا يسلبها منا سالب ، لكان الزهد
فيها هو الفرض الواجب ، لأنها تشغل عن الله ، والنعم إذا شغلت عن المنعم
كانت من المصائب .

* * *

أَيَا رَاضِعَ الدُّنْيَا انْفُطَمَ عَنْ فَطَامِهَا فَقَدْ آنَ تَنْهَكَ عَنْهَا الشُّوَابُ
 أَلَا عَامِلٌ فِيهَا سَيَنْفِذُ زَاهِدٌ أَلَا مُؤْمِنٌ فِيهَا سَيَخْلُدُ رَاغِبٌ
 أَلَا آسَفُ دُو لَوْعَةٍ وَتَحْرُقُ أَلَا نَائِحٌ فِي مَاتَمِ الْحَزَنِ نَادِبٌ
 أَلَا مُذْنِبٌ مُسْتَغْفَرٌ مِنْ ذَنْبِهِ أَلَا خَائِفٌ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ رَاهِبٌ
 أَلَا خَاشِعٌ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ خَاضِعٌ أَلَا نَاحِلٌ شَوْقًا إِلَى اللَّهِ ذَائِبٌ
 سَتَلْقَوْنَ مَا قَدِمْتُمْ الْيَوْمَ فِي غَدٍ وَكُلُّ أَمْرٍ يُجْزَى بِمَا هُوَ كَاسِبٌ

* * *

متاع الدنيا قليل

الثواب في الدنيا قليل، ولنا عليها حساب طويل، فتهياً للنقلة عنها قبل أن يزعجك الرحيل. ليس لك في سفر الآخرة زاد إلا ما قدمت ليوم المعاد، لا تمسك عن النفقة في طاعة الله فما يليق بالمؤمن إمساك، لقد شهد القرآن بأن الممسكين عن الانفاق قد ألقوا بأيديهم إلى الهلاك.

يا أصحاب الأسماع الواعية، والعقول الصاحية: الله هو الموجود الذي استغنى عن إيجاد موجد، الله هو الواحد الذي لا يفتقر توحيده إلى توحيد موحد، الله هو الأول الذي ليس لأوليته أول، والآخر ليس لأخريته آخر، الله الذي كلما ظهر فهو باطن، وكلما بطن فهو ظاهر، الله الأحد الذي لم يكن له كفواً أحد، والصمد الذي كل من سواه إليه صمد، كل معبود تحت عرشه باطل، وكل ظل تحت ظله زائل.

مستغني عما سواه، وكل ما سواه إليه فقير، يجير على كل أحد، وما أحد يجير عليه.

هو القاهر فوق عباده، إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، لا يتأخر عن مراده.

لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تتمثله الأفكار، كل الخلائق عن إدراكه قاصرون، وفي تيه معرفته حاثرون.

له مقاليد السموات والأرض، وبيده البسط والقبض، والرفع والخفض، نصب الجبال فأرساها وفجر المياه وأجراها، وسمك السماء وأعلاها، ووضع الأرض ودحاها، وسخر الشمس والقمر دائبين، وجعل الليل والنهار متعاقبين.

الملائكة من خشيته مشفقون، والرسل من هيئته مطرقون، والجبابرة لعظمته صاغرون، وله من في السموات والأرض كل له قانتون.

سبحان الله كما هو أهله، تبارك الله وتعالى جده، كيف يحيط المخلوق بوصف خالقه؟ متى يقوم المرزوق بشكر رازقه؟ تعالى الله عن قول من يقول في القرآن فلا تحيط به دائرة عقله، سكتب شهادتهم ويسألون، يوم لا ينفع الظالمون معذرتهم ولا هم يستعتبون.

لو أردنا وأراد أغزنا عقلاً أن يصف نفسه التي بين جنبيه ببعض ما جبلها الله عليه لخرس لسانه، وخرّ جنانه، ولم يهتد في وصفها إلى صواب، إلا أن يتمسك بالسنة والكتاب: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذابٌ أليمٌ﴾^(١)، وليحذر المجادل في ذات الله بغير علم يوماً يسأل فيه القائل، ويجازى فيه العامل، قال الله عز من قائل: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾^(٢)، يسأل الله تعالى في ذلك اليوم العود: لم خدش العود؟ فكيف لا يُسأل المخالفين في معتقدات أصول الدين عما خالفوه في إجماع المسلمين.

والله لو أن مؤمناً عاقلاً قرأ سورة الحديد، وآخر سورة الحشر، وآية

(١) سورة النور. الآية ٦٣.

(٢) سورة الحجر. الآية ٩٢.

الكرسي، وسورة الإخلاص، بتفكير وتدبر، لتصدع من خشية الله قلبه، وتحير
في عظمة الله لُبُّه.

* * *

المجلس السابع

في التفسير وفصائل القرآن وحملته

- قال الله عز وجل: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١): لما كان الله عزيزاً حكيماً، عزيزاً في ملكه، حكيماً في أمره، استوجب على أهل سماواته وأرضه أن يقدسوه ويسبحوا بحمده.

- ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيَمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢): ومن قدرته على كل شيء إحياء كل ميت، وإماتة كل حي، وهو سبحانه الذي لا يموت، المتفرد بالبقاء، والدوام، والعزة، والجبروت.

- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣): أول: سبق وجود كل موجود. آخر: يدوم بقاءه بعد فقد كل مفقود. ظاهر: بعلوه وقهره فوق كل شيء. باطن: بنفوذ علمه فلا يشذ عن إحصائه شيء.

- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٤): في خلق السموات والأرض. آيات أكبر من أن تدركها عقول المتأملين، وأكثر من أن يحصيها ضبط الحاصرين، ولو لم يكن إلا اختراعها على غير مثال

(١) سورة الحديد الآية ١

(٢) سورة الحديد الآية ٢

(٣) سورة الحديد الآية ٣

(٤) سورة الحديد الآية ٤

سابق، وقيامها على الدوام بلا اضطراب ولا اختلال لاحق لكان في ذلك ما يحير ألباب الرجال.

- ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾^(١): الولوج: الدخول. أي يعلم ما يدخل في الأرض من مياه أمطارها، وما يخرج منها من نابتة تنبت فيها من عشبها وأشجارها، وما نزل من السماء ملكاً ولا صعد إليها إلا بعلم الرب الذي ليس في الوجود ذرة إلا وهورقيب عليها.

- ﴿ وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾^(٢): أي أنه تعالى معنا بعلمه وقدرته، مشاهد لأعمالنا وأقوالنا وأحوالنا، فقال تعالى: ﴿ الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ﴾^(٤): فمن كان موقناً أن الله سبحانه معه ومشاهده أينما كان يصير بعمله كائناً ما كان، استحيا من الله أن يخطر على قلبه، أو يجري على جوارحه ما لا شرعه الرسول ولا نزل به القرآن، واستحيا ألا يلبس معصية أينما كان.

- ﴿ له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ﴾^(٥): الملك كله لله وهو غني عنه، والأمر كله خيره وشره يرجع إليه يوم الجزاء، ولم يكن شيء غائباً عن علمه ولا خارجاً عن محكمه.

- ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ﴾^(٦): سلط سبحانه الليل على

(١) سورة الحديد الآية ٤.

(٢) سورة الحديد الآية ٤.

(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٩.

(٤) سورة يونس الآية ٦١.

(٥) سورة الحديد الآية ٥.

(٦) سورة الحديد الآية ٦.

النهار بإدخاله فيه ، وانتقاصه منه ، فيسترد منه ما سلبه ومثله معه ، بحكمة لا يعلم سرها غيره .

- ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾^(١) : ليس في صدر مخلوق خير ولا شر إلا والله تعالى عالم ومضطلع عليه وناظر إليه .

- ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾^(٢) ، ﴿ يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾^(٣) : لا يخفى عن علمه شيء ، فرحم الله امرئ طهر باطنه مما يكره أن يطلع عليه خالقه وبارئه .

وبعد . . فهذا بعض ما اقتضاه الكلام على تفسير أول هذه السورة (سورة الحديد) من تعظيم الحميد المجيد . فالويل ثم الويل لمن هو عن تعظيم الله غافل ، وبصفاته العلية جاهل ، وفي أثواب المعصية رافل ، مصراً على الخطايا غير ثابت ولا آفل .

« عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن بين الله وبين الخلق سبعين ألف حجاب ، وأقرب الخلق إلى الله سبحانه وتعالى جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وبينهم وبين الله أربعة حجب : حجاب من نار ، وحجاب من ظلمة ، وحجاب من غمام ، وحجاب من الماء »^(٤) ، « وعنه وعن عبد الله بن عمر قالاً : قال رسول الله ﷺ : دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور ومظلمة ،

(١) سورة الحديد الآية ٦ .

(٢) سورة طه الآية ٧ .

(٣) سورة القصص الآية ٦٩ .

(٤) قال الشوكاني : رواه الدارقطني عن سهل بن سعد مرفوعاً وفي اسناده حبيب بن أبي حبيب وكان وضاعاً . قال الحافظ الذهبي في الميزان : وهما أبو زرعة وتركه ابن المبارك . وقال العقيلي : في سنده موسى بن عبيدة ليس بشيء . وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فلا أدري لماذا استشهد به هنا [راجع الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٤٤٢] .

وما تسع من نفس شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت»^(١). فإن قيل : ما الحكمة في هذه الحجب والله سبحانه وتعالى غنى عنها؟ فالجواب : إن من بعض فوائدها رافة الله تعالى بعباده، وشفقته على خلقه. ولولا احتجاب عن عوامله إلا خرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه جلت عظمة الله وتعالى جده، فهو سلطان الله وغلب جنده.

توحدت ذات الله، وتقدسست أسماؤه، سبقت مقادير الله ونفذ قضاؤه، عزّ جناب الله وعزّ جلاله، صدعت حجة الله وصدق مقاله، قوله الصدق، ووعدده الحق، ونوره الساطع، وحرزه المانع. سبحانه أنزل كتاباً أحكمت آياته، وأرسل رسولاً بهرت معجزاته.

فيا من أحياء الله على الإسلام اسأل أن يتوفاك مسلماً، ويا من سربله الله قميص الإيمان اجتهد أن يكون بالنقاء معلماً، ويا من استحفظه الله القرآن كن بمتشابهه مؤمناً، وبمحكمه عاملاً.

حامل القرآن حامل راية الإسلام، وفي كل خصلة من خصال الخير لأهلها إمام، لا يقنع بأداء الفرض وترك الحرام.

يشبع الناس وبطن حامل القرآن جائع، ويضحك الناس وطرفه دامع، قد درجت النبوة بين كفيه، فهو نبي غير أنه لا يوحى إليه.

* * *

ما بين من يقرأ الكتاب وبين من يُوحى إليه سوى النبوة وحدها
للأنبياء مراتب خُصّوا بها والقارئون مراتب من بعدها
طوبى لمن يرعى أمانة ربه بالبر والتقوى ويحفظ حدّها
أنفّت من الدنيا الدنية نفسه فلم يك قط يوماً عبداً

(١) أورده السيوطي في جمع الجوامع وضعفه وعاب على ابن الجوزي إirاده له في الموضوعات. راجع أيضاً التعليقة السابقة رقم ٧ ص ٦٥.

وَسَمَّا يَهْمُّهُ إِلَى الدَّارِ الَّتِي رَبِّ الْعِبَادِ لِمَنْ أَطَاعَ أَعَدَّهَا
لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمَنُ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنْهَا سِوَى عَبْدٍ تَبَوَّأَ كِلْدَهَا

* * *

بَابُ

القرآن يقدمنا إلى المتاجر الرابعة ونحن عنها متأخرون، والقرآن يزهّدنا في الدنيا الفانية ونحن فيها راغبون، ما راعينا حق نعم الله علينا حق رعايتها، ولا تلقيناها بما لزمنا لها من كرامتها. هذا رسول الله ﷺ تروى أخباره فليتنا اتبعنا، وهذا كتاب الله تتلى علينا آياته فبأيها انتفعنا.

* * *

يا نعماً طالما كَفَرْنَاها	بها قوينا أن نعصى الله
ويا نفوساً لو أنها رَحِمَتْ	لم نَكُ في سَهْوَةٍ أَطَعْنَاها
ويا علوماً ما كان أنفعها	لو أننا في الهدى اتبعناها
قد حَفِظْنَا العلوم مُتَقِنَةً	لكن بأعمالنا أضعناها
طوبى لِنَفْسٍ بعلمها عملت	واتخذته دليل مسراها
فَنَادَتْ إِلَى أَنْ بَرَبَهَا اتصلت	ثم أناخت به مطاياها
وآثَرَتْ قُرْبَهُ فَأَثَرَهَا كَذَاكَ	لما ارْتَضَتْه أرضاها

* * *

بَابُ

المسلمون قوم انقادوا لله بالدخول في دينه، فلما تمكن التوحيد من قلوبهم التزموا بطاعته وتمكنت من قلوبهم وجوارحهم، سلت أرواحهم عن كل حب سوى حبه، فلما أحبوه لهجوا بذكره وتنافسوا في قربه، فلما قدموا عليه حلوا

عرى الترحال، وألقوا عصا السفارة، لأنهم لم يكن لهم سواء مطلوب، وإنما غاية
المحب الوصول إلى المحبوب.

* * *

مَا لِلْمُحِبِّ سِوَى الْمَحْبُوبِ مَطْلُوبٌ إِذْ قَلْبُهُ عَنْ سِوَى ذِكْرِهِ مَحْجُوبٌ
فَالصَّبْرُ مَنْتَزِعٌ وَالسَّرُّ مَفْتَضَحٌ وَالِدَمُّ مُنْسَفَحٌ وَالْقَلْبُ مَسْلُوبٌ
إِنْ رَوْحَتُهُ أَمَانِي الْوَصْلِ فَقَدْ يَرْتَأَحُ شَيْئًا وَإِلَّا فَهُوَ مَكْرُوبٌ

* * *

بَابُ

إن من أصدق الشواهد على محبة العلي الماجد: متابعة رسوله، ومواظبة
تلاوة تنزيله. فإن الهادي الرشيد، والقرآن المجيد. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١). قال الحسن البصري رحمه الله:
التزموا كتاب الله، وتتبعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل النظر. رحم
الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله عز وجل، فإن وافق ما فيه حمد الله
وسأله الزيادة، وإن خالفه استعتب ربه ورجع إليه من قريب.

وقالت أم الدرداء: سألت عائشة رضي الله عنها عمن يدخل الجنة من قراء
القرآن، ما فضله على من لم يقرأه؟ فقالت: إن عدد درجه بعدد آي القرآن. فمن
دخل الجنة من القراء فليس فوقه أحد، وإذا لم يكن فوقه في الجنة أحد فينبغي
له أن يحسن كلام ربه مع القرآن، ويجتهد في العمل بما فيه وإلا كان يوم القيامة
من الخاسرين.

وقد روي عن أبي سليمان الداراني رحمه الله عليه أنه قال: الزبانية يوم

(١) سورة فصلت الآية ٤٢.

القيامة أسرع إلى حملة القرآن يعصون الله بعد قراءته منهم إلى عبدة الأوثان، غضباً عليهم حين عصوا الله بعد القرآن.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه.

وروي في الحديث: «من كان في قلبه آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يحيا كل حرف منها حتى تأخذ بناصيته، حتى يوقفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة فيخاصمه، ومن خاصمه القرآن خُصِمَ» (٢).

فالويل كل الويل لمن كان يقرأ القرآن يوم القيامة وهو المصر على الزنا وشرب الخمر والرياء وظلم العباد وأكل الحرام والربا.

وقال الفضيل بن عياض: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، تعظيماً لحق القرآن.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليته إذ الناس نائمون يختالون، وبصمته إذ الناس يخوضون.

* * *

أهل القرآن أئمة بهم اهتدى	أهل السلوك إلى رضا الجبار
لكن عليهم أن يقوموا بالذي	فيه من المشروع للأبرار
صدق وإخلاص وحسن عبادة	وقيام ليل مع صيام نهار
وتورع وتزهد وتعفف	وتشبه بخلائق الأخيار
وديانة وصيانة وأمانة	وتجنب لخلائق الأشرار
وأداء فرض واجتناب محارم	وإدامة الأوراد والأذكار
يا حامل القرآن إن تك هكذا	فلك الهنا بفوز عُقبى الدار

ومتى أضعت حُدوده لم تَنفَع بحروفه وسكنت دار بوار

* * *

اللهم كما علمتنا كتابك فوفقنا للعمل به حتى يكون شاهداً لنا عندك،
وقائداً إلى جنتك، ومؤنساً لنا في وحشة الألحاد، ومركباً لنا يوم يقوم الأشهاد.
اللهم اجعلنا بالقرآن عاملين، ولأوامره، متبعين، ولنواهيه مجتنبين، واجعلنا لك
كما تحب، فإنك لنا كما نحب. اللهم بدل سيئاتنا حسنات، ولا ترنا أعمالنا
حسرات، وأقبل بقلوبنا إليك، ولا تخزننا يوم الوقوف بين يديك، برحمتك يا
أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه
أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

المجلس الثامن

متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم

الحمد لله كما يليق بحقه، والصلاة والسلام على محمد خير خلقه،
الصلاة والسلام عليك يا سيد الأنام، الصلاة عليك يا نبي الإسلام، جزاك الله
عن أمتك أفضل ما جزى نبياً عن أمته، وجعلنا ببركة متابعتك في دار كرامته.



أيها السيد الذي ليس للخذ	ق على غير جاهه تعويل
بك نستشفع الخلق يوم العر	ض حتى موسى وحتى الخليل
أنت لله مرسل وعلى صد	قك عند اللبيب قام الدليل
أي عذر للجاحدين وقد دل	ت عليك التوراة والإنجيل
إن قلباً لم يشفه طبك المن	جج من سقمه لقلب عليل
ليس للطالب السبيل إلى	الله سوى شرعك الحنيف سبيل
كل من رام من سواه وصولاً	ما لديه إلى الوصول وصول
أنت باب الخلق الذي من يجذعند	ه يقته إلى الجناب الدخول
كل مدح يقال فيك وإن	أطنب فيه لدى علاك قليل
ما عسى المادحون أن يبلغوا من	وصف معنك ما عسى أن يقولوا
جملة القول فيك أنك	لله رسول وصفوة و خليل

وعلى نسبة الجلالة والرفعة	من مرسل يكون الرسول
محمد صفوة الرحمن ما حملت	أنثى ولا وضعت شبيهاً لغدته
محمد خير كل العالمين وما	بدا لنا منه مغني عن أدلته
كل الشرائع مَنْسُوخٌ بشرعته	وشرعه خالد باقي بحدته
لو قيست الأمم الماضون	بالفضل لكانوا دون أمته
إن كاثروا كثروا أو فاخروا فخروا	يدنون فضلاً وهذا من فضيلته
يكاد يغضب خزان العذاب لما	يقل حظهم من أهل ملته
ووارد النار منهم بالذنوب له	سيما من الحسن لا يذرى بخلقه
بياض وجهه وتحجيل من	الوضوء لألأ نور فوق جبهته
ولا يخلد في نارٍ معذبهم	ولو أتى بجبال من خطيته

* * *

الخير كله في متابعة الرسول، والبركة في حفظ كلامه المنقول.

ما وعظ الواعظون بمثل التخويف من الانقطاع عن الوصول، ولا أطرب الحادون بمثل التشويق إلى النظر إلى جمال وجه الله، ومرافقة رسول الله، ولا يسمع السامعون بمثل حسرة المحجوبون يوم القيامة عن الله، وعن شفاعة رسول الله ﷺ.

الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن، الله هو الذي إليك في كل وقت ناظر، وعليك في كل حال قادر. أين يفر الفارون من الله والكل في قبضته؟ كيف يشكر الشاكرون من سوى الله والكل على مائدته؟ إلى من يلجأ الخائفون إلى غير الله والكل محفوظ برعايته؟ لو علم الراقدون إذ نعسوا ماذا أضاعوا؟ وعلى خط من يخشون غير خط أنفسهم؟ عن قيام بيابه جلسوا. تكلفوا عنه سلوة فسألوا، ثم تناسوا عهدهم فنسوا.

كم من قريب أبعدته التباعد؟ وكم من قائم أقعده التقاعد؟ لا يزال رجالٌ

يتأخرون حتى يؤخرهم الله يوم القيامة .

ينبغي للحاضر أن يكون سامعاً، وللسامع أن يكون واعياً، وللداعي أن يكون بما دعا عاملاً، وللعامل في عمله أن يكون مخلصاً. واعلم يا ابن آدم أنك مريض القلب من جهتين: إحداهما: مخالفتك أمر الله . والأخرى: عفتك عن ذكر الله . ولن تجد طعم العافية حتى تكون على طاعة الله مقيماً ولذكر الله مديماً . فعالج مرض المخالفة بالتوبة، ومرض الغفلة بالإنابة، وإلا فاعلم عما قليل أنك هالك، ومنتقل من أهلك ومالك إلى قبضة ملك مالك .

* * *

قدم لنفسك فضل مالك	وامهد لها قبل انتقالك
خذ للتأهب للرحيل فقد	دنا وقت إرتحالك
واعمل على تخلص نفسك من	سبالة سوء حالك

* * *

سبحان من أنعم على أوليائه بالعافية من أسقامنا، سبحانه مكن لهم في مقامهم وزحزحهم من مقامنا، الإصرار والغفلة مقامنا ومقامهم التوبة والإنابة: ﴿ أصحاب الجنة يؤمئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً ﴾^(١) . لو بكينا على نفوسنا حتى تجرى السفن في دموعنا، ما بلغنا ما يوجهه سوء صنيعنا. اخترنا ما يفنا على ما يبقى، واختار أولياء الله ما يبقى على ما يفنا ، يا طول حسرات الغافلين، يا فرط ندمات المفرطين .

* * *

(١) سورة الفرقان الآية ٢٤ .

يا طول حزن الغافلين عن ذكر رب العالمينا
يا حسرة يطوون جمرتها حيارى نادمين

* * *

ذم الدنيا

ليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله وقلبه مصرٌّ على الذنوب، وإنما الذاكر من إذاهم بمعصية ذكر مقامه بين يدي علام الغيوب. كما قال بعض السلف: ليس الذاكر من همهم بلسانه، وإنما الذاكر من إذا جلس في سوقه، وأخذ يزن بميزانه، علم أن الله مطلع عليه، فلم يأخذ إلا حقاً ولم يعط إلا حقاً.

فما ينبغي للعباد أن ينشغلوا عن المنعم بشيء من نعمه، ولا يلتفتوا عنه بشيء من كرمه. الله أحق أن نختاره على ما سواه. الله مولانا، وما أولى بالخير من كان الله مولاه. يا ليتنا عقلنا عن الله ولو حرفاً من خطابه، يا ليتنا قربنا من الله ولو عرض شعرة من عزيز جنابه، إنما يفهم ما أقول أرباب الفطن والعقول، إنما يشرب من هذا الشمول هو برداء التوفيق مشمول.

اسمع ما أقول فهو جميل، لا يضر عنه ما يقول الجهول: كل شيء شغل فهو للنفس عول، عن ذكرٍ لمولى ملكه ما يزول.

قال رسول الله ﷺ: « ملعونة هي الدنيا ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وعالماً، ومتعلماً »^(١). كيف لا تكون الدنيا ملعونة وهي عن ذكر الله شاغلة؟ ولمن

(١) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (٥٦١/٤) وقال: حسن غريب وهو عنده من طريق عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان قال ابن حجر في التقريب (٤٧٤/١): صدوق يخطيء رمى بالقدر وتغير بآخره.

* وأخرجه ابن ماجه كذا عن أبي هريرة من طريق ابن ثوبان أيضاً - في الزهد باب مثل الدنيا.
* وأخرجه الطبراني في الأوسط () والهيتمي في مجمع الزوائد (١١٢/١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٣٣/١) وابن أبي عاصم في الزهد (٥٧) عن ابن مسعود بسند فيه مستور.

نظر إليها فاتنة، ولمن ركن إليها قاتلة، ولمن استصحبها غاشة ولمن استنصرها خاذلة.

الدنيا حَبٌّ، والمعصية فُخ، والشيطان صياد، والإنسان طائر. فمتى أكب الإنسان على التقاط حلالها فيوشك أن يقع في حرامها، ومتى وقع في حرامها فقد أستحوذ عليه قنّاصه، وتعذر عليه إلا من جهة التوبة خلاصه. فكيف السبيل إلى الخلاص منها، ورضيعها لا يمكنه الفطام عنها؟ والجواب عن هذا السؤال: أن تستغيث بالكبير المتعال. فالراجع إلى الله مستريح بالله مما سواه، لأنه يستريح من الدنيا وأشغالها، ومن الشياطين ووسواسها، ومن الأفكار وغمومها، ومن الأشغال وهمومها، وغير ذلك مما الناس به في هذه الدنيا مفتونون ومُعذّبون، وعليه في الآخرة محاسبون ومعاقبون. فأريدوا وجه الله بكل أعمالكم، وجاهدوا في سبيل الله بأنفسكم وأموالكم، وأقبلوا عليه يقبل عليكم، فإنه لا يعرض إلا عمن أعرض عنه. ولا تجعلوا طلب الدنيا أكبر همّكم فيطول فيها همّكم، وفي الآخرة يطول حسابكم على قدر مالكم.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ذو الدرهمين في الآخرة أشد حساباً من ذي الدرهم.

وفي الحديث: «التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غني، ومؤمن فقير، كانا في الدنيا، فأدخل الفقير إلى الجنة، وحبس الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أدخل الجنة. فلقبه الفقير فقال: يا أخي ما أحبسك بعدي؟ والله لقد احتبست حتى خفت عليك! فقال: يا أخي والله لقد احتبست بعدك محبساً فظيماً كريهاً، وما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورَدَ ألف بغير كلها أكلت حمصاً لعددت عنه رواء»^(١).

(١) رواه أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: حدثنا حسن حدثنا دويد عن سلم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس بلفظه. وفيه: دويد قال الحافظ ابن حجر في التعجيل. الخراساني مجهول (١٤٤) =

واعلموا أن الله عباداً شغلهم الاهتمام به عن الاهتمام لهم، وتلك مرتبة المقربين الذين يتبتلون إليه تبتلاً. ومنهم من لا يرفع قصة الشكوى إلا إليه، وذلك مقام أصحاب اليمين الذين لم يتخذوا من دونه وكيلًا.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فاجتهد أن تكون مريداً من الله، ولا تكن الثالث تكن من الخائبين.

اجتهد أن تكون واصلًا إلى الله، فإن عجزت فكن سالكاً إلى الله، ولا تكن الثالث تكن من المنقطعين.

اجتهد أن تكون عارفاً بالله، فإن عجزت فكن عالماً بأمر الله، ولا تكن الثالث تكن من الجاهلين.

اجتهد أن تكون ممن يحبه الصالحون في الله، فإن عجزت فكن ممن يحب الصالحين في الله، ولا تكن الثالث تكن من الممقوتين.

هذه وصية مناصحة، من اهتدى بهديها اهتدى. هذه سفينة سلامة، من اعتصم بركوبها نجا.

المؤمنون قوم باعوا الله أنفسهم وأموالهم، ولم يقدموا عليه بسوى افتقارهم

= وقال الهيثمي في الزوائد: دويد غير منسوب فإن كان هو الذي روى عن سفيان فقد ذكره العجلي

في كتاب الثقات وإن كان غيره لم أعرفه (١٠ / ٢٦٤).

- وسلم بن بشير: قال الهيثمي في الزوائد (١٠ / ٢٦٤) مسلم بن بشير وهو ثقة.

وقال عن بقية رجاله: رجال الصحيح -

وقال ابن حجر في التعجيل: ١٤٤: في من اسمه سالم: سالم بن بشير... ثم قال:

قلت: هذا غلط نشأ عن تحريف وإنما هو سلم يسكون اللام بعدها ميم وقال في سلم (١٥٨)

تقدم في سالم اهـ. قلت فكانهما عنده واحد.

راجع في ذلك كله: تخريج أحمد شاکر للحديث في مسند الإمام أحمد (٤ / ٢٧٢) حديث:

٢٧٧١.

إليه، فعوّضوا بما هو أعوض عليهم وأبقى لهم، عاملوه رغبة فيه لا في شيء سواه، فجازاهم بجنّته ورضاه.

والله لو أن محباً صادقاً يسأل بذل روحه وماله حتى ينال نظرة في نومه يسخوبها الحبيب من خياله، وجدته لنفسه مُهيناً لنعم باله. والرب تعالى يستقرض منا ربع عشر ما خولنا من مقتنى أمواله، فلا نجود، ثم نرجو حظوة لديه بالنعيم في وصاله. هذا هو المحال، والمحال لا مطمع للعاقل في مناله. إنما أمركم الله سبحانه بإنفاق أموالكم في سبيل مرضاته، ليمتحن ماله في قلوبكم من محبته وإجلاله وخشيته ومقامه ﴿والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾^(١).

وفقنا الله وإياكم لمرضاته، ووهبنا وإياكم من جزيل هباته، وجمعنا وإياكم في دار النعيم، وجنبنا وإياكم أفعال أهل الجحيم، إنه جواد كريم، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الصلاة والتسليم.



(١) سورة محمد الآية ٣٨.

المجلس التاسع

تسبيح وحمد وثناء

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نطفة فجعله سمياً بصيراً، وألزمه الحجة بإيضاح المحجة، إما شاكراً وإما كفوراً. فمن شكر لأنعمه لقاءه من كرمه نضرة وسروراً، وسقاه من مدام ديمه شرباً طهوراً، ومن كفر أعد له سلاسل وأغلالاً وسعيراً واستقبل به يوم حشره بعد عذاب قبره يوماً عبوساً قمطيراً. ذلك أنه اتبع غير سبيل المؤمنين، وابتدع من رأيه ما ليس من شرائع الدين، وترك الاعتصام بسنن المرسلين. فويل له إذا قام يوم حشره من حفرة حاسراً حسيماً، ولقى حساباً قد حرره عليه الحاسبان تحريراً ﴿١﴾ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً ﴿٢﴾.

سبحان من تسبح بحمده الحركات والسكون، وتشهد بحكمته الحياة والمنون ﴿٣﴾ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴿٤﴾: يخرجون حفاة وعراة عُرا، يرجو محسنهم من ثوابه فضلاً، ويخاف مسيئهم من عقابه عدلاً، فيومئذ لا يظلمون نقيراً ﴿٥﴾ وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ﴿٦﴾ خضع لهيبته كل صعب وذلول، وافتقر إلى

(١) سورة الإسراء الآية ١٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٥ .

(٣) سورة الإسراء الآية ١٧ .

توفيقه كل عليهم وجهول، إذا حكم فبالعدل يحكم، وإذا قال فبالحق يقول، وإذا سامح فالأمر يسهل، وإذا ناقش فالحساب يطول.

فطوبى لمن كان له من سوء الحساب مجيراً؛ لقد سعد سعادة الأبد وفاز فوزاً كبيراً.

أحمده وأشكره، ولم يزل بالحمد والشكر جديراً؛ وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أشرب بها من سلسيل الجنة عذباً نميماً؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله إلى الخلق كلهم بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً.

اللهم اهد من صلاتنا وسلامنا إليه، وإلى آله وأصحابه الذين جاهدوا بين يديه، ما يكون حسن الجزاء عندك؛ خصوصاً: على الصديق الأفاضل، والخليفة الأول، والإمام المبجل. أبي بكر الصديق الذي سبق إلى الإسلام أحراراً وعبيداً، وإنائاً وذكوراً. وعلى الفاروق الأكبر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، الذي أصبح به الإسلام ظاهراً، وقد كان مستوراً. وعلى جامع الأمة على القرآن بعد اختلافها، والباذل نفسه دون دينه حتى أوردتها موارد تلافها: أمير المؤمنين عثمان بن عفان، الذي ابتلى في كتاب الله وكان على البلاء صبوراً. وعلى أبي السبطين السيدين، أبي محمد الحسن، وأبي عبدالله الحسين؛ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحائز من آيات الفرقان نصيباً موفوراً ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ وكان ربك قديراً ﴿^(١)﴾. وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وعلى سائر عباد الله الصالحين. صلاة متصلة، صباحاً، ومساءً، ورواحاً، وبكوراً.

اللهم ونحن من جملة عبادك الفقراء إلى مزيد فضلك، ودوام مدارك، فاجعل لنا من لدنك سلطاناً نصيراً، حتى نجاورك في جنة عرضها السموات

(١) سورة الفرقان الآية ٥٤.

والأرض، حَشَوْتَهَا برحمتك، وجعلت لباس أهلها حريراً ﴿متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾^(١)، وأشركنا في صالح دعاء المسلمين وأشرك المسلمين في صالح دعائنا، يا من لم يزل بكل شيء خبيراً، وعلى كل شيء قديراً.

تنبيه العقول العاقلة، يورث حرث الآخرة على حرث العاجلة. وبالاستقامة على السيرة العادلة، تظهر جواهر النفوس الفاضلة. فطالب الاستقامة محتاج إلى طريق السلامة، من سلكها بعدما عرفها وصل إلى دار الكرامة. فمن عزم على سلوك طريق الجنة، فليجعل دليله علوم الكتاب والسنة. وإنما يهتدي بالعلم لمراد قائله خبير، فلهذا ألزم أئمة السلوك الاشتغال بعلوم التفسير.

* * *

(١) سورة الإنسان الآية ١٣.

تفسير أوائل سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿الر﴾ قال : أنا الله أرى . وقال سعيد بن جبير : ﴿الر﴾ ، ﴿حم﴾ ، ﴿ن﴾ : هو اسم الله الرحمن . وقيل : (الألف) آلاؤه . و (اللام) لطفه . و (الراء) ربوبيته . وقوله : ﴿أحكمت آياته﴾ : أي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب التي قبله . ﴿ثم فصلت﴾ : أي بينت بالأحكام والحلال والحرام . وقوله تعالى : ﴿من لدن حكيم خبير﴾ : أي من عند حكيم بتدبير الأشياء وتقديرها ، خبير بما تؤول إليه عواقبها . ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أي لا توحيدوا ولا تطيعوا إلا الله . ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾^(٢) : أي قل يا محمد إنني من عند الله (نذير) أنذركم عقابه على معصيته وعبادة الأصنام ، و (بشير) أبشركم بثواب الله على طاعته وإخلاص عبادته . ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾^(٣) : أي اطلبوا من ربكم مغفرة سالف ذنوبكم ، وتوبوا إليه بالرجوع عن مخالفته في بقية أعماركم . ﴿يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى﴾^(٣) : أي إذا استغفرتكم ربكم وتبتم إليه بسط لكم

(١) سورة هود . الآية ١ .

(٢) سورة هود الآية ٢ .

(٣) هود الآية ٣ .

من الأرزاق، ومد لكم في الأعمار إلى وقت الموت وهو الأجل المسمى . وقيل :
 المتاع الحسن هو أن يرضيهم بما أعطاهم . وقيل : هو استعمالهم بطاعته ومعرفة
 حقه ؛ فإن الله منعم يحب الشاكرين ، وأهل الشكر في مزيد من الله تعالى ، وذلك
 قضاؤه الذي قضى ، وذلك يعني أنكم أيها المسلمون قد أطعتم ربكم في
 الاستغفار والتوبة وقد أنجز لكم ما وعد المستغفرين والتائبين من المتاع الحسن ؛
 فإنه سبحانه قد عفا عنكم في أبدانكم ، ووسع لكم في أرزاقكم ، وأمنكم في
 أوطانكم ، وأعلاككم على عدوكم ، وشرفكم على أهل الملل ، وعصمكم من الردة
 المحبطة للعمل ، وستركم وجبركم ، وآواكم ونصركم ، فاعرفوا الله حق نعمته عليكم ،
 وطالبوا أنفسكم بواجب طاعته . ﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ ^(١) . قال
 الضحاك : ﴿ ويؤت كل ذي فضل فضله ﴾ من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ، ومن
 عمل حسنة كتبت له عشر حسنات ؛ فإن عوقب بالسيئة التي كان عملها في
 الدنيا بقيت له عشر حسنات ، فإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من الحسنات
 العشر واحدة ، وبقيت له تسع حسنات ؛ ثم يقول هلك من غلب آحاده أعشاره .

ثم قال تعالى : ﴿ وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير ﴾ ^(٢) أي
 وإن تعرضوا عما دعوتكم إليه من اخلاص العبادة لله والاستغفار والتوبة ، فإني
 أخاف عليكم عذاب يوم كبير ، أي كبير هَوْلُهُ وهو يوم القيامة . قال مقاتل إن لم
 يتوبوا في الدنيا فحبس الله عنهم المطر سبع سنين حتى أكلوا العظام والميتة .
 وقيل : معنى قوله ﴿ أخاف ﴾ بما يعلم . وإنما عبر عن العلم بالخوف لأن العلم
 يوجد الخوف وأشد العصمة .

(١) (٢) سورة هود الآية : ٣ .

على قدر علم المرء يعظم خوفه فلا عالم إلا من الله خائف
فأمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف

* * *

﴿ إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ﴾^(١): وصف لهم نفسه
بالقدرة حتى لا يعتقدوا بجهلهم عجزه، فيخالفوا أمره فيستوجبوا عقابه، فأعلمهم
بقدرته قبل حلول نعمته من جملة بره ولطفه وقدرته ورأفته؛ فإذا كان هذا لطفه
بأعدائه، فكيف يكون عطفه على أوليائه.

قال الضحاك بن قيس رضي الله عنه: قال ﷺ: « يا أيها الناس اخلصوا
أعمالكم لله، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما خلص لوجهه، ولا تقولوا: هذا الله
وللرحم، فإنه للرحم وليس لله منه شيء، ولا تقولوا هذا الله ووجوههم، فإنه
لوجوههم وليس لله منه شيء »^(٢). وعن أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول
الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة صارت أمتي ثلاث فرق - فرقة يعبدون الله خالصة -
وفرقة يعبدون الله رياءً - وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس. فإذا جمعهم الله
قال للذي كان يستأكل به الناس: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال: بعزتك
وجلالك أستأكل بها الناس. قال: لم ينفعك شيء مما جمعت، انطلقوا به إلى
النار. ثم يقول للذي كان يعبد رياءً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال:
بعزتك وجلالك أردت بها رياء الناس. قال: لم يصعد إلي منه شيء، انطلقوا به
إلى النار. ثم يقول للذي كان يعبد خالصةً: بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟
قال: بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك مني، أردت بها وجهك وذكرك. قال:
صدق عبدي! انطلقوا به إلى الجنة »^(٣).

(١) سورة هود الآية: ٤.

(٢) لم أفق عليه في الكتب التي اطلعت عليها.

(٣) لم أفق عليه في الكتب التي طالعتها.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال: « يا رسول الله أوصني . قال : اخلص دينك يكفك القليل من العمل »^(١).

وقال يحيى بن معاذ: كونوا عباد الله بأفعالكم، كما زعمتم أنكم عبيد الله بأقوالكم. وقال البناجي: ما التنعم إلا في الإخلاص، ولا قرة العين إلا في التقوى، ولا راحة إلا في التسليم.

حدث القوم عن حقيقة الأمر فصدقوا، ونظروا في علل الأعمال فدققوا، ونصحوا لنا في وصاياهم، وعلينا أشفقوا، وتأدبوا بالعلم والعمل، فلم أحكموه فضلوا، فإن تقتدوا بهم تهتدوا، وإن تسابقوهم تسبقوا، أين البطل من الأبطال؟ متى يدرك الأطفال مساعي الرجال.

بلغ الرجال نهاية الآمال	في سيرهم بالشّد والترحال
نالوا المنى لما سمّت لمناله	من عَزَمَهم هم هناك عوال
لم يَنكَلوا في قصدهم ومسيرهم	حتى أنَاخُوا بالجناب العالي
هذا هو الأمرُ الرّشيد ومنه	تهى المرمى البعيد وغاية الآمال

* * *

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک عن أبي العباس محمد بن يعقوب ثنا بحر بن نصر حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني يحيى بن أيوب المصري عن عبيد الله بن زهر عن الوليد بن عمران عن عمرو بن مرة الجملي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ حين بعثه إلى اليمن وساق الحديث بنحوه.

ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. (٣٠٦/٤).

قال الذهبي في التلخيص (٣٠٦/٤) بهامش المستدرک. قلت: لا. أي لم يوافق الحاكم.

وأخرجه أيضاً ابن أبي الدنيا في الإخلاص وابن أبي حاتم.

وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية بسند الحاكم نفسه إلا أنه قال بدلا من الوليد بن عمران « ابن أبي عمران » وساق الحديث موافقاً للفظ المؤلف. (٢٤٤/١).

(جمع الجوامع: ٢٨/١)

مدح التواضع وذم الكبر

ألا ذو طبع كريم يسمو إلى هذا الفضل العظيم؟ ألا ذو قلب سليم يراعي حفظ العهد القديم؟ إنما يقدر على الوفاء بعهد يوم الميثاق من كان سليماً من النفاق، إنما يحن إلى مرافقة الرفيق الأعلى من كان طبعه كريماً. من نسي عهود ربه فقد استحوذ الشيطان على قلبه. من خالف سنة نبيه فقد نظم الشيطان في حربه.

قال الإمام أحمد رحمه الله: ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان. قيل: ولم؟ قال: ظهرت بدع فمن لم عنده حديث وقع فيها. وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إن لله تعالى ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، فلا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم؛ وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة. لو أن المبتدع تواضع لكتاب الله وسنة نبيه لا أتبع ما ابتدع، ولكنه أعجب برأيه فاقتدى بما اخترع، فالتواضع أصل كبير يتفرع منه شيء كبير.

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ما من رجل يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تحل له الجنة أن يريح ريحها ولا يراها »^(١). وعن فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: « ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل ينزع الله رداءه الكبرياء، وازاره العزة. ورجل في شك من أمر الله. ورجل يقنط من رحمة الله »^(٢). وعن سليمان بن عامر رضي الله عنه قال: قال

(١) أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث ٢٤٩ وأخرجه أيضاً أبو داود في اللباس باب ما جاء في الكبر (٥٩/٤) وابن ماجه في مقدمة سننه (٢٣/١) والترمذي في جامعه كتاب البر والصلة باب ما جاء في الكبر والدارمي في سننه في المقدمة منها وأحمد في مسنده ولم أفتن على الحديث بنفس رواية المؤلف له.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد كاملاً ولفظه « ثلاثة لا يسأل عنهم رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصياً فلا يسأل عنه وأمة أو عبد أبى من سيده وامرأة غاب عنها زوجها وكفأها مؤنة =

رسول الله ﷺ: « أرأيتم سليمان بن داود عليه السلام، وما أعطاه الله من الملك، فإنه لم يكن يرفع رأسه إلى السماء تخشعاً حتى قبضه الله »^(١).

وقال الفتح بن شخوف رحمه الله: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المنام، فسمعتة يقول: التواضع يرفع الفقير إلى الغنى، وأحسن من ذلك تواضع الغني الفقير. إنما جعل ترفع الفقير على الغني من التواضع، لأن الفقراء قوم فرغ الله قلوبهم، وجعل رحيق محبته مشروبهم، وأطال على باب خدمته وقوفهم، وجعل رضاه وقربه مطلوبهم، وغضبه وبعده مخوفهم؛ فهم من خشيته مشفقون، ومن هيئته مطرقون؛ إن تواضعوا فلرفعتة، وإن تذللوا فلعزته، وإن طعموا في صدقته، وإن خضعوا فلعظمتة، إلى الله افتقارهم، وبالله افتخارهم، وإلى الله استنادهم، هو كنزهم وعزهم وفخرهم وذخرهم ومعبودهم ومقصودهم.

ومن كان بهذه الرتبة فمتى تواضع لغير الله أخل بمركز الأدب، واستبدل الخزف بالذهب. من كان رب العباد مقصوده فهو لكل العباد مقصود. قل للعاملين لغير الله: يا عظم خسرانكم!

وقل للواقفين بغير باب الله: يا طول هوانكم! وقل للأميين لغير فضل الله: يا خيبة آمالكُم! وقل للعاملين لغير وجه الله: يا ضيعة أعمالكم!

= الدنيا فتبرجت وتمرحت بعده وثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه فإن رداءه الكبرياء وإزاره عزة ورجل شك في أمر الله والقنوط من رحمة الله. . رقم: ٥٩٠ وراجع فضل الله الصمد (٤٦/٢). وأخرجه أيضاً أحمد تاماً (١٩/٦) وابن أبي عاصم رقم ٨٩ راجع السنة بظلال الجنة (٤٣) والألبان في السلسلة الصحيحة رقم ٥٤٢: وفي صحيح الجامع رقم ٣٠٥٤ وصححه وأخرجه أيضاً الحاكم دون الشطر الثاني (١١٩/١).

وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا بجميع رواته ولم يخرجاه ولا أعرف له علة ووافقه الذهبي. قلت: قال الألبان: وقدوهما في بعض ما قالوا فإن أبا علي الجني لم يخرج له الشيخان في صحيحهما وأبو هاني واسمه حميد بن هاني لم يخرج له البخاري. وقال: أيضاً قال ابن عساكر: حسن غريب تفرد به أبو هاني ورجال اسناده ثقات (رقم ٥٤٢). (١) لم أقف عليه في الكتب التي طالعته.

الأسباب كلها منقطعة إلا أسبابه، والأبواب كلها مغلقة إلا أبوابه .

جناب الله أعلى مرتقى تسمو إليه همم المرتقين، ليس دونه مقنع للطالبيين، ولا وراءه مذهب للسالكين .

سلام الله ورحمته وبركاته على همم لا يرضيها إلا قرب الله ومرضاته، ما حلا لها غير ذكره، ولا انقادت لسوى أمره، فهي الدهر في طاعته وشكره، على حلو العيش ومره، ويسر الأمر وعسره .

أولياء الله لا يحبون ولا يبغضون إلا في الله، ولا يشتاقون ولا يحبون إلا لله، ولا يتوكلون ولا يعتمدون إلا على الله .

إذا صفا مشرب معاملة الله لم ينالوا كدر المشارب، وإذا أئعن لهم مذهب السلوك إلى الله لم يهتموا لضيق المذاهب، وإذا ظنوا أن الله عنهم راض لم يكثرثوا بغضب غاضب، وإذا لم يكن رسول الله ﷺ عليهم عاتب لم يشغل قلوبهم عتب عاتب .

رضا رسول الله ﷺ علامة على رضا مرسله، والعمل بالقرآن دليل على الإيمان بمنزله، فاتلوا كتاب الله وتدبروه، وعظموا رسول الله ﷺ ووقروه .

اللهم صل على سيدنا محمد وآله الكرام، ما نسخ النور الظلام . واضرب سرادقات حفظك علينا، ولا تقطع عنا مواد إحسانك إلينا، واحرسنا من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن خلفنا ومن بين أيدينا، إفعل اللهم بنا ذلك وسائر المسلمين، ولا تخلنا وإياهم من رحمة تذكركنا بها، يا أرحم الراحمين .

* * *

المجلس العاشر

غوائل الشيطان

الله أكبر، ما تعاقبت الأيام والليالي .

الله أكبر، في كل مقر، وفي كل سافل، وعلى كل شرف عالٍ .

الله أكبر، ما أقبل عام، وأدبر عام .

الله أكبر ملء بياض النهار وسواد الظلام .

الله أكبر، في بطن كل واد، وعلى ظهر كل شرف .

الله أكبر، تكبيراً يوجب النجاة، وينقذ من التلف .

كل العباد إلى رحمته فقير، وفي نعمته مغمور، محتاج إلى خفي لطفه
وخفي عنايته . هل لكم من إله سواه، يجبر كسرکم، ويكشف ضرکم، ويمدکم
بأموال وبنين، ويحييکم على تعاقب السنين، حتى تبلغوا من العمر غاية
أجالکم، وقد أراکم عجائب الآيات في تصرف أحوالکم فليس منکم من نزل به
نازله مماته إلا وقد عرف ربه في تصرف حالاته؛ فارحموا أنفسکم من متابعة
هواها، ومساعدتها على نيل مشتهاها .

* * *

بُلِيتْ بِنَفْسٍ لَا يَزَالُ هَوَاهَا يَقُودُ إِلَى نَارٍ تَدُورُ رَحَاهَا
وَمَالَ النَّفْسِ لِلشَّيْطَانِ إِلَّا مُسَاعِدٌ عَلَى عَصْمَتِي حَتَّى تَحُلَّ عَرَاهَا

ومن يُحِلِّلُ الشَّيْطَانُ عِصْمَةَ دِينِهِ هَوَى فِي سَعِيرٍ لَا يُطَاقُ لَهَا
أَخِي إِنْ أَرَدْتَ النَّجْحَ وَالْفَوْزَ بِالْمَنَى فَخَالَفَ مِنَ النَّفْسِ الْكَنُودِ^(١) هَوَاهَا
وَلَا تَتَّبِعْهَا فِي السَّلُوكِ فَإِنَّهَا تَضِلُّ عَنْ نَهْجِ الْهُدَى بِعَمَاهَا

* * *

ما احترس الإنسان من غوائل الشيطان بمثل نهى النفس عن الهوى، ولا
استعان على قمع هوى النفس بمثل الزهد في الدنيا.

متى أردت أن تعرف أن الدنيا والآخرة ضَرَّتَانِ فاعتبر ذلك بجوارحك، لأنها
أبواب دنياك؛ فإن دخلت عليك من لسانك: أطلقته في الباطل وفيما ليس له
حاصل، وشغلتك عن التلاوة والذكر، وأوقعتك في لغو الكلام والزور وقول
الفجور؛ وإن دخلت عليك من بصرِكَ: أرسلته في النظر إلى المحرمات المردية،
وشغلتك عن النظر في المصحف وكل ما فيه عبرة للناظر ونور للخاطر؛ وإن
دخلت عليك من سمعِكَ: أمالته إلى سماع كل لهو وباطل، وشغلتك عن سماع
ما نفعه إلى القلب واصل؛ وإن دخلت عليك من بطنِكَ: كسلت عن الطاعات،
وأبسطت إلى الشهوات، وأعمت عن الفكر والذكر بصيرة قلبك، وقادتكَ إلى كل
ما فيه سخط ربك؛ وإن دخلت عليك من فرجِكَ: فإن كان حلالاً: أوهن القوة،
وبلّد الفطنة - وإن كان حراماً: ما زاد على ذلك إلا زوال النعمة وحلول النقمة.

وجملة القول في ذم الدنيا: أنها لا تدخل على أحد قط إلا أدخلته بحرامها
في عقاب، ومنعته بحلالها عن ثواب.

سبحان الله.. ما أهون الدنيا عليه، وما أبغضها إليه. أهل الدنيا بحرامها
مغرورون، وبخدعها مغبونون، وبتحصيلها عن الآخرة مغمورون شاغلون

(١) «الكنود» كَنَدَ: كفر النعمة.

﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾^(١).

* * *

أهل المَشَاغِلِ بالدُّنيا وزينتها	عن ذكر ربِّهم ساهون لاهونا
لو أنَّهم قنَعُوا مما يبلغهم	لعَجَّلُوا راحةً مما يقاسونا
تفوتُ ذي الدار الأخرى وهي فانيةٌ	يا ويلَ عُشَّاقها مما يُلاقونا
لا دارهم لهم في الدَّهر باقية	كلًّا ولا هم لما في الدَّهر باقونا

* * *

أسباب الغفلة

اغتنم مواسم الأرباح فقد فاتت أسواقها، وداوموا ما دامت أبواب التوبة مفتحة فقد حان إغلاقها، وانتهزوا فرصة اليسار في دار القرار ففد آن من أقمار الأعمار محاقها، وبادروا هجوم الآجال فشمس المنية قد أذف إشراقها، وأعدوا ليوم الحساب صواب الجواب فإنما يحاسب الخليفة خلَّاقها.

واغوثاه بالله من ثقل هذا الرماد، ما أخوفنا أن تستمر غفلتنا إلى يوم التناد.

أعظم الأسباب في توليد الغفلة أمران: أحدهما - امتلاء البطون. والآخر - معاشرة البطالين. فعليك بالجوع والعزلة إن أردت العتق من رق الغفلة.

إذا أردت أن يعتزلك الناس فاصمت عن محادثتهم، فإن أكثر مواصلات الناس بينهم بالكلام، فمن صمت عنهم اعتزلوه.

لا أضر على العبد من أمرين: - غفلته عن ذكر الله. - ومخالفته لأمر الله.

(١) سورة الروم الآية: ٧.

الغفلة تحرم الريح، والمعصية توجب الخسران. الغفلة تغلق أبواب الجنة، والمعصية تفتح أبواب النار.

خلق الله سبحانه تعالى الجنة والنار للأبد، وخلق السماء والأرض إلى أمد؛ فمن عوفي من رقاد الغفلة وسقام المعصية خرج عن النار وأدخل الجنة؛ ومن بقي برقاد غفلته فليس له في الجنة ولوج؛ ومن بقي بسقام معصيته فليس له من النار خروج. فأما السماء والأرض فمحكوم لهما بالبوار، وليس لأحد في واحد منهما قرار. ففروا إلى الله مما يشغل عنه كل الفرار، واستجيروا به من الغفلة والمعصية، فهما فوات الريح وإلحاق الخسران.

* * *

يا	طول	حزن	الغافلينا	عن	ذكر	رب	العالمينا
يا	هضمهم	يوماً	يرون	ثواب	ذكر	الذاكرينا	
ستطول	حسرتهم	لما	كانوا	به	متشاغلينا		
يتحسرون	على	فوا	ت	من	فعال	الطائعين	
هذا	حال	الغافل	من	فكيف	حال	الخاملينا	
يا	ويلهم	يوماً	يجازي	الله	فيه	العالمينا	
يا	حسرة	يصلون	جه	رتها	خزايا	نادمينا	

* * *

يتلهفون على فوات دخولهم في الصالحين. يا سامعاً هذا الكلام اسمع مصاب الهالكين، واعمل على تخليص نفسك من شباك القانصين^(١).

نبهنا الله وإياكم من رقدة الغافلين، ورزقنا وإياكم مجاورة الصالحين، ونور

(١) جمع قانص وهو الصياد.

بصائرنا وبصائرکم بما نور به بصائر الموقنین، وزودنا وإیاکم التقوی فأن العاقبة للمتقین.

ونسأله سبحانه أن یضاعف صلواته وسلامه علی سیدنا محمد خاتم النبیین، وآله وصحبه أجمعین.

* * *

المجلس الحادي عشر

ذكر الموت

اللهم صلى على سيدنا محمد الذي أرسله الله بالدين القيم الصواب، واختصه الله بالكتاب المنير الثاقب، وجباه بالفضل المبين الراتب، وأحله من منازل الشرف في أعلى المراتب.

بمحمد تصفو الموارد هماً على الصماء المقارب، عبد حباه ربه بنفيس مخزون المواهب، أعطاه من إحسانه فأفاق همه كل طالب، وحمى أباه وأمه من كل ما للعرض ثالب، آباؤه من عهد آدم كلهم في المجد راتب، يتزهون عن الفواحش والمعائب والمثالب، حتى أقروه بأشرف منصب من آل غالب، قوم لهم شرف يفوق المناسب والمناصب، حملت به البكر بطالع في السعد ثاقب، حتى إذا ما حان مولده المفرج للكرائب، جاءت به بدرأ أضاءت له المشارق والمغارب، وجلا بطلعته المنيرة دجى الكفر الغياهب، وتباشرت بقدومه الأفلاك حافلة الكواكب.

يا رب بلغنا به ولجميع من في الخير راغب:

عفواً ومغفرة وفوزاً بالمواهب والرغائب، حتى نرافق أحمد بالخلد في أعلا المراتب .

سبحان من كتب الموت على من تحت عرشه . سبحان من تفرد بالوجود الأزلي ، والبقاء السرمدي ، دون خلقه .

سبحان من ساوى بين البرية في ورود حياض المنية ، فلا القوي يعتصم منها بقوته ، ولا العزيز يرتفع عنها بعزته ، قضاء وفضل سبقت به إلا إلهيته والأقدار ، وحكم عدل حكم به من كل شيء عنده بمقدار ؛ فمن سخط فله السخط ، ومن رضي فله الرضا ، لأن القدير إذا طلب أدرك ، وإذا حكم أمضى .

سكرة الموت لا تحيا إلا بالحق ، والرضا بالحق واجب على جميع الخلق .

إن لملك الملوك قدرة دائرتها محيطة لا يخرج عنها دودوح من سكان البسيطة .

فالحمد لله على رحمته فيما من به من الحياة ، وعلى حكمته فيما حكم به من الممات ، والحمد لله الذي يحيينا بعد الوفاة ، ويجمعنا بعد الشتات ؛ إن عاملنا بما نحبه فمن خزائن الرحمة والفضل ، وإن فعل بنا ما نكرهه فمن باب الحكمة والعدل ، فشكره واجب علينا إذا ذكرنا بفضلته ، والرضا عنه لازم لنا إذا عاملنا بعدله ، وكل ذلك مما سطرته أقلامه وشرعته أحكامه .

تقدس الذي صنع فأتقن ولم يكن له في صناعته مشير ، وخلق فأحسن ولم يكن له على خلقه ظهير ، ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾^(١) .

- أما بلوى الحياة : فإن راميتها يصلح لكسب الخير والشر ، فكاسب الخير صابر على مصير أهله ، وكاسب الشر سيجزى على فعله بمثله .

(١) سورة الملك . الآية ١ - ٢ .

- أما بلوى العباد: فإذا حضرتهم الوفاة إنقسموا إلى محب وكاره للفناء، وراض وساخط للقضاء؛ فمن مات على حال من هذه الأحوال خُتم عمله بها وألحق بأهلها. فقوله: ﴿ ليلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ معناه - يختبركم فينظر أيكم له أطوع، وإلى رضاه أطلب وأسرع.

وفي الحديث: عنه ﷺ أنه كان يقول: « إن الله أذل ابن آدم بالموت » (١).

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليلوكم ﴾ قال: أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء ودار بقاء. . فقد اتضح بهذا الحديث والأثر أن في الموت حكمة لمن أراد التدبر، وعبرة لمن اعتبر.

- فمن الحكمة في الموت: وضع عماد المتكبرين، وتنغيص حياة المترفين، وتكذيب ظنون الأملين، وتنبية عقول الغافلين، وإزعاج قلوب المطمئنين، ورفع أيدي المتسلطين، وتخفيف أثقال العبادة عن العاملين، وفوز المحبين بلقاء من كانوا إليه مشتاقين.

ولو لم يكن في الموت إلا أنه قضاء رب العالمين، لكان الرضا به فرضاً لازماً لجميع المؤمنين.

الموت انقطاع عن دار الفناء، واتصال بدار البقاء، وخروج من دار العمل، ودخول في دار الجزاء.

الموت راحة المسيء والمحسن؛ أما المسيء فينقطع عنه استمرار طغيانه، وأما المحسن فيفيض إلى دار الجزاء على إحسانه. الموت فيه لقاء الأحباب، وإحراز الثواب فليس يكرهه إلا مريب مرتاب.

* * *

(١) لم أقف عليه في الكتب التي طالعها.

الموتُ فيه تواصلُ الأحباب و به حياةُ المؤمن الأواب
يشتاقه البرُّ المطيعُ لأنه يفضي إلى زُلْفى وحُسن مآب
يحلُّو المماتُ لمن رَجَا بمماته لُقيا الكريم الماجد الوهاب
ويحيد منه كافرٌ أو فاجرٌ قد يشرده سَخَطه وعقاب
فامهدُ لنفسك قبل موتك موقناً أن الممات مقطع الأسباب
واعلم بأنك عن قريب خالِدٌ في دار خلد أو أليم عقاب

* * *

سيصحو السكران من سكره، حين لا يمكنه تلافي أمره.

سيندم المضيع على تضييعه، إذا قابله أمر صنيعه، سيقصر الأمل من أمله،
وقت هجوم أجله، ونفاد أكله، وتعذر الزيادة في عمله، والخروج من أهله
وماله؛ هنالك يستحيل حلو العيش مُراً، وينقلب عرف الأمر نكراً، ويعلم جامع
الحطام أن الباقيات الصالحات أنفع ذخراً.

ليس في ظل الدنيا مقليل، ولا على هذه الحياة تعويل، كيف يطمع في
الإقامة في دار الرحيل؟ كيف يضحك من هو محفوف بموجبات العويل.

أسمعنا الغير فتصاممنا، وأيقظتنا الغيرُ فتناومنا، ورضينا بالحياة الدنيا من
الآخرة، واشترينا ما يفنى بما لا يفنى، فتلك إذا صفقة خاسرة.

أين الآذان الواعية؟ أين الأعين الباكية؟ قول بلا فعال، وأمر بلا امثال؛
رسل ملك الموت على أنفسنا في كل نفسٍ واردة، وأجساد أحببتنا تحت أطباق
الثرى هامدة، قد أوحشت منهم ديارهم، ودرست رسومهم وآثارهم، وحالت في
اللحود أحوالهم، وتقطعت بالبلاء أوصالهم، ومحت أيدي الحوادث والغيرِ
والقبور محاسن تلك الصور، وأطبقت عليهم ظلمات تلك الحفر، فلا شمس
فيها ولا قمر ونحن عمّا قريب إلى ما صاروا إليه صائرون، وبالكأس الذي شربوا
منه شاربون، ثم مع هذا اليقين إلى دار الغرور راكنون! فإذا الذنوب قد رانت

على القلوب ، وقلة حياء من مراقبة علام الغيوب .

فيا ويح نفس عما يراد بها غافلة ، لا تستعد لما هي إليه صائرة ، وعليه
حاصلة ، ولا تزهد فيما هي له مفارقة ، وعنه زائلة .

نور العارفين

* * *

إلى من أشكو ألومُ نفسٍ شحيحةٍ	على الخير قد أضنى فؤادي علاجها
إذا سألتني شهوةً منعتها	أدامت سُؤالي واستمرت لجاجها
وإن سُميتها خيراً تفوزُ بنفعه	غداً نفرت منه ودام أمر انزعاجها
فقد ضقتُ يا مولاي ذرعاً وأظلمت	على الأرض الفضاء فجاجها
فهب لي يا نور السموات فطرةً	يضيء لعيني في السلوك شراحها

* * *

الله نور السموات والأرض ، فمن لم يستر قلبه بالله فهو في ظلمات بعضها فوق بعض .

من كثرت رؤيته الأنوار في منامه فالغالب عليه الذكر ، ومن كثرت رؤيته
المصابيح النارية فالغالب عليه الفكر .

أهل الذكر يستمدون من العقل ، والإيمان أشرف من العقل ، فمزيته عليه
كمزية ضوء النور على ضوء النار في الفضل .

قال بعض العارفين : نمت ليلة وعندي قنديل مسرّج ، فرأيت النبي ﷺ وقد
جاء في صورة المنكر عليّ وهو يقول : أما علمت أن النور للمحمدي والنار
للموسوي ، ثم أشار إلى القنديل بيده فأطفأه ، فانتبهت والقنديل قد أطفئ ؛
فاشكروا الله يا أتباع محمد المصطفى ، فنوركم بمتابعته نور لا يطفأ .

جعل الله دينكم أسهل الأديان وأسمحها، وكتابكم أوضح الكتب وأحكمها، ونبىكم أرحم الأنبياء بأمته وأنصحها.

جعلنا الله من أتباعه المفلحين باتباعه، وجعلنا من العاملين بكتابه، وحشرنا في جملة أحبابه، فإنه لا حول ولا قوة لنا إلا به.

* * *

المجلس الثاني عشر

الميثاق

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾^(١):

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الميثاق) العهد. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد بأنه إن بُعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أخذ الميثاق على النبيين وأممهم، فاكتفى ربكم بالنبيين.

وأما: ﴿ الإصر ﴾ فهو العهد.

وقوله: ﴿ فَاشْهَدُوا ﴾ أي فاشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم بذلك فالمستشهدون هم الأنبياء. وقيل: الملائكة.

فصلوات الله على صاحب المقام المحمود، المأخوذ على الأنبياء بنصرته العهود، والله وملائكته على ذلك لشهود.

وهذا من أقوى البراهين، على تفضيل محمد ﷺ على سائر الأنبياء

(١) سورة آل عمران. الآية ٨١.

والمرسلين . ومن كان أفضلهم فهو أفضل الخلق أجمعين .

زار في جُنجِ الدُّجى طيف الخيال	من بديع الحُسن فتان الجمال
زورةٌ أحيت كئيلاً شفه	مضضُ العذل وتبريح المطال
عاش بالوصل وقد كان قضى	وقتل الهجر يحي الوصال
يا له من زائر حلّ الدجا	منه إشراق جبين كالهلال
مثل ما حلّ بأنوار الهدى	مولدُ الهادي دياجير الضلال
أحمد المختار ذو المجد الذي	سَادَ بالعزّ منيفات المعال
شرّع الشرع لنا من بعد ما لم	نك نذري حراماً من حلال
نَسَخَتْ ملته ما قبلها وأحا	لت حَالُ أصحاب المحال
بكتاب حَيَّرَ آياته بالكَلَا	م الفضل ألباب الرجال
كان أهل الأرض في سجن العمى	من ظلام الكفر والداء العضال
فتبدّت لهم أنواره كما	البدر بدا عند الكمال
فلهذا قُلت في مدحي له	عزٌّ لا يشبه منظوم الهلال
زار في جُنجِ الدجا طيف الخيال	من بديع الحسن فتان الجمال

المجلس الثالث عشر

يوم الوعيد

الحمد لله ما انتظمت بتدبيره الأمور، واعتقت بتصرفه الدهور، ووسع
المقترفين عفوه وغفرانه، وعم المفتقرين بفضلته وإحسانه. خرّت لعظمته جباه
العابدين، فطوبى لمن عبّد. واعترفت بوحدانيته قلوب العارفين فويل لمن
جحد.

لا راتق لما فتق، ولا فاتق لما رتق، ولا رازق لمن حرم، ولا حارم لمن
رزق.

فإذا افتقرت إلى الرزق فقل: يا مغني المفتقرين. وإذا ضللت فقل: يا
دليل المتحيرين. وإذا تعاظمت عليك أهوال القيامة فقل حسبي أرحم الراحمين.

الإيمان بيوم القيامة يخف به النطق على اللسان، ويثقل العمل به على
الجوارح، ويسهل الإقرار به على من يدّعي الإيمان، ويعسر استقراره بين
الجوانح.

كم من مقر بالعرض على الديان وهو مرتكب للقبائح، يزحف إلى الطاعة
زحفاً بطيئاً، ويجري إلى المعصية جرياً حثيثاً، ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى
يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾^(١).

(١) سورة النساء الآية ٨٧.

لو كنت من المصدقين بيوم القيامة لكنت من أهواله خائفاً، ولو سلكت سبيل طلاب السلامة لم تكن للأمر مخالفاً، ولو رغبت فيما أعد الله لأوليائه من الكرامة لم تزل في الخدمة واقفاً، ترجو رجاء طيباً وتعمل عملاً خيبشاً. ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾.

المصدقون بيوم القيامة أكياس دانوا أنفسهم وعملوا لما بعد الموت؛ ثبتت عقائدهم في قلوبهم بالنص والقياس، فشمروا خشية الموت؛ أيقظوا عقولهم من رقة النعاس حين أسمعهم الصوت، علموا أن ما بأيديهم من الدنيا سيصبح تراثاً موروثاً، وهباء مبثوثاً ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾.

* * *

وَسَيَرُوا إِلَى اللَّهِ سِيرًا حَثِيئًا	خَلِيلِي أَمَا مَطَايَا الرِّحِيلِ
بِالطَّيِّبَاتِ الْخَبِيثَا	وَلِيَاكُم أَنْ تَكُونَا كَمَنْ يُبَدَّلُ
فَقَدْ صَدَقَ النَّاصِحُونَ الْحَدِيثَا	وَلَا تُخَدَعَا بِأَمَانِي النُّفُوسِ

* * *

من لم يكن شغله بأمر آخرته، ولا مصلحة دنياه فشغله فضول.

فإياك والتفرغ لثلب أعراض الناس، فالعاقل عن ذكر الخاطئين مشغول. العاقل عن ذكر الوري مشغول، قد أيقن أنه غداً مسئول.

من أيقن أن ربه سائله، فالصارم فوق رأسه مسلول.

إذا أحببت أن تعلم العبد لا تسمعه التفرغ لغير ذكر ربه ونفسه، فتأمل أحوال العباد يوم القيامة، الكل في ذلك مهتمون بنفوسهم، ومحمد ﷺ مشغول بربه، يسجد السجدة بعد السجدة بين يديه، يمكث في كل سجدة ما شاء الله

يحمده ويشني عليه، وسادات المرسلين ينادون نفسي نفسي، ومن سواهم مشغول بكرهه، لا يعيد ولا يبدي.

كم في القرآن من ذكر يوم الوعيد، ولو لم يكن إلا سورة التكويد والانفطار، لكان كافياً لذوي الأسماع والابصار. فليت شعري، هل أنتم بالقيامة مصدقون؟ أم الموعود بها قوم آخرون؟ وأن عليها صدأ الذنوب، ومن ران الذنب على قلبه فهو من الآخرة محجوب.

* * *

عينُ جُودي بدمعكِ المسكوب قد	أَمَاتِ الْقُلُوبَ كَسْبَ الذُّنُوبِ
كيف ترجو الحياة للقلب والعب	دُ مُصْرَعًا عَلَى ارْتِكَابِ الْحُوبِ
أَدْعَى بِاللِّسَانِ أَنِّي آمَنْتُ	وَحَالِي تُؤْمِي إِلَى تَكْذِيبِ
أَيَّ عُذْرٍ عَدَدْتُ يَا نَفْسُ	لِلْمَوْقِفِ يَوْمَ الْفَقْرِ وَالتَّكْرِيبِ
يَوْمَ يَجْثُو مُوسَى وَعِيسَى وَابْرَأ	هَيْمٌ مِنْ هَوْلِ تِلْكَ الْخَطُوبِ
يُظْهِرُ الْحَقُّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِلْخَلْقِ	خَفَايَا مُسْتَوْدَعَاتِ الْقُلُوبِ
يَوْمَهُمْ بَارِزُونَ لَا شَيْءَ يَخْفَى	مِنْ بَعِيدِ مَنْهُمْ وَلَا مِنْ قَرِيبِ
كَيْفَ يَخْفَى شَيْءٌ عَلَى اللَّهِ مَنْأً	وَمِنْهُمْ عَلَامُ خَافِيَاتِ الْغُيُوبِ
يَتَوَلَّى الْحِسَابَ رَبُّ الْبَرَايَا	غَيْرِ مُسْتَوْرٍ وَلَا مُسْتَنْبِ
يَا حَيَّاءَ الْمُقْصِرِينَ الْمَسِي	ئِينَ يَوْمَ فَضْخِ الْغُيُوبِ
حَسْبُنَا رَبَّنَا وَلَيْسَ سِوَى	يُرْجَى لِفَاقَةِ الْمَرْنُوبِ

* * *

إن كنت أيها العاصي ساقطاً عن غير الله، فيكفيك سقوطك من عين ربك؛ وإن كنت من أهل الكرامة على الله، فبقدر كرامتك عليه يملكك على دينك؛ وإن كنت من أهل القربى، إشتد عتبه عليك من أجل قربك؛ وإن كنت من أهل البعد

اشتد هوانك عليه من أجل بعدك .

* * *

ما اشتد عليكم في جفاكم عتي إلا لعلو قدركم في قلبي
الحب حرام عند أهل الحب ما أوجع سوط البعد بعد القربي

* * *

من خصائص الذكر

بذكر الله تستنير القلوب وتحيا، فكل غافل عن ذكر الله فهو في ظلام .
الليل أغشى ولو أشرقت لعينه شمس الضحى ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾
فلهذا لا تستنير إلا القلوب التي هي بذكره ملاءى .

* * *

صَبَّ قَلْبُهُ عَلَى فَرْشِ الضَّنَا مُذْ غَبِثَ عَدَمُ الْمَسْرَةِ وَالْهَنَا
مَا اشْتَدَّ عَنْكُمْ بَعْدَ بُعْدِ مَزَارِكُمْ إِلَّا الصَّبَابَةُ وَالْكَآبَةُ وَالْعَنَا
لَكِنْ أَمَانِي الْوَصْلُ تَنْعَشُ قَلْبُهُ فَيَعِيشُ أَحْيَانًا بِتَرْوِيجِ الْمَنَا
وَتَهَبُّ مِنْ ذِكْرَاكُمْ لِفُؤَادِهِ نَسَمَاتُ الطَّافِ تَفْرُجُ مَا عَنَا
فَالذِّكْرُ أَغْنَى مَا لَفَاقَةَ قَلْبِهِ مَا لِلْيَتِيمِ مِنْ تَذَكُّرِكُمْ عَنَا

* * *

كيف يستغني المحب عن ذكر الحبيب زمان البعد والحجاب؟ والذكر هو
العوض لفقد الأحباب عما فقدته من نعيم الرؤية ولذيق العتاب .

المحب الصادق إما أن يكون إلى المحبوب ناظراً ما دام له عن وجهه

سافراً، وإما أن يكون له ذاكرة إذا لم يكن له في حضرته حاضراً.

* * *

كنتُ من قُرب دَارِهِم في نعيم	وأنا اليوم في العَذَاب الأليم
أنا أشكو إليكم حُرقة الذِّكرى	فأنا من وقودها في جحيم
أجمعُ لكم من طيب خبير	وليب وناصح وحكيم
إنَّ هجر الأَحباب سوطُ عذابٍ	ووصل الأَحباب رأس النعيم

* * *

عباد الله . . اذكروا الله ذكر من هو إلى وجهه الكريم ناظر، جنباه العزيز حاضر، فخير الذكر ما كنت فيه غائباً كحاضر، ومحجوباً كناظر.

لو تحقق الذاكر بما هو له من الأدب لازم عليه واجب، لنظر إلى شيطانه ﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب﴾^(١)

ذاكر الله لا يستطيع الشيطان في ذكره مقيلاً. ذاكر الله لا يجد الشيطان إلى إغوائه سبيلاً. ذاكر الله لا يزال شيطانه مدحوراً ذليلاً. ذاكر الله قد تكفل الله بحفظه، وكيف يضيع من كان الله يحفظه كفيلاً.

اذكُروا الله بكرةً وأصيلاً	وتبتل لذكره تبتيلاً
اذكُروا الله ذكرَ صَبٍّ مشوق	واجعل الذكر للوصال سبيلاً
ارض بالله مُؤنساً وجليساً	واتخذهُ دون العباد وكيلاً
فرَّ مما سواه والجبَّ إليه	واسمحه تجده برّاً وصولاً
الزِّم الذكر واتخذهُ تجد	الذكر بالوصال كفيلاً

* * *

(١) سورة الصافات الآية ٨، ٩.

فضل الاستغفار

المعاصي سلسلة في عنق العاصي ، لا يفكه منها إلا الاستغفار والتوبة .

والصراط كثير الاضطراب تحت أقدام السالكين ، لا يسكنه إلا قول رب
سَلِّمْ سَلِّمْ . والنار مسعرة الضرام ، لا يطفىء لهيها إلا نور الإيمان . والموقف
شديد الحر ، لا يكن منه إلا ظل العرش . والقبر مطبق الظلمة ، لا ينوره إلا
مصباح اليقين . والجنة مغلقة الأبواب في وجوه طلابها ، لا يفتحها إلا كلمة
الإخلاص وشفاعة الرسول [بغية كل مريد ، لا تنال إلا بالتوحيد]^(١) والشيطان
جاثم على قلب الإنسان لا يمشي عنه إلا بالذكر .

اذكر البر الرحيم كما يذكر الأحباب العشاق ، مَسَّة الشيطان ليس لها غير ذكر
الله ترياق .

يا فرسان ميدان ذكر الله أطلقوا الأعنة ، يا فرسان ميدان ذكر الله أشرعوا
الأسنة ، وأسقطوا الأجنة .

لا تطمعوا في وجدان حلاوة الذكر ، وقلوبكم مشغولة بوسواس الفكر .
كيف يكون حبيب الرحمن ، من هو للشيطان سميئاً . كيف يطمع في الوصول ،
من لا يجد في المسير .

* * *

لا ينالُ العُلَى رخيُّ البال	إنما تلك رتبة الأبطال
خاطرُوا بالنفوسِ والأموالِ	هكذا هكذا تُنالِ المعالِ
واعلمُوا أن في حدودِ جنانِ الـ	خُلد حُوراً لها مهوور غوالِ

(١) هنا سقط في الكلام وما بين القوسين من كلامي سلكته على طريقة المؤلف في الحديث لأنتم به
المعنى .

ووراء السُّوز سَخَف سُتُور مُسْبَلَات على قصور عوالي
فوق تلك القُصُور وادي التجلّي والكراسي منصوبة للرجالي
هم رجالٌ لم يُلههم عن مجا لس الذكر شيءٌ من هذه الأشغال
فانْفُضُوا عن قُلُوبِكُم كل همٍّ من هموم الأولاد والأموال
واحملوا حَمْلَةَ الهَزَبِ^(١) إذا حامى حذار الردى عن الأشبال

* * *

من لوازم الذكر

أول ما يحتاج إليه العازم على ذكر الله التفرغ من الشواغل الظاهرة، ثم تسكين جوارح البدن عن الحركات الشاغلة، ثم قطع الفكر عن قلبه، ثم إشعار نفسه عظمة ما قد عزم عليه من ذكر ربه، ثم استفراغ الوسع في تجويد الذكر، ثم إطالة المجلس ما أمكنه إطالته، ثم التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من الرقة باجتناب الملهيات من حين يقوم عن الذكر إلى أن يعود إليه؛ فهذه الشرائط السبع، من راعاها حق الرعاية، بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية.

من أحب شيئاً أكثر ذكره، ومن أجلّ أمراً أعظم قدره، ولا حبيب أحب من الله إلى أهل ولايته، ولا جليل أجل عند الله من أهل معرفته؛ فاذكروا الله ذكر المحيين، وأجلّوه إجلال العارفين، لتشربوا كؤوساً من رحيق شرابه رحيقاً مختوماً، ثم تلحقوا بمن رفعهم الله عن الرحيق حتى صار كل شرابهم تسليماً.

* * *

لعلك تشتهي صرفاً حلالاً لا صداع ولا خُمَارا
شرابُ المسلمين فلا يهودُ حوتها في الدّنان ولا نصارى

(١) «الهزبر» الأسد.

عليك بقُرب مجالسِ أهلِ ذكر تجد قوماً من الذكر سكارى
تدورُ عليهم كاساتُ خمر من التوحيد قدس من أوزارا
فَزَرُهُمْ لا تخفُ فليس يشقى طوال الدَّهر من للقوم زارا
عساكَ تُصيب بينهم نصيباً من الحس إذا ما الكأس دارا

* * *

أهل ذكر الله وقت صفاء الأوقات يشربون من شراب المصافاة كؤوساً
مترعات، ويجنون من غروس الذكر ثماراً يانعات، ويخلع عليهم من ملابس
القرب حلل فاخرات ﴿ يطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ * بأكواب وأباريق وكأس
من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما
يشتهون ﴿^(١) كل هذا يناله أهل مجالس الذكر، والناس ينظرون إليهم، وهم لا
يبصرون.

* * *

أهل ذكر الله قد يُتَحَفُّونَا بنوالاتٍ بها يكرمونا
فتراهم مُنعمين وهم فيما اشتَهَتْ أَنْفُسُهُم رَاتِعِينَا
تعرُّجُ الأرواحُ منهم إلى العرش وهم بين الورى قاعدونا
وحسانُ الحور تجلا على أبصا رِهِمُ والناس لا يُبصرونَا
وكؤوس دَائِرَاتُ بها الولدان يسقونَ فلا يُنزفونا
وثمارُ يانعاتُ بأطباق لُجِيْ ن^(٢) هم بها يَطوفونا
والرياحينُ تميدُ اهتزازاً برياض هُم بها يَمرحونا
وبحارُ الخمر والماء والشَّهد وما يَفْنَى لواجدونا

(١) سورة الواقعة الآيات من ١٧ - ٢١ .

(٢) «لجين» الفضة .

وثنابُ السُّنْدُسِ الْخُضِرِ عَالِيَهُمْ فَهُمْ فِي حُسْنِهَا يَرْفَلُونَا
 كُلُّ هَذَا وَهُمْ بَعْدُ فِي دُنْيَاهُمْ بَيْنَ الْوَرَى يُرْزَقُونَا
 كَيْفَ لَوْ فَارَقُوا هَذِهِ الدَّارَ إِلَى دَارٍ لَهَا يَعْمَلُونَا
 قَوْمٌ جَدُّوا فِي اللَّحَاقِ بِهِمْ كَيْفَ تَحَوَّزُوا مَا هُمْ حَائِزُونَا
 وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَانْظُرُوا كَيْفَ تَذْكُرُونَا
 لَا يَتِمُّ الذِّكْرُ حَتَّى تَكُونُوا كَلِمَا فِي وَسْعِكُمْ تَبْذُلُونَا
 فَأَذْيَبُوا الْأَنْفُسَ فِي طَلَبِ الْعَيْشِ بِدَارٍ لَا تَرُونَ فِيهَا الْمُنُونَا
 وَالزُّمُوا ذِكْرَ الْجَلِيلِ فَبَا لَذِكْرِ إِلَيْهِ وَصَلَ الْوَاصِلُونَا

* * *

اللهم إنا نسألك يا من جاد على عباده الصالحين بالقوة والمعونة حتى قاموا
 لك بحق القيام بالطاعة، أن تمن علينا بما مننت عليهم. ونسألك أن تعيننا على
 ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأن تجمع بيننا وبينهم في دارك، دار النعيم،
 إنك جواد كريم.

وصل اللهم على محمد وآله وصحبه، وسلّم تسليماً كبيراً.

* * *

المجلس الرابع عشر

التقوى

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يجب على العبد في عبوديته،
وكما يحبه الرب ويرتضيه، أنعم بما لا يحصره الحساب ولا يحصيه، ولا يسعه
الكتاب ولا يحويه.

كم ذنب قد غفره، ولولا الغفران لحاق العذاب بجانيه.
أحمده على اللاحق والسابق من أياديه، حمداً يوجب المزيد من كرم
الحق لحامديه.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أزاحم بها على باب الجنة
داخليه.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه الله من خلقه، فسبحان
مصطفيه؛ وارتضاه لتبليغ رسالته فتعالى جد مرتضيه، فشمّر عن ساق الجدّ في
مجاهدة أعداء الله ومعانديه، حتى اتّسق قمر الإيمان في فلك الإسلام، ووضح
الحق لناظريه.

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وحزبه ومحبيه، خصوصاً على الإمام أبي
بكر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ على أمته، وصديقه ومواليه.

وعلى الإمام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولي رسول الله ﷺ ومصافيه.

وعلى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان، صهر رسول الله ومواسيه .
وعلى الإمام علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ ومواخيه .
وعلى سائر الصحابة، وتابعيه .

* * *

قال الله تعالى في كتابه أمراً لعباده المؤمنين بالتقوى بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١) .

جاء في التفسير معناه : أن يطاع فلا يُعصى ، وأن يُذكر فلا ينسى .

وقال عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار : يا كعب، حدثني عن التقوى .
فقال : يا أمير المؤمنين، هل أخذت طريقاً ذا شوك؟ قال : نعم . قال : فما صنعت؟ قال : حذرت وشمرت . قال : فكذلك التقوى .

وقال النبي ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مალأ بأس به حذر إلى ما به بأس » (٢) .

لباس التقوى أحصن جنة يحصن بها الخائفون، وخشية الله أوثق عروة يمسك بها المتمسكون، وأداء فريضة الله، واجتناب محارم الله أنجح وسيلة توصل بها إلى الله المتوسلون .

طوبى لمن كانت الجنة مثابه، وهي مثاب المتقين .

وشراب الرحيق والتنسيم والكافور والزنجبيل شرابه، وهو شراب الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهم رفقاؤه وأصحابه .

(١) سورة آل عمران . الآية ١٠٢ .

(٢) لم أفد عليه في الكتب التي طالعته .

إنما يجازي بمثل هذا الجزاء من هو من المتقين، الذين أقاموا الدين بشرائطه المشروعة، واقتدوا في الملة الإسلامية بآياتها المتبوعة؛ فإذا صلى أحضر قلبه مع بدنه في تذكر وتدبر أذكاره، وأحسن أدبه بين يدي عالم أسرارهِ، وإذا تصدق أخرج الطيب من كسبه، لا يريد عليه جزاءً إلا ابتغاء وجه ربه، وإذا حج أخلص النية لله في قصده قبل الخروج من أهله، وأنفق إلى مرجعه من طيب المال وحلّه، واجتنب الحرام، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «من حج بمال حرام فقال: لبيك. قال الله له: لا لبيك ولا سعديك، وحجك مردود عليك، حتى ترد ما في يديك»^(١). وإذا صام صام نظره عما لا يحل عليه النظر، وصان لسانه عن الكلام الزور والهذر، وصان سمعه عما يحرم الاستماع إليه، وصان لسانه عن تمزيق أعراض المسلمين.

فكم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحين، وكم أحبطت من أجور العاملين، وكم جلبت من سخط رب العالمين، فالغيبة فاكهة الأرزلين، وسلاح العاجزين، مضغة طالما لفظها المتقين، نعمة طالما مجّها أسماع الأكرمين. فرحم الله إمرءًا لم يفسد عبادة يهديها إلى حضرة العزيز الرحيم، بلقمة حرام تعقب طعام الزقوم وشراب الحميم، فهي كلمة ما استحلاها إلا طبع لثيم؛ وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٢)؛ في

(١) أخرجه الشيرازي في الألقاب وأبو مطيع في أماليه عن عمر وليس فيه «حتى ترد ما في يديك» وأخرجه الديلمي عن أنس بلفظ «من حج من مال حلال أو من تجارة أو من ميراث لم يخرج عن عرفة حتى تغفر ذنوبه وإذا حج من مال حرام قال الرب لا لبيك ولا سعديك ثم تلف فيضرب بها وجهه. ا.هـ.

(جمع الجوامع: ٧٧١/١)

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم والترمذي في الصوم باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم وقال: حسن صحيح. وأبو داود في الصوم باب الغيبة للصائم. وأيضاً أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألبان في صحيح الجامع وأشار إلى أن أحمد أخرجه في المسند.

هذا الحديث دليل على أن العامل قد يكون بصلاح ظاهره معموماً، وقد سقط عن عين الله حتى ما يزن عنده نقيراً، فإذا كان يوم القيامة ظهر للخلائق من أمره ما كان مستوراً، وظهرت مخبآت الصدور على صفحات الوجوه رقماً مسطوراً، ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾^(١).

* * *

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَقُولُ إِذَا مَا	وَقَفْتُ فِي الْقِيَامَةِ مَكْبَلًا مَأْسُورًا
ثُمَّ قُدِّمْتُ لِلْحِسَابِ ذَلِيلًا	وَأُتِيتُ كِتَابًا مَسْطُورًا مَنشُورًا
وَأَتَى بِالْأَعْمَالِ تُوزَنُ بِالذَّرِّ	فَمَا غَادَرُوا هُنَاكَ فَقِيرًا
وَبَدَأَ لِي مِنْ فَوْقِ وَجْهِ	سُوءٍ فِعْلِي مُحَرَّرًا مَسْطُورًا
ثُمَّ نُودِيَ عَلَيَّ هَذَا فَلَانُ	كَانَ لِلَّهِ عَاصِيًا مَسْطُورًا
فَضَحَّتْهُ الْيَوْمَ الذَّنُوبُ	وَحِسَابٌ مُحَرَّرٌ تَحْرِيرًا
وَأَتَى بِالسَّعِيرِ أَسْمَعُ	مِنْهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا
مَا احْتِيَالِي فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْمُهُولِ	وَمِنْ ذَا يَذُودُ عَنِّي السَّعِيرَا
لَيْسَ لِي غَيْرُ حُسْنِ ظَنِّي بِرَبِّي	خَائِفًا مِنْ عَذَابِهِ مُسْتَجِيرَا
وَتَعَطَّفَ بِجَبْرِ كَسْرِي فَقَدْ	أَصْبَحَ قَلْبِي مِمَّا جَنَّا مَسْكُورَا

* * *

صفة جهنم

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام، مع كل زمام

(١) الإسراء ١٣.

سبعون ألف ملك يجرونها»^(١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يؤتى بجهنم يوم القيامة وهي تمايل على الخزنة، حتى توقف عن يمين العرش، ويلقى عليها الذل، فيوحى الله إليها ما هذا الذل؟ فتقول: يا رب.. إني أخاف أن يكون لك فيّ نقمة. فيوحى الله إليها: إنما خلقتك نقماً، وليس لي فيك نقمة. فتزفر زفرة لا تبقى دمة في عين إلا جرت، ثم تزفر أخرى فلا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا صعق، إلا نبيكم نبي الرحمة يقول: يا رب.. أمتي، أمتي^(٢).

عباد الله.. فاستجيروا بالله من شر هذه النار التي لا يرحم ولا يغاث باكيها، واسألوه الإقالة من ذنوبكم قبل أن لا يقال غيره، وتوبوا إلى الله من قريب، واستحيوا ممن هو عليكم رقيب، واحذروا أن يأتيكم الموت وأنتم على المعصية مصرّون، ولا تخلصوا إلى الدنيا فإنكم عنها منقلبون ﴿ وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ﴾^(٣).

وأكثرُوا من ذكر الله تعالى واستغفاره، واسألوه أن يرزقكم الفوز بالجنة والنجاة من ناره، واغتنموا العمل الصالح في نهار العمر وليله، وتمسكوا بما في أيديكم من حواشي ذيله، وتزودوا ما أطقتم من البر فستجدونه يوم توفية الأجر، واستحيوا من الله حق الحياء فهو رقيب عليكم في كل ما أنتم له عاملون فإنكم على بساط كرمه قاعدون، وفي بحار نعمه عائمون، وإلى دار جزائه صاثرون، ولكريم عفوه وجميل صفحه آملون.

فاذكروه يذكركم، واشكروه يزدكم، واتقوا الله لعلكم تفلحون، اتقوه حق

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب شدة حر جهنم وبعد قعرها...

وأخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود من طريق حفص بن غياث في كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة جهنم وأيضاً أخرجه فيه من طريق سفيان عن العلاء بن خالد الكاهلي به. قال الترمذي سفيان لا يرفعه.

(٢) لم أقف عليه في الكتب التي طالعته.

(٣) سورة الزمر. الآية ٥٤.

تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .

اللهم . . يا من ليس في الوجود سواه، يا من عليه يعتمد، ومن فضله يُسأل، وإليه يستند، يا أحد، يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، يا كثير الخير، يا دائم المعروف، يا من الملائكة في خدمته صفوف، وعلى طاعته عكوف .

يا جار المستجير، ومن هو على كل شيء قدير .

يا غياث الملهوف، يا من بيده القبض والبسط، وبيده تقوم السموات والأرض .

يا من امتدت لمسألته أكف السائلين، وخرّت لعبادته وجوه الساجدين، وعجّت بتبليته أصوات الملّيين، وطمحت إلى معروفه أبصار الأمّلين . يا عالم السر والنجوى، يا من إليه المشتكى . يا من عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات .

يا من يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . يا من إذا انتهت الشكوى إليه فقد بلغت المنتهى . يا فائق الحب والنوى .

اللهم . نشكو إليك ما نحن فيه من طاعتك مقصّرون، وعلى معصيتك مصرّون، وبعظمتك جاهلون، وبحكمك مغترّون، وعن القيام بما يلزمنا في حَقِّك عاجزون .

اللهم اجعلنا من الذين يعاملونك بما تحب، وتعاملهم بما يحبون، وينصرفون عما تكره، وتصرف عنهم ما يكرهون . وألحقنا بالذين وجهوا إليك وجوههم، وأخلصوا لك أعمالهم، ولم يعتمدوا على أحد إلا عليك، ولم يستندوا إلا إليك، ﴿ ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾^(١)

(١) سورة البقرة الآية ٢٠١ .

واختم لنا بخير، ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين. وصل على
سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

* * *

المجلس الخامس عشر

جزاء التائبون

الحمد لله، بجميع ما حمد به الحامدون، على كل نعمة وصل إليها من كرامته الواصلون، لدى خلقه كلهم من نحن به عارفون أو جاهلون.

ومن أولى بالحمد من منعم من بحر أنعمه أنعم المنعمون، ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون. وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾^(١).

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من لم يزل عبده، ولا رأى إلا رفته، ولا خاف إلا وعيده، ولا رجا إلا وعده.

عسى بكلمة الإخلاص أن نحصل على الإخلاص، ولات حين مناصٍ إلا للموحدين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي عبده حتى أتاه اليقين، ورسوله الذي جاء بالحق وصدق المرسلين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، رضوان الله عليهم أجمعين؛ خصوصاً على الخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، الأئمة الهداة المهتدين؛ وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) سورة الروم الآية ١٧.

اللهم . . ونحن من جملة عبادك المفتقرين إلى نوالك، الباسطين أكفهم
لسؤالك، منتظرين ما تذكرنا به من إحسانك، وتغمرنا به من أفضالك .

اللهم . . فأجرنا بما تجير به المنكسرين، واغننا بما تغني به المفتقرين،
وأشركنا في دعاء الداعين، وأشرك في صالح دعائنا إخواننا فيك من المسلمين .

معاشر الإخوان الحاضرين بطواهر الأبدان، احضروا ببواطن القلوب عسى
تمطر سحائب الرضوان، بتفسير شيء من القرآن، نستدعي به كرم الكريم،
ورحمة الرحمن الرحيم: يقول الله عز وجل في كتابه المبين: ﴿التائبون
العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون
عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾^(١).

سبب نزول هذه الآية: أنه لما نزل قبلها ﴿إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾^(٢) قال رجل: يا رسول الله، وإن زنا وإن
شرب الخمر وإن سرق؟ ونزل بعدها ﴿التائبون﴾ فكأنه تعالى يقول: الجنة
حاصلة للمؤمن ولو أتى الكبائر وغشى الفواحش. ولكن إذا تاب. لأن المؤمن إذا
عمل الذنوب فلا بد له ولو عند موته أن يتوب، وهذا من كرم الله تعالى بعبده
المؤمن أنه إذا تاب إليه قبل موته قبل الله توبته، كما في الحديث عن رسول
الله ﷺ أنه قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرر»^(٣).

* * *

(١) سورة التوبة الآية ١١٢ .

(٢) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٣) أخرجه الترمذي عن عبدالله بن عمر في كتاب الدعوات باب فضل التوبة وقال حسن غريب .
وأخرجه ابن ماجه عن ابن عمر أيضاً في كتاب الزهد باب ذكر التوبة قال في الزوائد: في إسناده
الوليد بن مسلم وهو مدس وقد عنعنه وكذلك مكحول الدمشقي . قلت: مكحول هذا يوجد في
رواية الترمذي السابقة .

ورواه أحمد في مسنده (١٣٢/٢ ، ١٥٣) وفيه مكحول .

وأخرجه أحمد أيضاً بسنده عن زيد بن اسلم عن عبد الرحمن بن البيهقي قال: أجمع أربعة من =

كريمٌ إذا يَمَمْتُ بِالصَّدْقِ بَابَهُ فَإِنَّكَ لَا تَلْقَى عَلَى الْبَابِ حَاجِبًا
وإن كنتَ ذا ذَنْبٍ قُتِبَ مِنْهُ وَاعْتَذَرَ كَأَنَّكَ لَمْ تُذْنِبْ إِذَا جِئْتَ تَائِبًا

* * *

مصير من مات على غير توبة

فأما من مات عن غير توبة من أهل الكبائر فقلّ أن يسلم من العقوبة، لكنه لا يخلد مع الكافرين. وفي الجملة: من دخل النار ولو ساعة من نهار فقد ذاق العذاب الأليم. وليجرب العاصي بنار الدنيا فهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم: هل له طاقة أن يضع فيها أصبعه أو شيئاً من لحظة واحدة؟ فالواجب على العبد العاصي أن يبادر إلى التوبة قبل هجوم أجله وانقطاع أمله.

* * *

إذا كنتَ يا عَاصِي على النار لا تقوى فبادِرْ إلى التَّوْبَةِ واستعمل القوى
وَنُحْ أَسْفَاً مِنْ أَجْلِ ذَنْبِكَ دَائِماً فَمَا فِي غَدِي يُغْنِي نَوَاحٍ وَلَا شَكْوَى

* * *

وقد رُوي في أثرٍ أن أكثر استغاثة أهل النار من سوف كانوا يقدمون على المعصية ويؤخرون التوبة ويقولون سوف نتوب، فاختطفهم الموت على شرحالة،

= أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم» فقال البان أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بصحوة» فقال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه» [٤٢٥/٣].

فألقوا في نار الجحيم ، ونعوذ بالله منها .

- تفسير آية من سورة التوبة -

قال ابن جرير في قوله تعالى : ﴿ التائبون ﴾ أي الراجعون عما يكرهه الله ويسخطه ، إلى ما يحبه ويرضاه .

وعن الحسن في قوله تعالى : ﴿ التائبون ﴾ قال : تابوا إلى الله من الذنوب كلها . وقيل : تابوا من الشرك وبرئوا من النفاق .

والتائبون على ثلاث طبقات :

- فأدناهم : التائبون من الكفر .

- وأوسطهم : التائبون من المعصية .

- وأعلاهم : التائبون من الغفلة .

وأما ﴿ العابدون ﴾ فقال ابن جرير : الذين ذلّوا لله خشية وتواضعاً له ، وجدّوا في خدمته .

وقال قتادة : ﴿ العابدون ﴾ قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم وعدادهم .

وعن ابن عباس : إنهم المقيمون الصلاة .

وقال الحسن : هم الذين عبدوا الله باتباع أمره .

والعابدون أيضاً على ثلاث طبقات :

- أدناهم : الموحدون .

- وأوسطهم : المطيعون .

- وأعلاهم : المتبتلون .

وأما ﴿ الحامدون ﴾ فعن ابن عباس : إنهم الذين يحمدون الله على كل حال .

وقال الحسن: ﴿الحامدون﴾ على الإسلام.

والحامدون أيضاً على ثلاث طبقات:

- أدناهم: القائم بالحمد الواجب، كقراءة سورة الحمد في المكتوبة.
- وأوسطهم: الحامد في كل موضع يشرع فيه الحمد، كالفراغ من الأكل والشرب والعطاس.
- وأعلاهم: الحامدون على كل حال مثلما^(١)، كان نوح عليه السلام، فسمّاه الله عبداً شكوراً.

وأما ﴿السائحون﴾ ففيهم أربعة أقوال: قيل: هم الغزاة. وقيل: المهاجرون. وقيل: طلاب العلم.

وقال الأكثرون: هم الصائمون.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿السائحون﴾ هم الصائمون»^(٢).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: كلما ذكر في القرآن من السياحة فهو الصيام^(٣).

وقال الحسن: الصائمون شهر رمضان^(٤).

وقالت عائشة رضي الله عنها: سياحة هذه الأمة الصيام.

وهو مروي عنه ﷺ قال: «سياحة أمتي الصيام»^(٥).

(١) لعلها ساقطة فأضعمتها ليستقيم الكلام.

(٢) رواه ابن جرير الطبري قال حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا حكيم بن حزام حدثنا سليمان عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ واسامة (مع ٧ ج ١١ / ٢٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (مجلد ٧ / ج ١١ / ٢٨) وأخرج أيضاً عن ابن عباس بسنده قال «السائحون الصائمون». رواه أيضاً الطبري في تفسيره نفس الموضع.

(٤) رواه أيضاً الطبري في تفسيره (مع ٧ ج ١١ / ٢٩).

(٥) لم أفق عليه بهذا اللفظ.

وأما ﴿الراكمون الساجدون﴾: فقال الحسن: هم المصلّون الصلوات المكتوبات.

وأما ﴿الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر﴾: فقال ابن جرير: الذين يأمرّون الناس بالحق، ونهّوهم عن كل قول أو فعل نهى الله عنه. والناهون عن المنكر: عن الشرك. وعنه: الأمرون بالمعروف، قال: إما أنهم لم يأمرّوا الناس بحسنة^(١) حتى كانوا من أهلها. والناهون عن المنكر، قال: إما أنهم لم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه. وقال أبو العلية: كل ما في القرآن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي عن عبادة الأوثان والشياطين.

وقال عطاء الأمرون بالمعروف: بفرائض الله وحده وتوحيده. والناهون عن المنكر: ترك فرائض الله وحدوده وعن الشرك به.

وأما ﴿الحافظون لحدود الله﴾: فقال ابن عباس: يعني القائمين على طاعة الله، وهو شرط شرطه الله على أهل الجهاد، إذا وقّوا له بشرطه وقّى لهم بشرطهم. أي أن بعض المجاهدين يرتكبون المحرمات من زنا وشرب خمر وغير ذلك، فإذا أنكر عليهم قالوا: نحن مجاهدون، والجهاد يطهّرنا. فردّت الآية عليهم: أي كونوا مع الجهاد في سبيل الله، حافظين لحدود الله.

قال تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي المصدّقين بوعده الله لهم. وقيل معناه: وبشّر من فعل التوبة، وسائر هذه الأفعال، وإن لم يكن من المجاهدين.

عباد الله.. فصحّحوا الأعمال تلحقوا بالرجال، واحذروا الرجاء الكاذب فإنه محال، أترجو أن تكون من الرجال بقول أو بفعل أو بحال.

* * *

(١) - هكذا يستقيم بها السياق

وَأَنْتَ مِنَ الْمَقَابِدِ فِي جَمِيعِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي غَيْرِ خَالٍ
وَمَنْ طَلَبَ الْوُصُولَ بِغَيْرِ سَيْرٍ عَلَى نَهْجٍ فَذَاكَ مِنَ الْمُحَالِ

* * *

اللهم.. يا ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، يا بديع السموات
والأرض، ويا من بيده القبض والبسط: نسألك أن تتوب علينا وعلى العاصين،
وأن تجعلنا من عبادك المتقين، وأن تجنبنا أفعال الفاسقين، وأن تختم لنا بخير
ولجميع المسلمين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً
إلى يوم الدين.

* * *

المجلس السادس عشر

صلاة القاعد

هذا تفسير حديث متفق على صحته من الأحكام، اتفق على صحته علماء الإسلام، وهو ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص، أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة أحدكم وهو قاعد مثل نصف صلاته وهو قائم »^(١).

القائم في الصلاة له مزية على القاعد فيها من سبعة أوجه:

- الأول: المشقة؛ لأن القائم يلحقه من التعب ما لا يلحق القاعد.
- الثاني: الأدب؛ لأن القائم في الخدمة أحسن أدباً من القاعد.
- الثالث: النشاط؛ لأن القائم أنشط في الخدمة وأبعد من الكسل والنعاس.
- الرابع: التمكن؛ لأن القائم أقدر على فصاحة الكلام في المناجاة وتحسين

(١) أخرج مسلم في صحيحه ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها. ١٦ باب جواز الناقلة قاعداً وقاعداً (ج ١٢٠) قال: عن عبدالله بن عمر وقال حدثت أن رسول الله ﷺ قال: « صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة » قال فأتيته فوجدته يصلي جالساً فوضعت يدي على رأسه فقال: مالك يا عبد الله بن عمرو وقلت: حدثت يا رسول الله أنك قلت: صلاة الرجل قاعداً على نصف الصلاة. وأنت تصلي قاعداً قال « أجل. لكني لست كأحد منكم ».

ورواه أيضاً ابن ماجة رقم ١٢٢٩ - ١٢٣١، النسائي في قيام الليل والدارمي في كتاب الصلاة والترمذي في الصلاة ومالك في الموطأ بكتاب الجماعة باب فضل صلاة القائم على صلاة القاعد وأحمد في مسنده [١٦٢/٢، ١٩٣، ٢٠٣]، [١٣٦/٣، ٢١٤، ٤٢٥]، [٦/٦١، ٧١، ٢٢٠، ٢٢١].

هيئات العبادة.

- الخامس: كثرة التنوع في فنون الخدمة؛ لأنه إذا صلى قائماً فقد عبَدَ رَبَّهُ بالقيام والركوع والسجود والقعود، وإذا صلى قاعداً فات نوع من الأربعة.

- السادس: أن من صلى قائماً أخذ نصيباً من ترويح القلب، بسبب تنقله من حال إلى حال، أكثر نصيباً من القاعد، وترويح القلب يعين على جودة الذكر.

- السابع: أن من صلى قائماً فقد أطاع الله تعالى بقوله: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾^(١)، وطاعة الأمر موجبة الأجر، ولو لم تكن حكمته مفهومة فكيف؟ وقد ظهرت الحكمة في القيام في الصلاة من وجوه كثيرة.

[واعلم أن ورود هذا في صلاة النافلة]

وأما الفريضة: فلا تصح صلاتها قاعداً مع القدرة على القيام ومن صلى قاعداً في الفريضة مع قدرته على القيام فهو عاصٍ، واختلف العلماء في كفره، وأما النافلة فجائز فيها الجلوس مع القدرة على القيام، لكن القيام أفضل، لما تقدم من الوجوه، وأجره نصف أجر القائم، وإن كان عاجزاً عن القيام لم ينقص أجره لأنه عاجز عن القيام.

وأنشد بعضهم في الحضر على عبادة الله تعالى تطوعاً:

* * *

اعْبُدُوا اللَّهَ رُكْعًا وَسُجُودًا وقياماً طَوْرًا وَطَوْرًا قَعُودًا
وَاذْكُرُوهُ فِي كُلِّ حَالٍ فَزَادُ مِنْ ذِكْرِ اسْمِهِ يَلَاقِي السُّعُودَا
إِنْ فِي اسْمِ الْحَبِيبِ فِي الْقَلْبِ طَمَعًا مِنْ يَذُقُهُ يَوَدُّ مِنْهُ الْمَزِيدَا
لَا يَزَالُ الْحَبِيبُ غَيًّا فَإِنْ أَنْتَ ذَكَرْتَهُ اسْمَهُ يَرَى مَشْهُودَا
فَتَرْنِمَ بِاسْمِ الْحَبِيبِ لِأَسْمَا عَ مُحِبِّهِ وَاتَّخَذَهُمْ عِبِيدَا

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٨.

الذكر المقبول

لوجرى ذكر العزيز الحكيم كما ينبغي له من الإجلال والتعظيم لسعى بذكره كل سقيم، ولكن عزّ على أكثر الخلائق توفية الإجلال عند ذكر اسم الخالق.

فلذلك ترى أكثر المتعبدين، لذكر الله مديمين، ولا تراهم إلى المذكور واصلين، ولا على وصاله بحاصلين؛ لأنهم يذكرون بالسنتهم من ليس بقلوبهم عارفين.

نديم الذكر، والذكر عظيم الشأن والقدر، وما بنصر للذكر على الذاكر من أثر. وما الآفة إلا جهل من يذكر بالأمر، إذا لم يعرف المذكور، ما يصنع بالذكر.

كل مطلوب لا يعظمه الطالب لا يبلغ منه شرف المراتب. عبادة الله حرفة لا يحدّق فيها إلا المتبتلون إليها، ومعرفة الله غاية لا يبلغها إلا المقبلون بكل وجوههم عليها؛ وكيف لا تكون سلعة غالية، وجنة الله عالية، وإليه في كل شرف المنتهى الذي ليس وراءه مرمى.

* * *

ابذل الروح إن أردت الوصال	فوصال الحبيب أغلى وأغلى
ليس من يلتقى إذا زار بالطردكم	يلتقي إذا زار بأهلاً وسهلاً
من شفيعي إلى الحبيب كل	ما رمت وصله قال كلا
لو رأي أهلاً لجاد ولكن	ما رأي لما رمت أهلاً

* * *

إذا نفع الوعظ - وأسفاه - كلام من لا إله سواه: ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا

ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴿١﴾.

إذا أعضلتكم الحاجة ولم تجدوا معطياً بهبة ولا قرض، فاسألوا من له ما في السموات والأرض؛ الذي كتب على نفسه الرحمة فهي لعباده على نفسه فرض ﴿٢﴾ وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم ﴿٣﴾.

كان رسول الله ﷺ من الحطام الفاني فارغ اليد، ومن كنوز المعرفة مملوء القلب؛ فلما نظر الجاهلون بالله إلى تجرد ظاهره ظنوا أنه بحاجة إلى دنياهم. فقال لهم كفار ملة: قد علمنا إنما يحملك على ما تدعونا إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيباً في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً، وترجع عما أنت عليه؛ فنزلت هذه الآية: ﴿٤﴾ وله ما سكن في الليل والنهار ﴿٥﴾ أي إذا كان الذي له ما يحتوي عليه الزمان، فكيف تكون محتاجاً إلى عطية إنسان؟

* * *

عَلَّمَكَ يَا سَيِّدِي بِحَالِي أَغْنَى لِسَانِي عَنِ الْمَقَالِ
جَبَرْتَ كَسْرِي كَشَفْتَ ضَرْبِي أَغْنَيْتَ فَقْرِي سَتَرْتَ حَالِي
لَا تَجْعَلْنِي عَبْدًا لِمَوْلَا سِوَاكَ يَا سَيِّدَ الْمَوَالِي

* * *

(١) سورة الأنعام الآية: ١٢.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٣.

من كلام المصطفى (ﷺ)

في فضل الدعاء وبعض الأدعية

قد استنزلنا الرحمة بتلاوة شيء من محكم التنزيل ، فلنستدع البركة بذكر أحاديث من كلام الرسول: قال ﷺ: « أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن »^(١) [مخرّج في الصحيح].

وقال ﷺ: « من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكُرب فليكثر الدعاء في الرخاء »^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات وقال: حسن صحيح غريب من حديث عمرو بن عبسة وعزاه الحافظ المنذري إلى أبي داود والحاكم وقال قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم [الترغيب ٢/٢٧٦] وقال الألباني في [صحيح الجامع: رقم ١١٨٤]: صحيح وعزاه إلى النسائي أيضاً. قلت: بحث عنه في المستدرک في کتاب الدعاء فلم أجده فليراجع هناك.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک بسند فيه أبو صالح وقال: حديث صحيح الاسناد اصبح النجاري بأبي صالح ووافقه الذهبي [٥٤٤/١]. قال الألباني: وفيه نظر فإن ابن صالح فيه ضعف من قبل حفظه.

يقول محمد: في السند اثنان كل منهما هو ابن صالح وهما: عبدالله بن صالح كاتب الليث ويكنى أبا صالح ومعاوية بن صالح شيخه والأخير منهما قال فيه ابن حجر في التقريب: صدوق له أوهام [٢٥٩/٢] وأما الأول وهو أبو صالح كاتب الليث فأرجح أن الحاكم كان يقصده بكلامه فهو ذكره بكنيته بينما قال الألباني « ابن صالح » وقد استشهد به البخاري وأخرج له تعليقاً وقال الحافظ في التقريب [٤٢٣/١] صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة. فلعله المراد أيضاً بكلام =

وقال لمعاذ بن جبل: « يا معاذ لا تدعَنَّ أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »^(١).

وقال: من قال حين يأوي إلى فراشه: « أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، وأتوب إليه - ثلاث مرات - غفرت ذنوبه، وإن كانت عدد ورق الشجر، وإن كانت عدد رمل عالج، وإن كانت عدد أيام الدنيا »^(٢).

وقال: « ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة غائب لغائب »^(٣).

= الألباني السابق. وقد نقل ابن حجر في التهذيب [٢٥٦/٥] عن أبي حاتم أنه قال: سمعت أبا الأسود النضر بن عبد الجبار وسعيد بن عفير يثنيان على كاتب الليث وعنه أيضاً قال: سمعت عبد الملك بن شعيب بن الليث يقول أبو صالح ثقة مأمون قد سمع من جرى حديثه وكان أبي يحضره على التحديث وكان يحدث بحضرة أبي. وقال الذهبي في الكاشف [٩٦/٢] كان صاحب حديث فيه لين. قال أبو زرعة: حسن الحديث لم يكن ممن يكذب وقال ابن عدي: مستقيم الحديث له أغاليط وكذبه جزرة. والحديث بهذا لا يمكن الحزم بصحته فهو يكاد يكون حسناً والله أعلم.

قلت: وللحديث طريق آخر أخرجه الترمذي في الدعوات باب دعوة المسلم مستجابته وقال: غريب. قلت وفيه عيب بن واقد قال ابن عدي في الكامل (١٩٩٠/٥) بعد ان ساق الحديث بسنده: وعبيد بن واقد عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وقال الألبان: [الصحيحة: ٥٩٣]: أشار الترمذي إلى تضعيفه بقوله غريب.

(١) أخرجه أبو داود عن معاذ في كتاب الصلاة باب الاستغفار ٨٤/٢ رقم ١٥٢٢) والنسائي في كتاب الصلاة باب الدعاء بعد الذكر (٥٢/٣) وأحمد (٥/ ٢٤٥، ٢٤٧)، والحاكم في المستدرک (١/ ٢٧٣) وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه نور الدين الهيثمي في زوائد ابن حبان (ص ٥٨٣) وابن القيم في زاد المعاد (١/ ٣٠٥) قال شعيب أرنؤوط أسنده صحيح وصححه ابن حبان. قلت قال الألباني: صحيح (صحيح الجامع) رقم ٨٧٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات باب ما جاء في الدعاء إذا أدى إلى فراشه وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوصافي عبيد الله بن الوليد. وأخرج الحاكم في المستدرک [٥١١/١] عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: « من قال استغفر الله بعظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاثاً غفرت له ذنوبه وإن كان نار آمن الزحف هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ورافقه الذهبي .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ما جاء في دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب. وفيه عيب الرحمن بن زياد بن أنعم الأفرقي. قال الترمذي: يضعف في الحديث. وقال ابن حجر في =

وقال: « اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب »^(١).

وقال: « ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعوة قلب غافل لاهٍ »^(٢).

= التقريب [٤٨٠ / ١] ضعيف في حفظه. وقال في تهذيب التهذيب [١٧٣ / ٦] : قال أحمد: منكر الحديث. وكان يحيى ولا عبد الرحمن لا يكتبان حديثه وضعفه ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة وإن كانوا يفضلونه عن غيره من الضعفاء من أمثال ابن طيبة. ونقل عبارة الترمذي السابقة وذكر توثيق بعض العلماء له فليراجع.

وأخرجه أيضاً أبو داود وسكت عنه: وفيه عبد الرحمن هذا.

(١) هذا جزء من حديث بعث معاذ إلى اليمن وهو حديث طويل أخرجه البخاري ٢٤ كتاب الزكاة ٦٣ باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا. وأخرج هذا الجزء في ٤٦ المظالم ٩ باب الالتقاء والحذر من دعوة المظلوم وأخرجه كاملاً في ٦٤ المغازي ٦ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع.

وأخرج معناه في حديث هني ٦ كتاب الجهاد ١٨٠ باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم. وكذا أخرج مالك في الموطأ حديث هني هذا وكذا أحمد في المسند. وأخرجه بلفظه مسلم في الإيمان ٧ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام فالحديث متفق عليه وذكره محمد فؤاد عبد الباقي في اللؤلؤ والمرجان هذا الجزء فقط. كما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجة وأحمد.

(٢) أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في كتاب الدعوات (٥١٨/٥) وقال هذا حديث غريب لا نعرف من لها من هذا الوجه.

والحاكم [٤٩٣ / ١] وقال: مستقيم الإسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد أهل البصرة ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: صالح المري متروك. وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٢٧٧): صالح المري لا شك في زهده لكن تحركه أبو داود والنسائي. وقال الذهبي في المغني (١/ ٣٠٢) تركه أبو داود والنسائي وضعفه غيرهما. وقال ابن حجر في التقريب: [٣٥٩ / ١] ضعيف وحكى في التهذيب [٣٨٢ / ٤]: عن كثيرين تضعيفهم له منهم ابن معين وعلي بن المديني وعمرو بن علي وأبو داود والنسائي وابن عدي والدارقطني وابن علي.

قلت: عزاه الألباني في الصحيحة [رقم ٥٩٤] لابن عساكر وإلى أبي بكر الكلاباذي في مفتاح معاني الآثار وهو كتاب جاء مع الأحاديث ذات موضوعات مختلفة ويشرحها يقوم بتحقيقه الأستاذ/ نصر بن عبد السلام وسوف يطبع قريباً لدى دار الكتب السلفية. وقال الألباني أيضاً: لكن له شاهد بسند ضعيف رواه أحمد (١٧٧ / ٢) عن ابن عمر وفيه عبد الله ابن طيبة. وهو ضعيف. قلت =

وقال: « ما من عبد يرفع يديه، حتى يبدو بياض إبطيه، يسأل الله مسألة، إلا أتاه إياها، ما لم يعجل ». قيل: يا رسول الله، كيف تكون عجلته؟ قال: « يقول قد سألت ربي، وسألت، فلم أعط شيئاً »^(١).

وقال رسول الله ﷺ: « من لم يسأل الله، غضب الله عليه »^(٢).

وقال: « ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأله الملح لأهله، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع »^(٣).

وقال: « الدعاء مخ العبادة »^(٤) أو قال: « هو العبادة » ثم قرأ قوله تعالى:

= الحديث يرتقي إلى مرتبة الحسن بمجموع طرقه ولذا أورده الألباني في الصحيحة وقال في صحيح الجامع: حسن (٢٤٣).

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات عن أبي هريرة وأخرج أيضاً حديثاً في معناه عن عبادة بن الصامت ولفظه ما من على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع يائماً أو قطيعة رحم مالم يعجل يقول: قد دعوت ودعوت فلم يستجب لي... وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه حديثاً عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل » قيل: وكيف يعجل؟ يا رسول الله! قال: « يقول: قد دعوت الله فلم يستجب الله لي » وأخرجه أحمد ومالك في الموطأ أيضاً.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه في كتاب الدعاء والذكر عن أبي هريرة وفيه أبو صالح الخوزي وأبو المليح الفارسي قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد فإن أبا صالح الخوزي وأبا المليح الفارسي لم يذكرهما بالجرح إنما هما في عداد المجهولين لقلة الحديث. وأخرجه الترمذي في الدعوات ما جاء في فضل الدعاء عن أبي هريرة أيضاً وكذا أخرجه ابن ماجه في كتاب الدعاء باب فضل الدعاء بلفظ من لم يدع الله سبحانه غضب عليه. وأخرج أحمد في المسند: ٤٧٧/٢.

(٣) أخرجه الترمذي في الدعوات عن ثابت البناني مرسلًا (جمع الجوامع ٦٧٦/١)

وأخرجه أيضاً بلفظ ليس فيه ليسأله الملح لأهله عن أنس وهذا اللفظ أخرجه أيضاً البيهقي في شعب الإيمان وابن حبان في صحيحه وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٣٥٦ - ٣٥٨ (جمع الجوامع ٧٦٧/١).

(٤) أخرجه الترمذي عن أنس في الدعوات باب فضل الدعاء (ح ٣٣٧١) وقال هذا حديث غريب لأن هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن طيعة.

﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ (١).

الدعاء باب من الأبواب المدخلة على العزيز الوهاب، وطريق من الطرق الموصلة إلى ذلك الجنب، ووسيلة من أنجح الوسائل، ورسالة من العبد إلى حضرة الرب، من أبلغ الرسائل؛ فإن كان مدادها الدمع السائل، فهو الدعاء الواصل.

* * *

لا أسمع الدهر عدلٌ عازلٍ	في حبٍّ من ماله مماثل
يشهد لي أنني مُحِبٌّ دمعٍ	على الوجنتين سائل
والوجدُ بين الضلوع نازكٌ	والنوم عن مقلتي راحل
راسلهم بالدموع دهرًا فما	أرى أغنت الرسائل
وكنت أعتاضُ بالطيف في منامي	إذ كان ذاك غير باخل
قد حنا النوم جفن عيني	صار لي الطيف غير واصل
عساكم ترحمون صبا	ما فاز من قربكم بطائل
ليس له حاصل سوى	أن العمر ولّى بغير حاصل

* * *

(١) سورة غافر الآية ٦٠ والحديث:

أخرجه الترمذي وابن ماجه من طريق الأعمش عن ذر بن عبد الله الهمداني عن يسع الكندي عن النعمان بن بشير في الدعوات عند الترمذي والدعاء عند ابن ماجه .
وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث ذر وهو ثقة .
وأيضاً أخرجه أحمد من هذا الطريق (٤/ ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦) .
وأخرجه أبو داود وأيضاً من هذا الطريق كتاب الصلاة باب الدعاء .

حكم ومأثورات

- حسرة الفوت أشد من سكرة الموت .
- أوجع الألم حرقة الندم .
- أشد العذاب فرقة الأحباب .
- ما طرق أسماع السامعين أقطع من : ﴿ اخسثوا فيها ولا تكلمون ﴾ ^(١) .
- لا أستر للعورات من لباس التقوى ، ولا أغنى للفاقات من القناعة والرضا .
- مجالسة العقلاء تزيد في العقل ، ومجالسة الجاهلين تزيد في الجهل ، ومخالطة المساكين تذهب الكبر .
- الترياق المجرب لزوم الاستغفار ، ووصل الحبيب اسم الترياق ، وقربه الأسير البعيد إطلاق .

* * *

فدينٌ لا أدينُ به وكيف	يسلُّوا عن الأحباب عشاق
وكيف يُحمدُ بي سلُّو جمالكم	وبيننا في الهوى عهدٌ وميثاق
قلبي القريحُ عليكم حشوه حرقُ	ولوعةٌ وصباباتُ وأسواق
لا غرو أن كان قلبي شيقاً قلقاً	قلب المحب إلى الأحباب تَوَاق
إن أبعدوني فأهلُّ للبعد أنا وإن	هُمُوا أقربوني فإنَّ القلب مشتاق

* * *

الواجب على كل عبد أبعدَه المولى عن جنبه أن يعترف بذنبه لربه ،
ويعتقد أن البعد أولى به .

(١) سورة المؤمنون الآية ١٠٨ .

من كان مؤمناً بأن الله هو العليم الحكيم، علم أنما أخره الله فحقه التأخير، وما قدمه فحقه التقديم؛ فالحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من سوء المآل، ونسأله الاستقامة في جميع الأحوال، وأن يبلغنا بفضلته أشرف المنازل، إنه جواد مفضل.

* * *

المجلس السابع عشر

كَلَامُ السَّلَفِ

في ذكر نبذة من كلام السلف الأعلام، ففي كلامهم جلاء الهموم وشفاء الأسقام:

- من أراد أن يسلم له دينه ويستريح قلبه وبدنه فليعتزل الناس، ومن لم يعرف قدر النعم سلبها من حيث لا يعلم، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز.

- من قلة الصدق كثرة الخطأ، ومن علامة الاستدراج الحمى عن عيوب النفس، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

- قلوب المغترين معلقة بالسوابق، وقلوب الأبرار معلقة بالخواتيم.

- من النذالة أن يأكل الإنسان بدينه.

- من حاسب نفسه استحيا الله من حسابه.

- ثلاث من كن فيه استكمل الايمان: من إذا غضب لم يخرج غضبه من الحق.. وإذا رضي لم يخرج رضاه إلى الباطل.. وإذا قدر لم يتناول ما ليس له.

- وكان بعضهم يقول: اللهم ما عذبتني به من شيء فلا تعذبني بذل الحجاب.

- احذر أن تكون ثناء منشوراً، وعيباً مستوراً.
- أمس أجل، واليوم عمل، وغداً أمل.
- حرامٌ على قلب محب الدنيا أن يسكنه الورع، وحرام على عالم لم يعمل بعلمه أن يتخذوه المتقون إماماً.
- إليك أشكو بدنأً غُذّي بنعمك، ثم توثّب على معاصيك.
- المؤمن إذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده.
- أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يهنأ بعيشه.
- معاشر الفقراء.. إنما عُرفتم بالله، وإنما مكرمون لله، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه.
- علامة إعراض الله عن العبد، أن يشغله بما لا يعنيه.
- الطريق إلى الله مسدود على الخلق، إلا على المتقين.
- أول وصال العبد للحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه.
- إذا نزل بك أمر من الله فاستعمل الرضا، فإن لم تجد إلى الرضا سبيلاً فاستعمل الصبر، فإن لم تجد فعليك بالتحمل.
- من علم أن الله هو الضار النافع، أسقط مخاوف المخلوقين.
- اتقوا الناجد من العلماء، والجاهل من العباد، فإنهما فتنة لكل مفتون.
- يا عجباً لمن لم ير محسناً غير الله كيف لا يميل بكليته إليه.
- إذا بكت عين الخائفين فقد بايعوا الله بدموعهم.
- إنما حملاً كلام السلف في مذاق الأسماع، وعظمت فيه البركة وحسن به

الانتفاع، لأنهم كانوا به عاملين، وفي نشره مخلصين.

اللهم . , فعمّنَا ببركة أعمالهم الصالحة، وانفعنا بمقاصدهم الصادقة، فهم القوم لا يضل من اهتدى بهداهم، ولا يضيع من تمسك بعراهم.

* * *

كيف ضلّالي عن سواء السبيل	وأنت لي في طريق سلاي دليل
يا فرحة القلب ويا منية الصّ	ب يا برّد غليل الغليل
وصفك لا تبلغه مدحتي	ففهمي بليدً ولساني كليل
كيف لي بصبر جميل وقد	حجبت عن مرآي المحيا الجميل
مالي إذا غُيبت عن ناظري	غير مخيّبي والبكاء والعويل
جُدلي ولو بالطيف إن كان لي	إلى غموض الجفن يوماً سبيل
وابذل ولو وعداً ولو نظرة	فما قليل منك لي بالقليل

* * *

رب العزة أعظم في صدور العارفين من أن يناجوه في مخاطبتهم بأشعار المتغزلين، ولكن ما خلا قلب من حرقة، ولا سلم مواصل من فرقة، وكل مسلم له نصيب من محبة مولاه على قدر معرفته بما أولاه. فإذا ترنم المنشد بما يناسب أغراض المحبين، تحركت القلوب على قدر ما فيها من الشوق إلى لقاء حبيب العارفين، وتحرقت النفوس حزناً على التخلف عن مرافقة الصالحين.

* * *

إلى متى أنت في تواني	تجري إلى اللهو في عنان
الموت حق لا ريب فيه	مالك في رفّعه يدان
والبعث من بعده تراه في	غاية البعد وهو داني

يوم يقومُ العبادُ كلُّ عليه في الحشر شاهدان
إلى حسابٍ قد سطرَ ته الأقلام يمليه حافظان
ثم يضمُّ العبادُ بعد الحسب أب في الحشر منزلان
منزلٌ خوف لا أمن فيه ومنزلٌ الأمن والأمان

* * *

الإيمان بيوم القيامة لصدقه على أهله علامة التسارع إلى اكتساب
الحسنات، والتورع عن ارتكاب السيئات، وانسكاب العبرات ندماً على ما فات.

* * *

أيها المدعي المحبة مهلاً أين آثار صدق ما تدعيه
أين سفحُ الدُموع فوق خُدودٍ حذراً أن يفوت ما ترتجيه
أين وقد الأحشاء^(١) شوقاً إلى ما كنت من لذة التواصل فيه
أين بذلُ المجهود في طاعة المحبِّو ب من فعل كلما يرتضيه
تدعي حُبَّه ومالك من دعو الك غير المحال والتمويه
تدعي الحبَّ عارياً عن شهود حظَّه منه ما يقول بغيه

* * *

طالبوا أنفسكم بالصدق في دعواها محبة الله، واصمدوا بكل وجوهكم فيما
يوجهكم إلى الله.

كل النعيم في التلذذ بمناجاة الله، كل الراحة في التعب بخدمة الله، كل
الغنى في تصحيح الافتقار إلى الله.

(١) وقد الأحشاء: ألتهابها حرقة.

كل مطالب الدنيا والآخرة في خزائن غيب الله ، ومفاتيحها بأيدي رجال لا
تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

* * *

وَحَقُّ هَوَاهُ لَيْسَ لِي عَنْهُ مَذْهَبٌ وَلَا لِي فِيمَا دُونَ لُقْيَاهُ مَطْلَبُ
يَقُولُ اجْتَنِبْ بَابِي وَلَا تَغْشَ مَرْتَعِي وَهَلْ حَشَدٌ عَنْ رَوْحِهِ يَتَجَنَّبُ
إِذَا لَمْ تَكُنْ لِي عِنْدَ غَيْرِكَ حَاجَةً فَكَيْفَ إِلَى أَبْوَابِ غَيْرِكَ أَذْهَبُ
وَإِذَا لَمْ أَجِدْ مَعْطًى سِوَاكَ بِمَطْلَبِي فَكَيْفَ سِوَى مَعْرُوفِ جُودِكَ أَطْلُبُ
عَذُولِي فِيهِ مَا أَرَى مَا رَأَيْتَهُ فَيَكْثُرُ مِنْ لُومِي عَلَيْهِ وَيَطْنُبُ
سَلَكْتُ سَبِيلًا مَا أَهْتَدَى لِسُلُوكِهِ فَأَعْجَبُ مِنْهُ وَهُوَ مِنِّي يَعْجَبُ
وَكَيْفَ سَلَوَى عَنْ جَمَالِ مُحَجَّبٍ أَيَادِيهِ عَنْ كُلِّ الْوَرَى لَيْسَ يَحْجُبُ
إِذَا دَارَتِ الْكَاسَاتُ مِنْ خَمَرِ حُبِّهِ عَلَى كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ فَالْكَلَّ شَرَبُوا
وَإِنْ زَمَزَمَ الْحَادُونَ لِلرَّكَبِ بِاسْمِهِ فَكُلُّهُمْ حَتَّى الرِّكَائِبِ تَطْرُبُ
يَطِيبُ وَيَحْلُو لِلْمُحِبِّينَ ذِكْرُهُ فَلَا طِيبَ إِلَّا وَذِكْرُهُ أَطِيبُ
فَإِنْ قَلْتُ شَهِدًا فَهُوَ أَحْلَا مَذَاقَهُ وَإِنْ قَلْتُ مَاءً فَهُوَ أَصْفَى وَأَعَذُبُ
سَأَلْتُكَ يَا حَادِيَ الرِّكَائِبِ حَاجَةً إِذَا مَا بَدَتْ يَوْمًا لَعِينُكَ يَثْرُبُ
فَبَلَغَ سَلَامِي مِنْ حَوْتِهِ قِبَابُهَا وَشِرْعَتُهُ فِي الْكَوْنِ تُمَلَى وَتَكْتَبُ
نَبِيُّ الْهَدَى شَمْسُ الضُّحَى قَمَرُ الْإِلا هَدَى لِمَنْصِبِهِ فَوْقَ السَّمَائِينَ مَنْصَبُ
مُحَمَّدُ الْمُخْتَارُ وَالْمَاجِدُ الَّذِي إِلَى فَخْرِهِ كُلِّ الْمُنَاسِبِ تَنْسَبُ
بَنَهَجِهِ كُلُّ الْأَنْثَمَةِ تَهْتَدِي بِمُورَدِهِ كُلُّ الْمَوَارِدِ تُعَذِبُ
هُوَ الصَّادِقُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ فَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ فَهُوَ فِي الْحَشْرِ يُنْدَبُ
فَصَلُّوا عَلَيْهِ دَائِمًا فَصَلَاتُكُمْ جَزَاؤُكُمْ فِيهَا عَلَى اللَّهِ وَاجِبُ
وَأَكْثَرُكُمْ يَا أَهْلَ مِلَّةِ أَحْمَدٍ عَلَيْهِ هَ صَلَاةٌ مِنْهُ فِي الْحَشْرِ أَقْرَبُ

* * *

اللهم صلي على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وصلى عليه كلما
تعاقبت الليالي والأيام، وصلي عليه ما دامت الشهور والأعوام، وعلى صحبه
السادة الكرام، وسلم تسليماً كثيراً لا انقضاء له ولا انفصام.

* * *

موعظة في تعليم القرآن

الحمد لله الذي جعل القرآن لقلوب أهل الإيمان ربيعاً، فكل من لا يغذى
القرآن في الدنيا كان غداؤه في الآخرة صريعاً.

لا يزال الإنسان صريعاً تحت الشيطان حتى يذكر الله ويتلو القرآن، فحينئذ
يستوي الإنسان قائماً ويختر الشيطان صريعاً.

فمن شاء أن يكون العدو عن لحاقه بطيئاً، فليكن إلى الذكر والتلاوة
سريعاً.

استظهر بشرب ترياق القرآن على سُم أفعى الشيطان قبل أن تموت لسقياه؛
ما زال أبو البشر آدم ﷺ من سكنى الجنات في حصن حصين، حتى دخلت عليه
الجنة وقد اختبأ في فمها الشيطان اللعين، فخرج على آدم من شدقها ذلك
الكمين، فضربه ضربة بقي من حرّها ألف سنة في البكاء والأنين، ثم لم يكن
خلاصه وخلاص عشر العشر من ذريته إلا بكتاب الله الذي جاءت به المرسلون
﴿وقلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم منى هدى ممن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١).

متابعة الكتاب مُنْقِذَةٌ من العذاب، وتعظيم الحرمات مخرج من الظلمات،
ورعاية الأدب رفعة في الرتب.

(١) سورة البقرة الآية ٣٨.

لولا العلم لكان الإنسان بهيمة، ولولا اللطف لكانت البلية عظيمة.

فاسألوا الله لطفه في جميع الأحوال، وليكن تعظيم القرآن منكم على بال؛
فبوجود اللطف وعدمه سعد من سعد، وشقي من شقي، وبالتقصير لقي المقصّر
ما لقي.

* * *

لا تسألوا عبدكم ماذا لَقِيَ من البُكَاءِ والأَسَاءَةِ والحرِّقِ
ليس عَجِيباً ما لَقِيَ بعد النَّوَى من الأَنِينِ والبُكَاءِ والأَرْقِ
بل العَجِيبُ أن من فَارَقَكُم كَيْفَ حَتَّى من بعدكم كيف بقي
إذا تَوَجَّهْتُ إلى غيرك تَعَثَّرْتُ بي قَدَمِي في طَرَفِي
إِنْ السَّعِيدُ من رَجَا فَضْلَكُم ومن رَجَا غيركم فهو الشَّقِي
قد كَانَ شَمْلِي كُلِّهِ مَجْتَمِعاً قد بعدتم آهٍ واغرقني
يا لَيْتَنِي مِتُّ ولم أبقِ إلى أَنْ ذُقْتُ طَعْمَ الْهَجْرِ والتَفَرُّقِ
يا لائِمِي لو ذُقْتَ ما ذُقْتُ من الحنين والأَنِينِ والتَشَوُّقِ
ولو رَأَتْ عَيْنَاكَ ما رَأَيْتُهُ من الجلال والجمال المُونِقِ
عَذَّرْتَنِي في قلقي وَلُمْتَنِي على بقايا ما بقي من رَمَقِي

* * *

العجب ممن يسمح بصفة الجنة وهو مخلد إلى الدنيا، وأعجب فيه من
صَدَّقَ نعيم الحضرة ثم يعمل لجنة المأوى، والعجب ممن يسمع نوازل البلوى
وهو مخدر في دنياه منها، وأعجب فيه من خَوْفِهِ الله بغضبه عليه، واحتجابه عنه،
ثم هو يخاف الجحيم واللظى.

كل عزيز وإن عز وجل، فالله أعز منه وأجل؛ وكل فائت وإن عظم وكثر،
فهو بالنسبة إلى ما يفوت من الله أصغر وأقل.

* * *

حتى متى ذا القلبُ ساهي عن كلِّ ما مُغْنِيهِ لاهي
والنفسُ مُعْرِضَةٌ عن القر آن سامعَةٌ الملامي
إن الملامي سوف ترُ مي سامعها بالدواهي
كم ذا تَنَافَسَ في الحط ام وجمعه كم ذا ساهي
ما عُذِرُ من شَابِ العَذَارُ مِنْهُ ه وَفُجِحَ سيرته كما هي
إن قيل دَعُ عنك التكبر قال أَخْنِي هدم جاهي
قد خالف القرآن في كل الأوامر والنواهي
من كان لا ينهأه عن فِعْلِ القَبَائِحِ ذَجَرْنَاهِي
العمرُ مِنْهُ قد وَهِي والذين أيضاً مِنْهُ واهي
فاصبرْ لَهُ فالأُمُّ هاوِيَةٌ وما أدراك ما هي

* * *

يا من سلب الملك الكبير ولم تشعر بسلبه، يا من أمره ربه بالتوبة وهو
مصر على ذنبه، قد خلت صحيفته من الحسنات لما خلا صدره من تعظيم ربه،
وتخلت الملائكة عن نصرته فقد استحوذ الشيطان على قلبه.

يا غافلاً عن ذكر ربه، يا مغفلاً لصلاح قلبه، يا من سباه عدوه يوماً ولم
يسعد بسلبه، هذا جزاء مقصر جهله في حق ربه.

من رام خصالاً لا تحل فجائع الأعداء بجنبه، فليعتصم بالله وليعمل على
السكن بقربه.

العارف بركن الله في حصن حصين، واللائذ بجناب الله في حرم أمين،
والعامل بكتاب الله متمسك بالعروة الوثقى والجل المتين، والمقاتل تحت لواء
رسول الله مؤيداً بالنصر العزيز، مضمون له الفتح المبين.

حصن بحصن التقوى نفسك من أسباب الردى، حصن التقوى غير

حصين^(١)، وامتسك بحبل القرآن في الشدائد كلها فكل حبل سوى هذا الحبل فهو غير متين. لله أهلون وهم جملة أهله، وكل من لا يكرم أهل القرآن فهو مهين.

* * *

احذر تُهين فقيراً لأجل رثّة هيبة أكثر ملوك الجنة في هيئة المسكين
متى أردت أن تعلو قدرك وتعلو في الرتب في حضر الله معظم أهل التقا والذين
ولا يغرك ذل ال فقير في دار الفناء دار البقى هي داره في العز والتمكين
تري الفقير في الدنيا كأنه طير حذر وفي القيامة وفي قرير عين أمين
خذ لك أيادي معهم غدا ترى الدولة لهم مقبل أحدهم وجاهه عند الملك متين
لا فخر كالفقر هذا الرسول بالفقراء مفخر وهو الذي دفين في الطين
ومع جلاله قدره دعا بأن يحيا هنا مسكين ويقبر ويحشر مع المسكين^(١)

* * *

اللهم.. ارزقنا ما رزقت أوليائك وفقراءك ومساكينك من الاستغناء بك،
والافتقار إليك. وأكرمنا بما تكرمنا به من كرامة أوليائك يوم القدوم عليك، يا
كريم.

* * *

(١) لعل صواب هذه العبارة: وكل حصن غير التقوى غير حصين.

المجلس الثامن عشر

تفسير آية

الحمد لله . . وأنجح ما توسل به إليه المتوسلون إدامة حمده، وأقرب ما تقرب به إليه المتقربون أداء فرضه .

من أدى فرائض الله فهو عبد الله حق عبده، ولا يزال عبده يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه أدخله في حزه، وأيده بجنده .

فسبحان من كل الخير في يده، وذا الفضل من عنده، إذا رُفد فلا تسأل عن حسن حال عمره من رفسده، وإذا طرد فيا كسرة القلوب من ذل طرده، وإذا حد حُدًّا لم يسع أهل سمائه وأرضه تجاوزه حده .

* * *

أَتَرَى	أَفُوزُ	نَبِيلَ	رَفْدِهِ	أَتُرَى	أُحُوزُ	كَرِيمَ	وَعْدِهِ
أَتَرَى	بِمَنْ	بِقُرْبِهِ	مِنْ	بَعْدَ	بَلَوَاهُ	يُبْعِدُهُ	
يَا	بَهْجَتِي	بِوَصَالِهِ	يَا	وَدْعَتَا	مِنْ ذَكَرَ	صَدَهُ	
أَنَا	عَبْدُهُ	وَمَحَبَّتُهُ	مَا	شَاءَ	فَلْيَصْنَعْ	بَعْدَهُ	

* * *

قد دلت الأدلة القاطعة على أن صرخة البين لأكباد المحبين قاطعة، وإنما

يحس بوجعة فراق المحبون أولوا الألباب وأرباب القلوب .

فأما مَنْ نور الهدى عن بصيرته محجوب، فكيف يعرف إعراض الرب عن المربوب، فسبحان من كل أحد من خلقه إلى عطفه فقير، وشكره واجب على القليل والكثير، والجليل والحقير .

كل جليل وحقير في قبضته أسير ﴿ له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ﴾ (١) .

* * *

يا واحداً ما له نظير	يا قاضياً ما له مشير
بذكره تُشْرَحُ الصدور	بأمره تُصْلَحُ الأمور
أحاطَ علماً فلا صغير	يَعَزُّبُ عن علمه ولا كبير
ما أحدٌ دُونَهُ غَنِيٌّ	فكلُّ من دُونِهِ فقير
ما أحدٌ دُونَهُ كبيرٌ	فكلُّ من دُونِهِ صغير
إن نحن نلنا رِضاهُ يوماً	فكلُّ ما فاتنا حقير

* * *

أحمدته وأشكره، وأحق عباده بمزيد فضله، الحامد الشكور، أَرْضَى بقضائه، وأصبر على بلائه، وما ذاق طعم العيش إلا الراضي الصبور .

وأشهد أن لا إله إلا الله العلي الكبير؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى أهل السهول والوعور، والشفيع المشفع يوم يتأخر عن الشفاعة كل مقدم جسر، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وكل من في حضرته حضور، خصوصاً على

(١) سورة الحديد الآية ٢ .

الشيخين الإمامين المفضلين، والصهرين المخصصين، والعَمَّين المبجلين،
والسبطين الريحانيين الحسن والحسين، صلاة يتصل تكرارها بالرواح والبكور.

اللهم.. إذا قسمت في عبادك الصالحين ما تقسمه من خير الدنيا
والآخرة، فاجعل لنا منه الحظ الأكبر والنصيب الموفور، وبارك لنا فيما تحيينا له
مدى الليالي والأيام والشهور والأعوام، إنما فائدة أقطرت البركات لمدركيها أن
تغتنموا بركتها بطاعة الله فيها، وكل من لا يعظم حرماننا ولا يراعها فقد حرم بركة
مساعيه، يوم تعود على الفرقة الناجية بركات مساعيها.

* * *

نستفتح بركة هذا المجلس الكريم، بتفسير آية من الذكر الحكيم: أعوذ
بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. قال الله عز
وجل في كتاب المبين: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره
منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات
لقوم يعلمون﴾^(١).

ما من مجعول إلا والله له جاعل، لأنه هو الخالق لكل صنعة وصانع،
وعمل وعامل! فلهذا قال: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره
منازل﴾ أي هو الذي أضاء الشمس فجعلها ضياءً بالنهار، وهو الذي أنار القمر
فجعله نوراً بالليل، فسواء ذا منازل لا تجاوزها ولا يقصر عنها. و﴿المنازل﴾
هي الثمانية والعشرون منزلاً، المنقسمة عن اثني عشر برجاً، قدر الله سبحانه
مسير الشمس والقمر في تلك البروج والمنازل، لينتظم بمسير الشمس فيها أمر
الفصول اربعة؛ ولولا تنقل الشمس فيها لم يكن للأرض صيف ولا شتاء، ولا
ربيع ولا خريف؛ ولولا اختلاف الهواء بتعاقب هذه الفصول لفسد نظام الحيوان

(١) سورة يونس الآية ٥.

والنبات والمعادن ؛ ولولا تنقل القمر فيها لفسد نظام الشهور القمرية، ومطالع
الآهله، والبذور، والأقمار المسخرة في الليالي الطوال الشتوية، القصار الصيفية،
وكم في خلال تدابير ذي الجلال من حكمٍ جلية، وألطفٍ خفية.

* * *

الرّب أسرارهُ خفية	تعجز عن فهمها البرية
في كل شيء مما تراه	من صنعه من حكمة جلية
ودون ما قد بدا أمور	تخفى عن الفطنة الذكية
إذا عجزنا عن فهم أدنى	حكمة أجسادنا الدنية
فكيف نرجو عرفان شيء	من أمر أوصافه العلية

* * *

- قوله تعالى : ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ قال ابن عباس رضي الله
عنهما - يقول الله تعالى : لو جعلت شمسين ، شمساً بالنهار وشمساً بالليل ،
ليس فيها ظلمة ولا ليل ، لم تعلموا عدد السنين والحساب .

قال الكلبي : يعني حساب السنين والشهور والأيام والساعات .

- ثم قال تعالى : ﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق ﴾ أي لم يخلق الشمس والقمر
ومنازلهما إلا بالعدل ؛ لأنه سبحانه هو الحق ، وكل ما جاء من عنده فهو الحق ،
وكلما صنعه وخلقه ودبره فهو حق . وقيل معناه : ما خلق الله ذلك إلا للحق .
أي لإظهار قدرته الخافية عليكم ، بإظهار صنعته البادية لكم ، وإقامة الدلائل
على وحدانيته عندكم ، ليقطع في إشراككم به عذرکم .

* * *

كلما قد بدا وما هو خافي في ثبوت التوحيد شافٍ وكافي

أي عذر لشرك وجميع الكون للشرك بالدليل نافي

* * *

ثم قال تعالى: ﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ أي نبين الأدلة للمستدلين على الصانع بصنعيته.

فإن قيل: ما الحكمة في تخصيص القمر بالذكر دون الشمس في قوله تعالى: ﴿قدره منازل﴾؟ فالجواب: أن القمر يقطع المنازل في كل شهر، والشمس لا تقطعها إلا في كل سنة، فلما كان القمر أسرع منها في طي المراحل، كان أولى منها بتخصيص الذكر في تقدير المنازل.

* * *

لا شكَّ أنَّكَ فيما رُمْتَ مغرور	تبتغي الوُصُولَ بِسَيْرٍ فيه تقصيرُ
هذا وفي سيرهم جدٌ وتشميرُ	قد سارَ قَبْلَكَ أَبْطالُ فما بَلَّغُوا
أقام بيْنَةً لَكِنَّها زورُ	يا مدعي الحُبِّ في شرعِ الغرام وقد
هذا وأنتَ بعيد الدار مهجورُ	أفْنَيْتَ عُمْرَكَ في لهو وفي لعب
ما للجراح بجسم الميْتِ تأثيرُ	لو كان قَلْبُكَ حيًّا ذَبْتَ من كمدٍ

* * *

يا من قد شغلت عن ذكر ربه الشواغل، يا من كلما أيقظته العبر فهو غافل، يا من هو في رتبة الطاعة ناقص، وفي مرتبة المعصية كامل، أما تستحي ممن سرَّكَ إليه صاعد، وخبره إليك نازل ﴿الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل﴾، أيامك تمر مرَّ السحاب وأنت إلى البطالة جائع، لا تضيف إلى الموعظة من واعظ، ولا تقبل النصيحة من ناصح، وأنت عما قليل من سكان الضرائح، فما أنت قائل لمن هو لحقوقه منك مطالب، وعن حقوق عباده

سائل؟! ﴿الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل﴾، لو عبرت قنطرة التبصرة والاعتبار لقطعت ثلث الطريق، ولو اقتحمت عقبة الخشية والفرار لخلصت من حلق المضيق، ولو سلكت سبيل أهل اللجوء إلى العزيز الغفار لوصلت مع أكرم رفيق إلى بلاد حسن التوفيق، حتى تنظر إلى وجهه من لا يشاكله مشاكل، ولا يماثله مماثل، ﴿الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل﴾.

* * *

هذه مزارع المؤثرين حرث الآخرة على حرث الدنيا، فأين الزراعون؟
إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿يا أيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾^(١).

والله لو أن العباد سمعوا هذه الآية كما ينبغي لهم أن يسمعوها، لو كان بينهم وبين الله بحار النار لخاضوها، شوقاً إلى ما شوقهم مولاهم إليه، من لذة بهجة القدوم عليه.

كم قد أهللنا من شهر شريف الميقات، ثم ينسلخ عنا، ونحن من قشرنا ما انسلخنا؟

كم قدم علينا من موسم تُغسل فيه أوساخ القلوب بمياه العبرات، ثم يرحل عنا وما تطهرنا، بل اتسخنا؟ في مثل هذه الأوقات المباركة يتوب العاصي، ويلين القلب القاسي، وينشط العامل، ويتنبه الغافل. الحسنات فيها مضاعفة لعاملها، وأبواب الرحمة مفتحة لوالجها، وأبواب الخيرات ميسرة لطالبيها؛ من قرع فيها أبواب العطايا بأنامل الدعاء توشك أن تفتح في وجهه؛ ومن استمطر سحائب النوال بكاف الإبتهال فجدير أن تسح على أرضه؛ ومن

(١) سورة الفجر الآية ٢٨.

رفع قصة السلوى إلى عالم النجوى فما أولى منح قصده .

مثل الأزمنة الكريمة المحترمة عند الله مثل السنين المخصصة للزارعين ،
والليالي المقمرة للمسافرين ، تخسف عنادها ، وتقل حركتها ، وتكثر بركتها ؛
فكذلك العامل لله في الأوقات والأماكن الشريفة ، تزكو أعماله فيها أضعاف ما
تزكو فيما سواها ؛ لأن الله سبحانه وتعالى اصطفاها لعباده على سائر ما عداها ،
يعطي ويمنع ما يشاء كما يشاء .

* * *

بَابُ

إن أبلغ ما بلغه واعظ إلى موعوظ ، وأنفع ما هو بالأسنة ملفوظ ، وفي
الصدور محفوظ ، كلام من كل شيء تحت قدرته مقهور ، وبرعايته ملحوظ :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الر كتاب أنزلناه
إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز
الحميد . الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للذين كفروا من
عذاب شديد . الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله
ويبيعونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد ﴾ ^(١) .

- أما كتاب الله فبين ليس فيه غموض ، وأما دين الله فهو متين لا ينهض به
مخلوق حق النهوض ، فلم يبق لنا عذر في حق الجهل بمراس رب العالمين ،
ولا قوة لنا على إقامة هذا الدين المتين ؛ فالواجب علينا أن نستغيث بمراحم
العزيز الرحيم ، ونستشفع إليه بجاه نبيه الكريم ، الذي أذن له في إخراج
الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجاب دعوته فله النظرة والسرور ، ومن
تخلف عن إجابته دعا بالويل والثبور .

(١) سورة إبراهيم الآيات من ١ - ٣ .

- قيل: الظلمات والنور، هما: الكفر والإيمان. وقيل: الضلال والهدى. وقيل الشك واليقين.

- وقيل: ﴿يَاْذَن رَّبِّهِمْ﴾ أي بأمره، وقيل بتوفيقه.

- وقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ يعني الذين يؤثرون الفاني على الباقي، لا يبالون ما نقص من دينهم إذ زادت دنياهم، ولا ما فاتهم من رضى مولاهم، إذا أدركوا من شهوتهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ. يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾^(١).

* * *

تَطَالِبُنِي النَّفْسُ بِالْمُشْتَهَى	وَتَنْسَى الْقِيَامَةَ وَالْمُتْتَهَى
وَتَسْعَى لِإِحْكَامِ عَهْدِ الْهَوَى	وَعَقْدِ دِيَانَاتِهَا قَدْ وَهَى
وَتَتْرَكَ صُحْبَةَ أَهْلِ النُّهَى	وَتَصْحَبُ مِنْ قُدْسِهَا ^(٢) أُولَهَا ^(٣)
فَإِنْ دَامَ هَذَا التَّنَادِي بِهَا	فَوَيْلٌ لَهَا ثَمَّ وَيْلٌ لَهَا

* * *

(١) سورة الروم الآية ٧.

(*) لعل الصواب: الجمل بمراد رب العالمين.

(٢) سها: غفل من السهو.

(٣) لها: لعب من اللهو.

ذكر نبذة من كلامه ﷺ

في الاذكار والدعوات

إن أشفى الكلام لصدور السامعين، بعد كلام رب العالمين، كلام من كان نبياً وآدم بين الماء والطين.

● قال ﷺ: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له»^(١).

● وقال: «إذا ركع أحدكم فليقل في ركعته: سبحان ربي العظيم ثلاث مرّات، وذلك أدناه. وإذا سجد فليقل: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً، وذلك أدناه»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود من حديث عبدالله بن عباس قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: فذكر الحديث بتمامه وفيه زيادة على ما أورده المؤلف - ألا إني نهيت أن أقرأ القرآن راکعاً أو ساجداً فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمت «أن يستجاب لكم» وقمن: أي حري وحقيق وجدير.

وأخرجه أيضاً أبو داود والنسائي في الصلاة والنسائي أيضاً في السنن الكبرى وابن ماجه في الرؤيا.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١) كتاب الصلاة باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود من حديث عون بن عبدالله بن عتبة عن ابن مسعود. قال الترمذي: وفي الباب عن حذيفة وعقبة بن عامر وقال أيضاً: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل. عون بن عبدالله بن عتبة ثم يلق ابن مسعود. والعمل على هذا عند أهل العلم: يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات.

قال أحمد شاكر معلقاً: وعون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ثقة وكان كثير الارسال وعبد الله بن

● وقال: « إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع: يقول: . اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال »^(١).

● وقال: « من سبح في دبر صلاة الغداة مائة تسبيحة، وهلل مائة تهليلة، غفرت ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر »^(٢).

● وقال لرجل: « إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل: اللهم أجرني من النار - سبع مرات - قبل أن تكلم أحداً، فإنك إذا قلت ذلك ثم قمت من ليلتك كتب لك جوار منها، وقال: وإذا صليت الصبح فقل ذلك، فإنك إن مت من يومك كتب لك جوار منها »^(٣).

= مسعود عم أبيه.

ورواه أيضاً البغوي في شرح السنة ونقل كلام الترمذي عليه وقال شعيب الأرناؤوط وهو منقطع كما قال الترمذي.

وروى الحديث أيضاً الشافعي في الأم ٩٦/١ وابن ماجه (٨٩٠) في إقامة الصلاة باب التسبيح في الركوع والسجود وأبو داود (٨٨٦) في الصلاة: باب مقدار الركوع والسجود. (١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب ما يستعاذ منه في الصلاة عن أبي هريرة وأخرجه أحمد عنه أيضاً ٤٧٧/٢ والنسائي في السهو عنه أيضاً.

(٢) أخرجه النسائي في التسبيح بعد التسليم (٧٩ / ٣) ورجاله رجال الصحيح فقد روى لهم البخاري ومسلم إلا أن أبا الزبير المكي وهو محمد بن مسلم قال ابن حجر: يدلّس ونقل في التهذيب عن أحمد أن أيوب كان يضعفه وعن ابن أبي حاتم عن أبيه قال: يكتب حديثه ولا يحتج به كما فعل أيضاً توثيقه عن ابن معين والنسائي وقال ابن عدي روى عنه مالك وكفى بمن يروي عنه مالك لأن مالكا لا يحدث إلا عن ثقة وقال ابن عدي أيضاً: لا أعلم أحداً من الثقات تخلف عن أبي الزبير إلا وقد كتب عنه وهو في نفسه ثقة إلا إن روى عنه بعض الضعفاء فيكون ذلك من جهة الضعيف ووثقه الكثيرون أيضاً.

ونقل عن ابن حبان أنه أورده في الثقات وقال: لم ينصف من قدح فيه لأن من استرجع في الوزن لنفسه لم يستحق الترك. راجع فيه [تقريب التقريب: ٢٠٧/٢، تهذيب التهذيب: ٤٤٢/٩].

قلت: رواية الترمذي عن أبي الزبير عن أبي علقمة وهو مدلس كما قال ابن حجر.

(٣) رواه أبو داود عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه بلفظه (٣٢١ / ٤) كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح. ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة والمنذري في الترغيب (١٦٧/١).

● وقال: « من قال حين يصبح: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاث مرات) لم يُصبه في نومه فجأة بلاء. ومن قالها حين يمسي لم يصبه فجأة بلاء في ليلته » (١).

● وقال: « من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً ونبياً، كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة » (٢).

● وقال: « من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثابٍ رجله قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو على كل شيء قدير - عشر مرات - كتب له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه، وحُرِسَ من الشيطان الرجيم، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم، إلا الشرك بالله عز وجل » (٣).

(١) رواه المنذري في الترغيب بلفظ ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فيضره شيء ٢٢٦/٧ وعزاه إلى أبي داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد. وهو كما قال. وذكره الالباني في صحيح الجامع (رقم ٢. ١٣) وصححه وعزاه إلى أبي داود ابن حبان والحاكم. والحديث عن عثمان بن عفان.

(٢) قال المنذري في الترغيب (١ / ٢٢٨): عن أبي سلام محطور الحبش أنه كان في مسجد حمص فمر به رجل فقالوا هذا خدام رسول الله ﷺ فقام إليه فقال حدثني بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لم تتداوله بينك وبينه الرجال فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ إلا كان حقاً على الله أن يرضيه». رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وقال حديث حسن غريب. قلت هو في الدعوات من الترمذي باب ما يقول حين يصبح وحين يمسي. ثم قال: وفي بعض النسخ حسن صحيح وهو بعيد وعنده وبمحمد نبياً فينبغر أن يجمع بينهما فيقال وبمحمد نبياً ورسولاً ورواه ابن ماجه وأحمد. قلت ورواه الحاكم (١ / ٥١٤) أيضاً وقال: صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) قال المنذري في الترغيب (١ / ١٦٦) رواه الترمذي وقال: حسن غريب صحيح والنسائي. وزاده بيده الخير وزاد فيه أيضاً «وكان له بكل واحدة قالها عتق رقية مؤمنة ورواه النسائي أيضاً من حديث معاذ وزاد فيه» ومن قالهن حين ينصرف من صلاة العصر أعطى مثل ذلك في ليلته. قلت: وهو كما قال.

● وقال: « من قال حين يصبح : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وكذلك تخرجون ﴾ ^(١) أدرك ما فاتته في ليلته » . ^(٢)

أيها الناس . . احرصوا على درك ما فات ، وهيئات أن يدرك الفائت هيئات . كل وقت له وظيفة ، فمن فاتته وظائف الأوقات ، فعمره كله فوات ، ونعم الله عليه معرضة للآفات .

* * *

يا خارجاً عن حِمَانَا بمن تعَوَّضْتَ عَنَّا
جَمَعَ ما شَطَّ عَنَّا قد حُفَّ بالآفات
لو كنت عاقلاً ما اعتَضْتَ البُعْدَ عَنَّا بقربنا
عَزَى فؤادك فماذا يلقي من الحسرات
ارجع إلى ما كُنَّا عليه أوقات الصِّفَا من
قبل أن تتمنى يقل لك هَيْهَات
لا في شُهورِ التَّصافِي تَصْفُو ولا في غيرها
في أي وقت تَصافى قد مرَّت الأوقات
القلب رُبُع التَّوَّاصِل إذا خلا من غيرنا قد
انقضى العُمُرُ والرَّبْعُ مُوحش العرضا
ما دام سُؤْلُكَ يُبْذَل من التَّوَّاصِل فاغتنم
يا ربِّ يوم تُسأل يقول سُؤْلُكَ فات

* * *

من أقوال السلف

العمر ثلج ، والأجل شمس ، ولا يزال حرها يشتد كلما دنت ، فهي تلتمس الثلج فلا عين ولا أثر .

(١) الآية من سورة الروم والحديث : في عمل اليوم والليلة « لابن السني » (٥٤ ، ٧٧) .

(٢) قال المنذري في الترغيب (١ / ٢٢٥) رواه أبو داود ولم يضعفه وتكلم فيه البخاري في تاريخه .

(٣) الربع : بفتح الراء وسكون الموحدة هو محلة القوم ودار إقامتهم .

العمر يذوب، فافطني يا نفسي، ما أشبهه بثلجة في شمسي، يومي يمضي
كما يقضي أمسي، يا رب مصبح وقد لا أمسي.

العجب ممن يدعي العقل والتمييز، وهو جاهل بنفاسة الوقت العزيز،
يفرح بريح الفانيات وهو مغبون، ويعد في عرف أهل الدنيا عاقلاً وهو عند أهل
الآخرة مجنون، كم ورعٍ للعقل منا وهو مجنون، يعتقد الربح وهو مغبون، يعد
بين الحذاق متقداً وكل ما في متاعه دون، متبع للهوى وكل هوى قد ألحقت في
هجائه نون. ترى في جمعنا هذا مَنْ فطرته ذكية، ترى بيننا مَنْ يفهم الإشارات
الخفية، ترى حفرنا شهم له همة عليّة، تحمله الأنفة من الرضا بالرتب الدنية.

لله ذوو نفوس تسمو إلى الرتب العلية، قوم أبت لهم الدناة أنفس لهم أبيّة،
لم يصمهم ما راق غيرهم من الدنيا الدنية، رمقوا بأبصار القلوب معارج الرتب
السنية، فتعاهدوا عهداً تؤكد المواقف القوية، لا ينكلون عن الفرات بمرهفات
مشرفية، حتى تخلى عنهم العمى وأوجههم مضية.

قد شرحنا بعض شيء من أحوالهم فلنذكر شيئاً من سديد أقوالهم:

- قالوا رحمهم الله: الفقر له حرمة وحرمة ستره والغيرة عليه، فمن أظهره وبذله
فليس هو من أهله.

- الصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوى.

- من علت همته على الأكوان وصل إلى مكونها، ومن وقف مع شيء سوى الحق
فإنه الحق لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك.

- من ألزم نفسه بآداب السنة عمر الله قلبه بنور المعرفة.

- أقرب شيء إلى مقت الله رؤية النفس وأحوالها.

- علامات الولي أربع: ● صيانة شره فيما بينه وبين الناس.

● وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله.

● واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله .

● ومداراته للخلق على قدر عقولهم .

- من استولت عليه النفس صار أسيراً في سجن الشهوات ، محصوراً في حكم الهوى ، فحرم الله على قلبه الفوائد .

- الحر عبدٌ ما طمع ، والعبد حرٌ ما قنع .

- البريء جريء ، والخائف خائف .

- من كان يَسْرَهُ ما يضرّه ، متى يفلح ؟

- إن الله نظر إلى عبيد من عبيده فلم يرهم أهلاً لمعرفته ، فشغلهم بخدمته ، إلا شاربٌ بكأس العارفين ، إلا مستيقظ من رقدة الغافلين ، ستقدم فتعلم ، ويكشف الغطاء فتندم .

- مَكْرَبُكَ في إحسانه فتناسيت ، وأمهلك في غَيْكِ فتماديت ، وأسقطك من عينه فما دريت ولا بليت .

- يا ليت شعري . . ما اسمي عندك يا علّام الغيوب ؟ ، وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب ؟ ، وبم يختم عملي يا مقلب القلوب .

- من عرف الله لا يكون له غم .

- إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها ، فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا ؛ وإن أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفاً من تراب ، فإنك منه خلقت ، وفيه تعود ، ومنه تخرج ؛ وإن أردت أن تنظر ما فيك ، فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء ؛ فمن كان حاله كذلك فلا يجوز له أن يتناول ولا أن يتكبر .

- ليس للأعمى من رؤية الجوهر إلا مسّها ، وليس للجاهل من معرفة الله إلا ذكره باللسان .

- من نقر على الناس قلّ أصدقاؤه ، ومن نقر على ذنوبه طال بكاؤه ، ومن نقر

مطعمه طال جوعه .

- احذر أن تخاصم من إذا نمت كان منتبهاً . . معناه : لا تعادي أولياء الله فإنك تنام وهم مستيقظون ، فربما دعوا عليك ، فاستجيب فيك وأنت لا تشعر، إحذر سهام الله حين تنام والمظلوم ساهر.

* * *

يدعُو عليك وأنت في	غمض ورُبُّ العرش ناظر
لو بَتَّ في حِصْنِ سَمَا	في الجو لا يعلوهُ طائر
من حوله الأبطالُ في	أيديهم البيضُ البواتر
وعليك أدرعُ الحديد	وحولك الأسد الكواسر
ودعا عليك مظلومٌ لم	يلق غير الله ناصر
لأصاب سَهْمَ دُعَائِهِ مِنْ	لك الفؤادُ وأنت صاغر

* * *

دعوة المظلوم

كثيراً ما يستهين الناس بالظالم، وينسون يوماً يأخذ فيه الله من المظلوم للظالم، لا سيما الغيبة، فإنها من أربا الربا وأغث المطاعم .

هل فينا من تحلل خصمائه؟ هل فينا من أرض غرماءه؟ ما قدرنا الله حق قدره، ولا فرقنا بين حلو العيش ومرّه، كأنك بالزراع وقد حصد زرعه، فطوبى لأهل العبادة والتقوى والورع .

* * *

لم يزل للزّارع مُزْدَرَعٌ إلا التّقى والزُّهْدُ والورع

وعبادة في سَنَةٍ خَلَصْتَ لله ليس يشوبها طمع
هي أربعُ إن أنت قُمتَ بها خُلِعَتْ عليك من الرضا خُلِعَ

* * *

من مهمات المطالب

أربع من مهمات المطالب، لا ينبغي أن يهتم بغيرها الطالب حتى يحوزها
قبل كل مستحب وواجب:

المطلب الأول: التقوى وهي: أداء الفرائض، واجتناب المحارم.

الثاني: الورع، وهو: تحرير مقام التقى بترك المحرمات والمشتبهات التي
تدق وتخفى.

الثالث: الزهد، وهو: ترك ما ليس إليه ضرورة، ولا فيه عند أهل الله
مصلحة.

الرابع: العبادة، وهي: استعمال القلب والجوارح في الخدمة.

فكل طالب طلب أن يعد من الرجال، بدون إحكام هذه الخصال، فهو
طامع في نيل ما لا يُنال.

* * *

من رَجَا أن يَنَالَ ما لا يُنال	فحال رجاؤه وضلال
لا يُنالُ العُلَى بغير عناء	من رجا نيلها براحةٍ مُحال
سرتُ زحفاً إلى المعالي وقد	أرخت إليها الأعنة الأبطال
منهمُ الحائزُ المرامُ ومنهم	من أتت دُون قصده الأجال
كنت أرجو بهم لِحاقاً فَخَانَتْنِي	المعاصي وخانت الآمال
ربّ فاجبر كسري بما لم تزل	أهلاً له يا جواد يا مفضل

* * *

حسرات المحرومين

ثلاثة من المحرومين حسرتهم أوجع حسرات المتحسرين :

- عبد كان يرجو الوفاة على الإسلام ، فأدركه عند الموت سوء الخاتمة .
- وعبد كان يرجو التوبة ، وهو مصرُّ على الخطيئة .
- وعبد يرجو اللحاق بأولياء الله ، فحرمته المقادير بلوغ ما رجا .

* * *

وَحُلْتُمْ بَيْنَ خَدَيَّ وَالْوَسَادِي	حُرِمْتُ مُقْلَتِي طِيبَ الرُّقَادِي
وَأَنْتُمْ قَادِرُونَ عَلَى مُرَادِي	أُرِيدُ الْقَرَبَ مِنْكُمْ تُبْعِدُونِي
بَطَرْدِي عَنْكُمْ شَرَّ الْبِلَادِي	وَحَقُّكُمْ لَقَدْ أَسْلَفْتُمُونِي
وَيَا حَرَقَاتِ مَا يَغْشَى فُؤَادِي	فِيَا حَسَرَاتِ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي
وَخَالَفَ بَيْنَ جَفْنِي وَالسُّهَادِي	قَلَاكُمْ قَدْ شَفَّ بِالْإِسْلَامِ حُمِي
بَقِيتَ مَهِيماً فِي كُلِّ وَادِي	وَشَرَّدَنِي عَنِ الْأَوْطَانِ حَتَّى
عَلَيْهِ بِالضُّدُودِ وَبِالْبُعَادِي	وَكَيْفَ يَقْرُ مَهْجُورٌ قَضَيْتُمْ
وَلَمْ يَسْمَعْ وَشَايَاتِ الْأَعَادِي	مَحَبُّ لَمْ يُطْعَ فِيكُمْ عَذُولًا
وَيَنْشُرُ ذِكْرَكُمْ فِي كُلِّ نَادِي	وَيَطْوِي سِرُّكُمْ عَنْ كُلِّ حَيٍّ
مَحَبَّتَكُمْ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي	فَلَوْ حَدَّثْتُمُوهُ مَا سَلَا عَنْ
وَلَوْ أَنْ تَمُنُوا بِالْيَسِيرِ مِنَ الرَّقَادِي	فَذَنْكُمُوهَا اجْبُرُوا كَسْرِي وَفَقْرِي
إِلَى رُؤْيَاكُمْ فِي النَّوْمِ صَادِي	عَسَى طَيْفٌ يَلُمُّ فَإِنْ طَرَفِي

* * *

المجلس التاسع عشر

تفسير آية من سورة التوبة

الحمد لله . . الذي ما علت أقدار عباده إلا بتعظيم حرماته وشعائره، ولا حظى بولاية أهل العرفات إلا بالتوبة إليه من ركوب العصيان وكبائره وصغائره .
فذلك العبد هو الذي دلت استقامة ظواهره على استنارة بواطنه، وأشرقت بواطنه على صفحات ظواهره .

لكل ذي نسب حبيب، من شرف نسبه نصيب، ولا كشراف أنساب المتقين؛ ولكل ذي تقى على تقواه ثواب، ولا كثواب المعظمين لحرمات الدين؛ يعظمون حرمة الزمان والمكان، وكلما ينسب إلى الملك العظيم الشأن .

أحمده على ما أرانا من واضحات قرب المناسك، وأنقذنا من غامضات حفر المهالك، حمد معترف بأنه لمقاليد السموات والأرض مالك، ليس له في مثقال ذرة من جميع الممالك، قسيم ينازعه ولا مشارك .

وأشهد أن لا إله إلا الله، أغلى علم يقينها عن علم القياس .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى الجنة والناس، صلى الله عليه وعلى آله صلاة تكثر عدد الأنفاس، وعلى سائر عباد الله الفطن الأكياس، المطهرين بمياه التقى من جميع الأدناس، خصوصاً على الخلفاء الأربعة الذين شيدوا أساس الدين على أقوى أساس .

كم لله من عتقاء كانوا في رق الذنوب والإسراف، فأصبحوا بعد ذل المعصية بعزّ الطاعة من الملوك والأشراف، أكرموا مولاهم أن يراهم حيث أراهم، فأفادهم ذلك التعظيم والاحترام، جلالة وكرامة عند ذي الجلال.

* * *

سَلَامٌ عَلَى أَهْلِ دَارِ السَّلَامِ	سَلَامٌ مَشُوقٍ بَرَاهِ السَّقَامِ
يَبِيتُ يُرَاعِي نُجُومَ الدُّجَا	كَأَنَّ الرَّقَادَ عَلَيْهِ حَرَامِ
وَكَيْفَ يَلْذُ الْكَرَى مَغْرَمِ	يَذُوبُ احْتِرَاقاً بِنَارِ الْغَرَامِ
يَظَلُّ مِنَ الدَّمْعِ فِي لُجَّةٍ	وَمِنْ وَقْدِ نَارِ الْأَمْسِ فِي ضَرَامِ
فَاتَ عَنْهُ دَارُ أَحِبَابِهِ	شُمُوسُ الضُّحَى وَبَدُورُ التَّمَامِ
وَقَدْ كَانَ مِنْ حِزْبِهِمْ فِي حِمَى	وَأَصْبَحَ مِنْ نَاصِرٍ فِي حِمَامِ

* * *

تفسير آية من القرآن المجيد

نستكمل بها بركة الوقت السعيد، قوله تعالى:

﴿إِنْ عُدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنِ أَنْفُسَكُمْ وَفَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١).

كان الكفار بجهلهم عن أحكام الدين، وتكبّرهم عن متابعة المرسلين، يتصرفون في شهور السنة بتقليب أحكامها، وتحويلها عن مكانها، بتحريم حلالها، وتحليل حرامها.

فأعلمنا سبحانه أن تصرفهم مسوق بما سطرت في الألواح والأقلام، قبل

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.

خلق الليالي والأيام . وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ في كتاب الله ﴾ أي في اللوح المحفوظ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : في الإمام الذي عند الله ، كتبه يوم خلق السموات والأرض .

وأما [الأربعة الحرم] : فهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب . فيجب على العبد المسلم أن يكون بفضلها عارفاً ، وعلى تعظيمها عاكفاً ، ولمضاعفة ثواب الله فيها راجياً ، ومن مضاعفة عقاب المعاصي منها خائفاً .

* * *

شَمُّرُوا للحرب عن ساقٍ ما	لما قد حُمَّ من وافي
إن كأس الموت دائرةٌ	ليس تُبْقَى منكم باقي
والمنايا للفتى رصدٌ	كل حيٍّ حَتْفُهُ لاقى
فابذلوا لله أنفُسكم	واكثِفُوا للحَرْبِ عن ساقِي
إنما هذا العدوُّ لكم	كَجُرُوحٍ فوق أُمَاقِي
لَسَعَةُ الشيطان ليس لها	غيرُ ذِكْرِ الله ترياقِي

* * *

ثم قال تعالى : ﴿ واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد أنه تعالى مع أوليائه الذين يخافونه فيما كلفهم من أمره ونهيه .

وقال الزجاج : إنه تعالى يريد أنه ضامن لهم النصر والتأييد ، وهم قوم لم يزالوا معه بالعبادة والتوحيد ، وكيف لا يرفع الله أقدارهم وهم الذين لم تزل كلمة التوحيد بجهادهم مرتفعة ، كيف لا يقيم الله الوجود في خدمتهم وهم الذين لم

يزالوا قائمين في خدمته، إن وجههم في أمر توجَّهوا إليه، وإلا لم يزالوا في
حضرتة يحنون إلى لقائه كما يحن المشتاق إلى قرب الديار، وينيبون إلى ذكره
كما تنيب النسر إلى الأوكار، وإذا ترنم لهم إلحادي باسمه هتك عن قلوبهم
الأسرار، وأي محب يسمع باسم حبيبه ثم يقر له قرار.

* * *

مشوقٌ لا يقرُّ له قرارٌ	وكيفَ يقرُّ وقد نأت عنه الديارُ
إذا ذكر اسمٌ من يَهوَاهُ يوماً	يكادُ القلبُ منه يُستَطارُ
وما في موتٍ صبٍّ مُستَهامٍ	إذا ذكر اسمٌ من يَهوَاهُ عَارُ
ترنم باسم من أَهْوَى لِسْمْعِي	جَهَاراً فَأَعْذَبَ الذِّكْرَ الْجَهَارُ
وبرَّدَ باسمه حرقِي فإن	اسمه برَّدَ وحرَّ الشوق نَارُ

* * *

أهل المحبة

لا يزال بين جوانح المحب لواعج الاشتياق، فإذا ذكر اسم الحبيب برد
بعض ذلك الاحتراق، والهجر سم قاتل والوصل ترياق.

* * *

ما يسمُ الهجران من تَرياقٍ غير وصلٍ يروي صدى المشتاق
لو وجدنا إلى الوصال سبيلاً لَسَقَيْنَا إِلَيْهِ بِالْأَحْدَاقِ
أَقْتَلُوا عَبْدَكُمْ فِي قَتْلِهِ رَاحَةً مِنْ لَوَائِحِ الْأَشْوَاقِ
أَيُّ عَيْسٍ لِمَنْ يُفَارِقُ الْفَأَّ أَلْفَ مَوْتٍ وَلَا قَلِيلَ فِرَاقِ

* * *

السالكون على قدم أهل المحبة يختارون الموت على الهجران، والعاملون على طريق أهل الخشية يؤثرون عذاب النار على ركوب العصيان، وأهل المعرفة بالله بما هو أهله مشغولون به عن نصيهم منه لا يرون الاشتغال بشيء سواه، وهم في ذلك يعظمون الحرمات والشعائر، ويتقون كبائر الذنوب والصغائر، ويوفون الأدب في سياسة الظواهر، وحراسة السرائر وقلوبهم معلقة بمن لا تدركه الأبصار، ولا تكفيه البصائر.

* * *

لورقٌ لي سُكَّانُ حاجرٍ	لم تُقْرِحِ الدَّمْعُ المحاجرُ
لا غَرَوْ أن هَجَرَ الكرى	صَباً لَه المحبوبُ يُفاخرُ
مَالِي كُسِرْتُ	وأنت يا مولاي للمكسور جابرُ
هَبْ أن عبدك قد أتى	كل الكبائر والصغائر
أنت الذي سَمَّيتَ نفسك	في صَريحِ الذِّكرِ غافر

* * *

يا مصرًّا على الذنوب، أما آن لك أن تتوب. يا غافلاً عن ذكر مولاه إلى متى أنت محجوب.

كم قد أهلت من شهر حرام، وهمله إلى الحرام منصوب. ليس في صدرك من خشية ربك ما ينبغي أن يكون للرب في صدر المربوب.

* * *

رُوحُ القلبِ بذكرِ الحبيبِ	والسقمى فيه من طبيبِ
هو أنسى هوراحة قلبي	هو رُوحِي هو مُفرجِ الكربِ
هَبَّ الرِّيحُ جنوباً فأهدت	لي من ذُكرُكم رُوحِ القلوبِ

لذذتني منه فلا أزال الدَّهر أرتاحُ لريح الجنوب
كلما نُسب إلى الجُنون فهو جُنون وكلما أدى إلى المطلوب مطلوب
جيمعُ الذي يُعزى إليكم ويُنسب على كريم وهو عندي مُجيب
جُنوني غرقته بانسفاح مدامعي وقلبي على جمر الخَصا يتقلَّب
إذا كان هجري مُدنياً من رضاكم فهجرُكم عندي من الوصل أطيب

* * *

الرضا عن الله لازم لكل مخلوق، ولو حمّله الله ما لا يطيق، لأنه سبحانه لا يقضي إلا بالحق، ومن لا يرضيه الحق فهو بالغضب والعقوبة محقوق.
سخط المقدور يزيد في المحذور، ومنازعة القضاء تزيد في الشقاء،
والتواضع رفعة، واليأس راحة، والإساءة وحشة.
إذا استحوذت الغفلة، فقد استحكمت الشقوة. كراهية العبد لقاء الرب
دليل على ألا خبيّة بينه وبينه.
أفضل العبادة صحة الإرادة. أعرف الخلق بالله أقربهم منه، وأطوعهم له
أعرفهم به. العبادة بغير معرفة، كسيرٍ على غير جادة.
لو انتبهت من رقادك، لوصلت إلى مرادك؛ ولو أيقنت بمعادك لاستكثرت
من زادك.

* * *

أين ما أَعْدَدْتَ من زادٍ قد حَدَا بالَأَيْتِنِ^(١) الحادي
ما بقي إلا القليل وقد جَدَّ سِرُّ الرَّائِحِ الغادي

(١) «الأنيق» جمع ناقة.

فتأهبَّ للمسير إلى دار قوم	سكن	الوادي
وارتقب من بعدها سفراً	ثالث يجدونهم حادي	
لا يزال السير يزعجهم	بين إصدار وإيرادي	
فإذا تم السرى نزلوا	في خلودٍ خلداً وأيادي	

* * *

هذه مواسم الأرباح قائمة، فهل من رابح فيها رضا مولاه؟ هذه نعم الله سابعة فهل شاكر الله على ما أولاه؟ كم من مؤمل بلوغ ما بلغتموه من الصحة والفراغ والمهل، قبل أن يبلغ عرى العافية الانقسام، ومجنح شمس الحياة الى الطفل، ويقول القائل: مالي لا أرى فلاناً؟ فيقال انتقل.

* * *

سُروري سَرى واضطباري رَحَل	وقد رغبتم نَجْم سَعدي أَفَل
وضاقت بي الأرض من بعدكم	تنكر لي سهلها والجبل
وما كنتُ أحسبُ أن البعاد	سلع قلبي فها قد قتل
وكنْتُ أؤمل لِقياكُمْ	فعرَّ عليَّ بُلُوغُ الأمل
فلا تسمعوا قول من قد وشاكم	لم أطع فيكم من عدل
ورِقُوا لمن قد براهُ السَّقام	فلا يبق في عَذكم مُحتمل
وإن كان في الحبِّ لي من	ذلك فما زلتُموا تغفرون الزَّلَل

* * *

تعالى الله، وما أجل ذكره في أسماع المحبين، من علو شأنه في قلوبهم، يزجرون نفوسهم عن دعوى حبه، وهم يعلمون أن حبه أقرب الوسائل المذنية من قربه، ولكن لمعرفتهم به علموا أن مهور محبته غالية على قدرهم، فأمسكوا عن

تعاطي المحبة وهم يعلمون أن رتبة المحب فوق كل رتبة.

* * *

حالي تقتضي اعترافي لرَّبِّي	بذنوبي لرَّبِّي	وافترقاري
سوء حالي اقتضى رضائي بإذني	ما عسى أن يجبر الكساري	
أرتجي العفو والوفاء على	الإسلام والعق من عذاب النار	
آيستني الذُّنوب من كل مج	يد وسناء ورفعة وفخار	
ما لمثلي أن يدعي حبَّ رَّبِّي	إنما الحبَّ رُتْبة الأطهار	

* * *

كان ابن الجلا رحمة الله عليه إذا سئل عن المحبة قال: مالي وللمحبة، أنا أريد أن أتعلم التوبة. إذا ادعت نفسك محبة الله فطالبها بصفات محبته، لتعلم أصادقة هي أم كاذبة فيما تدعيه. إن أيسر ما يكرم الله أهل محبته أن يظهر عليهم خوارق العوائد، ويطلعهم على أسرار الخلائق، حتى تكون عليها كشاهد.

كان جماعة عند الجبري فقال: هل فيكم من إذا أراد الله أن يُحدث في المملكة حدثاً، أبدى علمه إلى وليّه قبل إبدائه في كونه؟ قالوا: لا. فقال مرّوا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً من هذا، لما أكرموا مولاهم أن يراهم حيث نهاهم، صافاهم ووالاهم، ولمولاته ارتضاهم. وكيف لا يرتضيهم وقد أطاعوه؟ وكيف لا يطيعونه وقد عرفوه؟.

سئل الشبلي عن: أي شيء أعجب؟ قال: قلب عرف ربه ثم عصاه، إنما كانت معصية العارف من العجب العجيب لأنه من الجناب العزيز قريب، وعليه من الله في كل حال رقيب؛ فهو لقربه من الله كأنه يراه، أما العين محجوبة ولكن القلب يتملّاه.

دخل على الشبلي جماعة في داره وهو بهيج، ويقول: على بعدكم لا

يصبر من عادته القرب، ولا يقوى على حببكم من قيمة الحب، فإن لم تترك العين فقد يبصرك القلب. لما أخلوا له القلوب مما سواه أضاءت قلوبهم وإن كانت لا تراه، كأنها تراه. ولأجل ما هم فيه من مقام القرب واقفون، ومن عظمة ربهم خائفون، طالبوا بها الناس به مسامحون. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بلال إلق الله فقيراً، ولا تلقه غنياً». قال: يا رسول الله كيف لي بذلك؟ قال: «هو ذاك، وإلا فالنار»^(١).

أصحاب العناية مطالبون بما لا يطالب به المهملون، والمقربون يناقشون على ما تسامح به المتعبدون، لأنه سبحانه اصطنعهم لنفسه، وجعلهم جلساءه في حضرة قدسه، فكيف يسامحون في الإخلال بحسن الآداب، وبحسن الأدب استحقوا ساميات الرب. لما استشفعت الخليفة بسادات المرسلين يوم القيامة، تأخر آدم بسبب الشجرة التي نهى عنها، وهي خطيئة قد غفرت له، وقد تاب منها. وتأخر نوح بالدعوة على قومه، وما أراد بها إلا هلاك أعداء الله، وتطهير الأرض والبلاد، وإراحة العباد. وتأخر الخليل بالديات الثلاث، وكلها كانت في ذات الله وطلب مرضاته. وتأخر الكليم بالنفس التي قتلها، وإنما كان المقتول كافراً باغياً، أراد كليم الله كفه ولم يعتمد قتله، وكان في ذلك الوقت من أهل النبوة والرسالة. وتأخر المسيح خجلاً مما قالت النصارى فيه، وذلك ذنب ما جناه ولا إرتضاه. علموا أن مقام الشفاعة مقام لا يسامح، تقدموا إليه فناقش كل منهم نفسه بأدق ما يلزم ويجب عليه، كلما بلغوا من القرب والأنس مقاماً ازدادوا لله إجلالاً وإعظاماً.

* * *

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٣١٦/٤) ولفظه «يا بلال اتق الله فقيراً ولا تلقه غنياً. قال قلت: كيف لي بذلك يا رسول الله قال: «إذا رزقت فلا تحباً وإذا سئلت فلا تمنع قال: قلت وكيف لي بذلك يا رسول الله. قال: هو ذاك وإلا فالنار». وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قال الذهبي: واه.

وأشار السيوطي في جمع الجوامع (٩٥٩/١) إلى أن الطبراني أخرجه في الكبير.

كلما زادني اقتراباً ووداً زَادَ قلبي له احتراماً مُجداً
 وإذا زاد بالتَّواصل يوماً خِفْتُ أن يعقُبَ التَّواصلُ ضداً
 كم قريبٌ قد أهملَ الخوفَ فاعتاضَ بإهماله من القُرب بُعداً
 ومُدِلَ على الأحبة جازوهُ بإذلاله إنتهاراً وطرذاً
 ويخافوه بعد أنس ولطف ثم قَدُوا له من الهجر مداً

* * *

أطول الناس حسرة، وأوجعهم كسرة، عبد قربه مولاه، ولاطفه وصافاه،
 فعزه ذلك الأنس والاقتراب، فأحل بما يلزمه من محاسن الآداب، فنفضته يد
 الإنكار نفضة إبعاد، فأصبح مطروداً إلى يوم التناد.

* * *

يا لها حسرة ليوم البعادِ كم ترى فَتَّتْ من الأكبادي
 يا لها صيحة أطارت فؤادي كم ترى أَشْمَتَتْ من الحُسَّادي
 بُدِّلَ الوصل بالصدود وقرب الديار بالبعد والكرى^(١) السهادي^(٢)
 ما لقلبي مُوالياً لهمومي ما لجنسي مُعاديّاً لمهادي
 ما لجسمي مُلائماً لُنُحولي ما لجُفني منافراً لِرُقادي
 ليتني مِتُّ قبل ما ذُقت من الهجر والقلَى^(٣) والبُعادي
 لا تَلْمَني على افتضاحي فقد باحت دُموعي بما أَسَرَّ فؤادي

* * *

(١) «الكرى» النعاس.

(٢) السهاد: الأرق.

(٣) «القلَى» البغض.

صحبة المعلمين

أحوج الناس إلى صحبة المعلمين ثلاثة رجال :

- رجل يطلب أن يكون من وزراء السلاطين .

- ورجل يطلب العلم ، ليصير به من أئمة الدين .

- ورجل يطلب العبادة ، ليتوصل بها إلى مقامات المقربين .

لأن من صحب السلطان بغير تأدب بأهل ذلك الشأن ، لم يأمن أن يكون حتفه في سقطة من سقطات اللسان . ومن لم يتأدب بعلمه بآداب العلماء ، لم يأمن أن يكون حتفه في بعض أودية ضلال الآراء .

ومن تعبد من غير مداخلة لأولياء الله لم يأمن أن يتبع السبل فتفرق بكم عن سبيل الله .

من يكن شيخ نفسه في الطريق لم يَنَلْ رُتَبَةً من التحقيق
لا يَتِمُّ السُّلُوكُ في الطرق إلا بِخَفِيرٍ وَمُرْشِدٍ وَرَفِيقٍ

قطاع الطريق على أرباب السلوك أربعة :

- كافر مطاع يشكك في الله .

- ومبتدع يزيغك عن سنة رسول الله .

- وفاسق يجزيك على معاصي الله .

- وغافل ينسيك صحبة ذكر الله .

إذا ما عزمت السَّير في نَيْل متجر يكون له من صفقة الرِّبح حاصل
فأربعة لا تسلك سبيلهم كفور ويدعي وعاصٍ وغافل

* * *

هذه نصيحة أهديها إليك، فأمسكها بكلتي يديك، وعض عليها بناجزيك،
تتم بها نعمة الله عليك . اللهم . . وفقنا لمحائبك منا، وارزقنا عملاً صالحاً زاكياً
ترضى به عنا حتى نلقاك وأنت راضٍ عنا، في لطف منك وعافية، يا أرحم
الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه، وسلم تسليماً
كثيراً إلى يوم الدين .

* * *

المجلس العشرون

الإسراء معناه وأسراره

الحمد لله: ﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾^(١)، مثير السحاب بالرياح، من مثارها، ومدير الأفلاك على الأقطاب في مدارها، فلا تأثير إلا وهو مثير، ولا دائر إلا وهو له عدير، دبّر فأحكم التدبير، وقدر فأبرم التقدير.

من استرحمه فهو له راحم، ومن استنصره فهو له نصير، ومن استغاثه فهو له مغيث، ومن استجاره فهو له مجير، ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾^(٢)، ويكلأ عباده بالليل والنهار، ولا يأخذه نوم ولا سنة، ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض، بتدبير ما أتقنه وأحسنه، فله الحمد على حسن التدبير في مجاري القدير.

* * *

وَيُطْعَمُ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ
وهو على خلقه جَبِير

في بابه يُجْبَرُ الْكَسِرُ
ليس عليه مُجْبَرُ خَلْقٍ

(١) سورة غافر الآية ٣.
(٢) سورة المعارج الآية ٤.

علمٌ محيطٌ فلا صغير	يغرُبُ عنه ولا كبير
لكل أقوالنا سميعٌ	لكل أعمالنا بصير
إذا ابتليْنَا فهو المُعافي	أو نحن خِفْنَا فهو المُجير
وإن مَرِضْنَا فهو المُدَاوي	وإن أَسَأْنَا فهو الغفور
إحساننا عائدٌ علينا	وهو لنا مَادِحٌ شكور

* * *

سبحان من يشكر المحسنين على إحسانهم، وإنما إحسانهم من إحسانه .

سبحان من تعامله العباد بعصيانهم، ويعاملهم بغفرانه .

سبحان من لولا حلمه لعاجل العاصي بالعقوبة قبل توبته من عصيانه، ولكنه يمهله ما دامت الروح في جثمانه ؛ فإن تاب قبل موته تلقاه بمغفرته ورحمته ورضوانه ؛ وإن مات مؤمناً بربه تلقاه بمغفرته، وإن مات مؤمناً بربه مصرّاً على ذنبه أنقذه من النار ولو بمثقال ذرة من إيمانه .

ولا يهلك على الله إلا طاغٍ مستمر على طغيانه، لأنه تعالى أرحم بعبده من الوالد بولده في عطفه ولطفه وعنايته بصلاح شأنه .

* * *

أحن إلى رفك العقيق وبنائه	فهل عائدٌ لي ما مضى من زمانه
ليالي أرعى رَوْض وهل سخت به	يدُ الدَّهر من إحسانه وحسانه
يمكّني مما أحبّ فأجّتني	ثمار مني إمكانه ومكانه
وأمتّني إذ ذاك من روعة الوري	فعثتُ زماناً واثقاً بأمانه
إلى أن قضى ربّي بذلي وشقوتي	وكل قضاء مصير لأوانه
فجُرّعتُ مُرّ العيش من بعد حلوه	وعوّضت من إكرامه بهوانه

وها أنا لا أرجو سوى أن سيدي يعود على فقري بفضل امتنانه
ويجبر مني كل كسرٍ بنظرةٍ أعيش بها طول المدى في حنانه

* * *

تبارك الله، ما أروم نسيمات الارتياح إليه، وما أشجى حنين المتلهفين
عليه، وما أبرد مصافحة استشعار الرضا عنه، وما ألد العيش في بلاد الدنومنه .
وكيف لا، وهو المنتهى في نعوت الجلال والجمال، وليس وراءه مرمى
في شيء من صفات الكمال .

أحمدته على كل حال، إن قبض وإن بسط، وإن منع، وإن أنال .
وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعال، شهادة معتقد أن كل معبود دونه
محال .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اختصه للنبوّة، وأكرمه بالإرسال، فشفى
من السقم، هدى من الضلال .

صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم
المآل .

خصوصاً، على العشرة ومن جملتهم الأئمة الأربعة، أصحاب الهمم
العوال .

اللهم « افتح منا أسماعاً، وأبصاراً، وبارك لنا في حضور هذا المجلس،
حتى لا نقوم إلا وقد غفرت لنا إنك كنت غفّاراً .

واجعل لإخواننا نصيباً في صالح دعائنا، يا من لم تزل نعمه غزيراً، ودائمة
مدراراً .

* * *

وهي قوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (١).

أكثر الناس يقولون : « سبحان الله » وما يعرفون معناها .

وهي في لغة العرب : تعني التنزيه والعجب .

فقلنا : « سبحان الله » أي تنزيه الله من كل سوء ، وتبرئته من كل نقص ، وتعجب من وصفه بما لا يليق به ، من الولد والصاحبة والشريك ، وغير ذلك مما برىء منه ومتعال عنه .

فقله : (أسرى بعبده) أي سيره بالليل ، والسرى لا يكون إلا بالليل خاصة . و (العبد) هو محمد ﷺ . و (المسجد الحرام) فهو مسجد مكة المحتوي على الكعبة . وأما (المسجد الأقصى) فهو مسجد المقدس . (الذي باركنا حوله) أي جعلنا ما حف به مباركاً ، وذلك جميع بلاد الشام ؛ رأى لها مزية على غيرها في البركات من الدنيا والآخرة . (لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير) الآيات : هي العجائب . وكم أطلع الله نبيه ليلة المعراج على بناء عظيم وأمر عجيب . (إنه هو السميع البصير) هو الله سبحانه وتعالى . أي أن الذي أسرى بعبده هو السميع البصير . وقيل : هو النبي ﷺ . أي أن العبد الذي أسرينا به سميع لما أوحى إليه ، بصير . بما حكى عليه .

* * *

أيها الزائر الذي رامَ وضلاً	قد رأيتُكَ للذي رُمّت أهلاً
إليه سمعاً لما يُقال فهُدَى	كلمات الرُّضا على السَّمع تُتلا
وإذا ما أُمِيطَ الحُجب فاحفظ	حُسن آداب ما على العين تُجلا

(١) سورة الإسراء الآية ١ .

أيها الصَّبُّ المُشْتَأَقُ هَا قَدْ بَذَلْنَا لَكَ مَا كُنْتَ تَشْتَهِي فُتَمَلَا
 قَدْ تَجَلَّى لَكَ الْحَبِيبُ وَأَوْصَى ضَيَّهَ الْعَاشِقِينَ أَنْ تَتَجَلَّأَ
 كَمْ مُحِبٍّ أَرَادَ وَضَلَّنَا لَمْ يُصَادَفْ مِنَّا سِوَى كُنْ وَكَلَّا
 مَا لِكُلِّ الرُّوَادِ يُفْتَحُ الْبَابُ لَا وَلَنْ يُلْتَقَى بِأَهْلًا وَسَهْلًا

* * *

سؤال

ما الحكمة في افتتاح آية الإسراء بلفظ سبحانه؟

الجواب

إن لفظة « سبحانه » تقولها العرب عند الأمر العجيب . فافتتحت بها آية الإسراء لما كان فيه من الأعاجيب .

سؤال

ما الحكمة في قوله : ﴿ أُسْرِيَ بَعْدَهُ ﴾ ولم يقل برسوله ؟ ولا بنبيه ؟ .

الجواب

إن عيسى عليه السلام قيل فيه : إنه الله ، وابن الله ، للكرامة التي أكرم الله بها ، وهي دون كرامة المعراج ، وكذلك قالت اليهود في العزيز أنه ابن الله لأيسر كرامة فلما أكرم الله نبيه ﷺ وهو كرامة بالغة ، حصل له فيها الدنو من ربه ، والقرب والرؤية التي لم يبلغها غيره .

فوصفه بالعبودية في هذا القام حتى لا تغلو فيه أمته غلو النصرانية واليهودية ، وأحوج ما يكون العبد الى التواضع لعظمة ربه ، أقرب ما يكون من معارج قرب ، فأخوف ما يكون العبد يوماً من الإبعاد أقرب ما يكون .

سؤال

ما الحكمة في جعل المعراج بالليل دون النهار؟

الجواب

إن الليل أفرغ للقلب، وأجمع للهمم، وأهياً للوصل، وأنظم للشمل.

* * *

ظلمة الليل للتواصل أهني من ضياء النهار عند المحب
وصلهم سرهم وما أحوج السر إلى ستره بسخف الحجب

* * *

سؤال

ما الحكمة في أنه قال: ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ ولم يقل: (لنسمعه)؟

الجواب

له وجهين :

● الوجه الاول : أن الآيات هي الأعاجيب . وأكثر أعاجيب المعراج كانت من المرئيات لا المسموعات ، كسدرة المنتهى ، وفراش الذهب ، والنهرين الباطنين والظاهرين ، وغير ذلك من عوالم الملكوت .

● الوجه الثاني : أن المعراج كان فيه رؤية وجه الله تعالى ، وهي أخص فوائده^(١) .

(١) راجع اختلاف السلف في رؤية النبي ﷺ لربه يوم الإسراء في كتاب التوحيد لابن خزيمة (١٢٩) - (١٥٠) .

وشرح العقيدة الطحاوية بتحقيق أحمد شاكر ص ١٣٤ .

قال: ﴿لنريه﴾، ولم يقل (لنسمعه)، إشارة إلى أخص فوائد ليلة الإسراء، لأنه أرى فيها وأسمع، لكن كان النظر إلى الله سبحانه أخص من قسم المرثيات دون المسموعات، فرجح جانب المنظور بذلك، فخصص بالذكر لذلك.

سؤال

لماذا أضرب عن ذكر نظر رسول الله ﷺ إلى وجه ربه في هذه الآية؟

الجواب

كلما عظم الأمر استحق الستر، كما قال بعضهم :

* * *

أغارُ عليه إن صرَّحَ باسمه فكيف إذا ما لآحَ يوماً جمالهُ
ويطويه قلبي عن لساني صيانةً وكل نفيسٍ لا يليقُ ابتدالهُ

* * *

سؤال

ما وجه ذكر السمع والبصر دون غيرهما من الأوصاف في آخر هذه الآية؟

الجواب

إن كان السميع البصير رسول الله ﷺ، فلولا صحة سمعه، ونفوذ بصره، لم يكن أهلاً أن يتلى على سمعه ما يتلى، ويجلى على بصره ما يجلى. وإن كان السميع البصير هو الله تعالى، فلولا أنه سميع لأقوال عباده، بصير بأعمال خلقه، لما اختص بالاسراء إلى كريم حضرته رجلاً واحداً من جميع بريته، الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

* * *

الله أعلمُ حيثُ يجعلُ خلقه من أرضه وسمائه
 فإذا رَأَيْتَ اللهَ خَصَّصَ واحداً منهم فلا تَسْلُكُ سبيلَ عناده
 أفيضُوا بنا في ذكر المُنعم فما مزيدُ الخيرِ إلّا في شكره
 وأعيدوا علينا ذكر اسمه فما لذة العيش إلا في ذكره

* * *

من تهجروهُ فما لَهُ في هجره
 هَبْ أَنَّهُ بالعين ليس يراكمُ
 تُروى له أخبارُكم فيراكم
 وإذا ترنمَ باسمك داعي النوى
 من راحةٍ إلا إدامة ذكره
 الذكر يجلو حُسْنُكم في سرّه
 منها فيهدأ من لواعج صدره
 لمحبتكم أطفئ تلهب حره

* * *

إذا هتف باسم الحبيب لأسماع المحبين، رأيت منهم المكروبين، ومنهم
 المرتاحين. أما المرتاحين فتلوح لهم من الذكر لوائح التلاق. وأما المكروبين
 فتتهيج منهم لواعج الأشواق؛ وكل منهم في شرع الغرام معذور، وربما اجتمع
 الأمران في وقت واحد للصف المهجور.

* * *

حبّكم جنّتي وناري
 ذكرُكم تحدث ارتياحاً
 والصّبا ما بين ذا وهذا
 عليكم منّي بُكاي
 وحقّكم لا سلّوت عنكم
 قد عيل^(١) من ثقله اضطباري
 طوراً وطوراً لهيب ناري
 مُقلّقل عادم القراري
 إليكم منّي فراري
 ما جرّت الفلك في البحاري

(١) «عيل» قلّ.

ما لي شفيعُ إلى عُلَاكُمْ أنجح من أَدْمعي الغِزاري
فإن وَصَلْتُمْ فوا أنجباري وإن هَجَرْتُمْ فوا انكساري

* * *

صِدْقُ لسان المحب في طلب وصال محبوبه، هو الذي أوصله إلى مطلوبه.

وكل محب طرد إلى الباب، وإنما أبعدته المحبة عن الجنب، لأنه في دعوي المحبة كذاب.

المحبة لازمة لأهل المعرفة، والشوق لازم لأهل المحبة، والانزعاج لازم لأهل الشوق؛ فلما تكامل لرسول الله ﷺ الشوق، تكامل له الانزعاج. فقد أدركته رافة الحبيب بليلة المعراج، فما زال جبريل يسلك به السبل ويقطع به الفجاج، حتى سقى من عذب فرات الوصل ما لا يشوبه أجاج. كل سكر يذهب العقل على الناس حرام، غير أهل الحب فالسكر لا يرام. يا نديمي قم فقد دارت على الشرب المدام، دارت الكاسات أقداحاً وأقوام نيام، لودروا ما فاتهم ما راق للعين المنام، بابي شهم جسور ما حد قوم همام، يؤثر النار على النار إذا ما يستضام، لم يزل في السير حتى نال أمراً لا يرام، جدّ حتى أبعد الله. والسلام.

المجلس الحادي والعشرون

في الجهاد وأهميته

الحمد لله الذي جعل جهاد النفس والعدو فرضاً واجباً، وديناً واصباً، فما من مسلم عاقل إلا وهو يعلم أن مجاهدة نفسه وعدوه حق واجب عليه، فهو يرجو رحمة ربه ببذل نفسه، ويرغب فيما لديه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن جاهد بين يديه. تبارك الذي أحكم مباني دينه لعباده المؤمنين، وجعل الاسلام رأسه، والصلاة عموده، والجهاد ذروة سنامه؛ فانتمت بذلك أحكام شرائع الدين. فمن أسلم لربه فقد استمسك بالعروة الوثقى والحبل المتين، ومن اقام الصلاة لذكره فقد أخذ مركزه من صفوف العارفين، ومن جاهد في سبيله فليتبوأ مقعده من مائة درجة أعدت للمتقين المجاهدين.

كانت الجنة للإنسان وقت عافيته كالبلستان، يسرح فيها حيث يشاء، وجعلت الأرض له وقت مرضه كالمارستان^(١) يلتمس فيه الشفاء، ولا شفاء إلا بدواء، وكل دواء إلى المريض بغيض.

فعالجوا أنفسكم من معضلات أدوائها، بدوام جهاد أعداء الله وأعدائها، لقد تخصص الجهاد على سائر القرب ببذل النفس للعطب، في موطن يتميز فيه

(١) بالفارسية تعني المستشفى.

الخزف من الجواهر والنحاس من الذهب.

* * *

حتى متى أنت في لهو وفي لعب
أنهذ بجيشٍ من الأعداء مُتَّصِفٍ
واظن عن الوطن المألوف مغترباً
جزائر الهند فيها العود كالخطب
كم ذا الرقاد على ظهر المهاد وقد
يحكموا فيكم وفي بلادكم
يا لهف نفسي على قومٍ لهم همم
يَسْتَنْقِذُونَ الْأَسَارَى مِنْ عَدُوِّهِمْ
والله لو أن سلطاناً يفرجها
تُسي وتُصبح في عزفٍ وفي طرب
وأنهض بعزمٍ إلى العلياء مُتَدَبٍ
لا يبلغ المجد إلا كل مُغْتَرِبٍ
وحين غربته يُبتاع بالذهب
مدَّ الحِمَامُ^(١) إليكم كف مستلب
فالنَّسْلُ للبنين والأموال للسلب
تعلو على قَمَمِ الْأَفلاكِ والشهب
لِضَعْفِ أُمَّ لَهُمْ مَحْزُونِ وَأَبٍ
كنا نسميه الْفَرَّاجَ للسرب

* * *

أين أصحاب النفوس الأبية؟ أين أصحاب الأنفة الحمية؟ أوفوا بالعهد القديم، وارغبوا في الأجر العظيم، وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله هو السميع العليم.

قولوا لأهل الهمم العلية، كيف يرضون بالحطة الدنية. تنبهوا من رقدة الغافلين، وتأهبوا لمرافقة الصالحين، وإذا عزمتم فتوكلوا على الله، إن الله يحب المتوكلين.

المتهجدين لله بالليل هم حماة الإسلام، وثناؤهم على الله مفاتيح دار السلام. يبيتون يراوحن بين الحياة والاقدام، والناس على فرشهم نيام. فأهل

(١) «الحِمَام» الموت.

العبادة بيننا كالمقاتلين عن المنهزمين، بهم يدفع الله العذاب عن العصاة، ويحرس العباد والبلاد من جيوش الكافرين ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾^(١).

ينبغي على العازم على الدخول في أولياء الله أن يكون شحيحاً^(٢) ضعيفاً قوياً مطيعاً عصياً، يطيع داعي الله في العبادة والتقوى، ويعصي داعي النفس إلى اتباع الهوى، ويقوى على مجاهدة النفس والشيطان، ويضعف عن متابعة هواه في ركوب المعاصي، ويشح بدينه وعرضه وحسناته، ويسخو بترك الدنيا الشاغلة عن طاعة الله وطلب مرضاته؛ فإن الحسنة إذا طلب بها وجه الله تصير التمرة كالجبل العظيم ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾^(٣)، ألا منفق لله من فضل يوفى عظيم الأجر من فضل ماله.

* * *

ألا مُوقِنٌ مرضاة مولاه	مُخلصٌ عبادته في قصده وفِعاله
يعامل مولاه بإخلاص فيه	ويسرغب في مَعْرُوفه ونواله

* * *

من بخل عن الإنفاق في سبيل الله فإنما يبخل عن نفسه، ومن لم يقدر روحه بالأعمال المرضية لله لم يدخل في أهل قدسه، ومن لم يستوحش من كل ما يشغله عن الله لم يصبر من أهل أنسه، ومن قصّر في خدمة الله جنى ثمر

(١) سورة البقرة الآية ٢٥١.

(٢) سقطت هنا كلمة « سخياً » والله أعلم.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦١.

تقصيره وقت حلول رسمه، حين لا يحصد حاصد إلا ما زرعه ولا يجني جانٍ إلا من غرسه. كيف تُقبل من المقصّرين الأعذار وقد بدّلوا نعمة الله كُفراً وأحلّوا قومهم دار البوار؟ فإياكم أن تفرّوا من العدو، فكم قد كسا الفرار أهله من لباس العار، أما سمعتم كلام من اختصر بكلامه صفيه المختار ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾^(١)، لو صرت مجاهداً وقت مطالبة النفس ومحاربة الشيطان لرأيت من نصر الله العجب، ولكنك انقلبت يوم الفرار إلى حياة الخزي والعار فبئست الحياة وبئس المنقلب، ربحت الخزف والحجر وخسرت الجوهر والذهب. أما سمعت كلام العزيز الغفار: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾، رضىت بالحياة الدنيا من الآخرة، وخسرت الصفقة الرابعة، وربحت الصفقة الخاسرة. كيف طابت نفسك أن تكون ظهيراً لفئة النفس على فئة القلب، وفئة القلب مؤمنة وفئة النفس كافرة؟ كيف اخترت لنفسك أن يقال: جبان فرار، أما سمعت كلام من له العزة والافتدار ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾.

* * *

والحزنُ بادٍ والقلبُ مُنكسر	العينُ منها الدُموعُ تنهمر
ركبهما ما يعمى به البصر	والدّينُ والمُلْكُ قد يضيع من
نظرتُ أمراً يَعْمَى به البصر	ليس العجيبُ يَعْمَى العيون وقد
يبقى عليه التحدي ولا يذر	المُلْكُ تدعّمه الحراب فلا
فلا سدّوا لها شر	في كل قُطر زاحفة نار
من البلاء ما لا يطيقه البشر	أين توجّهت قد رأيت
هل يدفع الموت منهم الحذر	ما ليجنود الإسلام قد زحفوا
إلى الجهاد الذي أمروا	ما لجميع الإسلام ما خرجوا

(١) سورة الأنفال الآية ١٥.

مَالِي أَرَى الْمُذْنِبِينَ مَا فَرَّغُوا	مَالِي أَرَى الرَّاقِدِينَ مَا سَهَرُوا
مَالِي أَرَى الْجَاهِلِينَ مَا عَرَفُوا	مَالِي أَرَى الْعَارِفِينَ مَا اعْتَبَرُوا
كَيْفَ يَلْدُ الْكَرَى وَقَدْ	طَرَقَتْ بِلَادُنَا النَّائِبَاتُ وَالْعَبْرُ
وَالرَّبُّ غَضِبَانٌ وَالْعَصَاةُ مَا كَانُوا	فَلَا اسْتَغِيثُوا وَلَا هُمْ اعْتَذَرُوا
فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ مِنْ صَغَائِرِكُمْ	وَعَنْ رُكُوبِ الْكِبَائِرِ اذْجَرُوا
وَانْتَظَرُوا الْغُوثَ مِنْ مَرَاكِمِهِ	مَا خَابَ قَوْمٌ لَغُوثُهُ انْتَظَرُوا

* * *

إن مما قضى الله علينا في محكم كتابه من أنباء أنبيائه، ونصرة أوليائه على أعدائه، ما يثبت الفؤاد، وينبه من الرقاد، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

لما حرص الكليم على تحريض قومه على جهاد الأعداء، ذكرهم بما لله عليهم من النعماء، حيث يأنفون على أنفسهم من الهوان بعد الإكرام، ومن ظهور عبدة الأصنام على ملة الإسلام، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ فكأنه يقول: أما يأنف من أكرمه الله بالشرعية النبوية أن يجبن من جهاد أعدائه، وقد استولوا على دياره وأبنائه؟ وهل يرضى بهذا لنفسه من له أنف؟ كلا والله، ما رضي بالهوان كريم، ولا استسلم للأعداء إلا لثيم.

* * *

لَهُ رَأْيٌ سَدِيدٌ مُسْتَقِيمٌ	أَلَا شَهْمٌ فَتَى كَرِيمٌ
عَلَى أَعْدَائِهِ وَهُمْ هُجُومٌ	لَهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ رَقِيبٌ
عَرَاهُ الذُّلُّ وَالْخِزْيُ الْمَقِيمُ	مَتَى سَمِعَ الْعَدُوُّ لَهُ بِذِكْرِ

(١) سورة المائدة الآية ٢٠.

ومن يكلِ هذا فعليه طيرٌ
وإلا فَلْيَنْسَمِ حتى يوافي
بنصر رجاله أبداً يحوم
عدو وصيده الكسل النؤوم

* * *

قوله: ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ يعني: من عالمي ذلك الزمان. ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: هي الطور وما حوله. وقال قتادة: الشام. وقيل: أريحاء. وقيل: دمشق وفلسطين وبعض الأردن. و﴿الْمُقَدَّسَةَ﴾: أي المطهرة المباركة. وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أوجب لكم. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾^(١) أي: لا ترجعوا مدبرين إلى ورائكم فتصرفوا خائبين.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾ كل من لا تكون خشية الله أغلب عليه من خشية الخلق، ملأ الله قلبه مما سواه رعباً، وجعل كل شيء يخافه رباً.

﴿وَإِنَّا لَنَ يَدْخُلُهَا حَتَّىٰ خَرَجُوا مِنْهَا فِإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فِإِنَّا دَاخِلُونَ﴾^(٢) لما جنبوا عن القتال أحالوا على المحال، وهو طريق من طرق الضلال، لا بارك الله في رجال قد سلكوا سبل الضلال.

* * *

ولا فُحُولٌ يَوْمَ الْقِتَالِ	لا أَهْلَ كُنَّا فِي يَوْمِ حَرْبٍ
بَطِيبٍ عَيْنٍ وَجَمْعٍ مَالٍ	قَدْ قَنَعُوا مِنْ حُطَامٍ دُنْيَا
ولا يُحَامُونَ مِنْ عِيَالٍ	فَلَا بَدَّ يَدْنُونَ مِنْ حَرِيمٍ
دَاعٍ إِلَى الْحَرْبِ وَالنَّزَالِ	لَكِنْ قَوْمِي إِذَا دَعَاهُمْ
الْجِيَادُ بِالذَّيْلِ الْعَوَالِ	طَارُوا إِلَيْهِ عَلَى مُتُونٍ

(١) سورة المائدة الآية ٢١.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٢.

فَتَاهُمْ عَاشِقُ الْمَعَالِي وَكُلُّهُمْ لَلْحَيَاةِ سَالِي
جَزَاهُمْ اللَّهُ كُلَّ خَيْرٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَكُلِّ حَالِي

* * *

﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾^(١).

ما بين العبد وبين النصر إلا أن يوطن نفسه على الصبر. أمروا بالدخول من الباب على عدوهم، وضمن لهم النصر عقيب دخولهم؛ فلو تلقوا أمر ربهم بالسمع والإطاعة، لم يحولهم إلى الصبر إلا ساعة.

فلا قَرَّتْ عيون الجبناء، ماذا فاتهم من النصر والعلاء، لو وطَّنوا نفوسهم على صبر ساعة يوم اللقاء.

* * *

من غَدِيرِي من معشر جُبناء ما وَفُوا بِالْعُهُودِ يَوْمَ اللَّقَاءِ
إنما المُلْكُ والغَنِيمةُ والأَجْرُ وقهرُ العِداءِ وحُسنُ الثَّنَاءِ
لَفَتَّتِي صَابِرَ الْعَدُوِّ فَوَافِي حينَ وخزِ الرِّمَاحِ فِي الْأَحْشَاءِ
إن أردتِ الثَّوَابَ والمُلْكَ فَاصْبِر ساعةَ الْمَوْتِ تحتَ خَفَقِ اللَّوَاءِ

* * *

﴿ وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) في هذه الآية دليل على أن من ولى وقت الزحف فليس له نصيب في التوكل، وفيها دليل على أن من لا توكل له

(١) سورة المائدة الآية ٢٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٣.

فلا إيمان له . لأن المعنى : إن كنتم مؤمنين فتوكلوا ، وإن كنتم متوكلين فاثبتوا . فمفهومها : إن لم تثبتوا فما أنتم متوكلين ، وإن لم تتوكلوا فما أنتم مؤمنين . أي : لا يتم إيمانكم إلا بالتوكل ، ولا يصدق توكلكم إلا بالثبات ، قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، جرى فألهم على ألسنتهم حين قالوا : ﴿ إنا لن ندخلها أبداً ﴾ فلم يدخلوها لأن الله حرّمها عليهم . وهذا جزاء كل من لا يتقبل النعم بالشكر ، أي يحال بينه وبينها بلون سواد ، به آخر العهد منها .

* * *

الذنبُ لي فيما ابتليتُ به	من راحةٍ نُقِلْتُ إلى تعب
ورقادُ عينٍ عاد لي سهرًا	ومواهبٌ حالت إلى سلب
وفراقُ أحبابٍ نعمت بهم	وبقربهم في سالف الحُقب
ما كنتُ أعرفُ قدر ما بذلوا	حتى ابتليت بكف مستلب
هذا جزاءٍ مقابلٍ نعمًا	بدلت له إساءة الأدب
ما زال في لهوٍ وفي لعب	حتى دَعَا بالوَيْل والحرب

* * *

﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ^(١) هذا كلام قوم جاهلين بالحكمة في سنة الجهاد ، لأن الجهاد شرع للمؤمنين تمحيصاً للسيئات ، ورفعة في الدرجات ؛ فإذا كان المقاتل غيرك فكيف تحصل لك هذه الفوائد : في قوله تعالى : ﴿ ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم ﴾ ^(٢) فمن كان في إحراز هذه الخيرات طامعاً فليكن إلى جهاد نفسه

(١) : سورة المائدة الآية ٢٤ .

(٢) سورة محمد الآية ٤ .

وعدوه مسارعاً.

* * *

إن كنت في نَيْل السعادة طامعاً	فانهض إلى حمل السلاح مسارعاً
واركب جواد العزم وأحمِدْ حملهُ	البطل الخَلَّاجِلْ حاسراً أو داعياً
واصبرْ على مضض الجِلاَد مُرامياً	ومطاعناً ومسائفاً ومقارعاً
واصدُقْ عدوكْ في لقائك ساعةً	لم تَلَقْ مثل الصَّدق شيئاً قاطعاً
واغشِ السيوف في نَحْر وجهكْ وقت ما	يحمي الوغى وألقِ الرِّمَام شوارعاً
لا تجزعَنَّ ولو قُتِلْتَ فإنه	لم يبلغ العُلَيَّا من يَكْ جازع
وترجَّ إحدى الحُسَين شهادة	تحصنك أو نصرأ لمجدك رافعاً

﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ (١) تبرأ موسى عليه السلام إلى ربه من عصيان قومه، فعذره الله تعالى، وأخبره بما هو معجل لهم العقاب مع حرمان الثواب: ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾ (٢). فصرفوا عنها أذلة صاغرين، ودخلوا في التيه فلم يخرج منهم أحد حتى أتى الموت عليهم أجمعين؛ حتى إن موسى وهارون كانا في التيه من جملة المتيهين، ولم يدخل الأرض المقدسة من ذلك الحين أحد منهم، وهم ستمائة ألف، فيهم الأنبياء والمرسلين والأولياء والنساء والأطفال، عمهم جميعاً شوم العصاة، رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، فانقلبوا بالصفقة الخاسرة، فما ربحت تجارتهم، وما كانوا مهتدين.

* * *

(١) سورة المائدة الآية ٢٥.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٦.

لا تبيعوا الدُّرَّ بِالْخَرْفِ	ليس هذا فعل مُعْتَرِف
واركبوا الأخطار في طلب المجد	والعياء والشرف
فاطلبوا الثَّأْرَ الَّذِي لَكُمْ	عند أهل الجور والخيف
أو فُكُّوا حُرْمَةً قَنَعَتْ	بلزوم البيت والعلف

* * *

من كان مع الله كان الله معه، ومن تكبر على الله وضعه، ومن تواضع لله رفعه، ومن استودع الله دينه ونفسه حفظه عليه حتى يؤدي إلى الله ما استودعه.

فكونوا بالله في ضمانه واثقين، وإلى الله فيما عنده راغبين ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ ^(١).

* * *

قل للذين آمنوا بزلهم	كونوا مع الايمان عاملينا
إذا أتاكم مُنَادٍ مِنْ	رَبِّكُمْ فلا تكونوا عنه معرضينا
قولُوا سمعنا وأطعنا واحـ	ذروا أن تصبحوا لله مُسَخِّطينا
من خالف الله فقد أسخطه	فلا تكوننَّ مُسَخِّطينا
وجاهدُوا أعداءكم فإنهم	قد أصبحوا لكم مُعَانِدينا
إِيَّاكم والظلم فيما بينكم فقلْ	ما يُنصر ظالمونا
واخلصوا نياتكم فالإخلاص أقد	حوى ما به في الحرب تنصرونا
ووطنوا النَّفْسَ عَلَى الصبر ولو	قُتِلتم بالصبر أجمعونا
فموتنا ولا نرى عدونا يشـ	تأسرُ البنات والبنينا
كم استباحوا حرماً ممتنعاً	كم هتكوا محجباً مصوناً

(١) سورة التوبة الآية ٣٦.

كم غَرَبُوا مستوطناً عن داره	وكم أخافوا بلداً أَمِيناً
كم أفقرُوا ذا ثروةٍ من ماله	حتى غدا مُستعطيّاً مسكيناً
نستغفرُ الله ذنوباً سَلَطَتْ	أعداءنا وطَمَعَتْهم فينا
عسى الذي أعلى العدو فوق	نا عليهم من بعدها يعلينا



اللهم .. يا خير الغافرين اغفر لنا ذنوبنا؛ اللهم .. يا خير الراحمين ارحمنا في كل شيء من نعمك علينا؛ اللهم .. يا خير الرازقين ارزقنا رضاك عنا ولطفك بنا؛ اللهم .. يا خير الفاتحين افتح بيننا وبين القوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين؛ اللهم .. يا خير الناصرين انصرنا على من عادانا، واردد لنا الكرّة عليهم، وكن لنا عليهم ظهيراً، وامدد لنا بأموال وبنين واجعلنا أكثر نفيراً.

من كان مع الله بالإخلاص والصدق كان الله معه بالتأييد والنصر، ومن اعتقد أن لا حول ولا قوة إلا بالله أنزل الله عليه السكينة والصبر، ومن علم أن لا ناصر إلا الله لم يكله إلى أحد في شيء من الأمر.

ووطنوا أنفسكم على الصبر والثبات فضل ساعة، وابذلوا في مصابرة العدو ما في وسعكم من الاستطاعة، واحذروا أن تقدموا على ربكم وأنتم لفرائضه مضيعون، وفي أداء أمانته عندكم مفرطون ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾^(١).



نَقُضُ العهود على الكرام حرام	قَوْمٌ عليهم للوفاء ذمام
فإذا لَقُوا صَدَّقُوا العدو وكيف	لهم أصول في اللقاء كرام

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧.

ولهم عيونٌ لا تنام عن العدَى من يطلب الأعداء كيف ينام
أَصْلُوا أنفسهم نفيراً لملتقى وعلى حياضٍ منه حاموا
شهبوا الصَّوَارِمَ^(١) في الوغى من غمدها وبغيرها فات العدى ما ساموا
شربوا وأسقوا كأس حتفٍ^(٢) جرّدت لهم العدو فَلَاحَ منه عظام
حَامَ العدو وَحَادَ يوم لقائهم وهم غداة الملتقى ما حاموا
ما زال إلّا أنّ دين عدوهم كُفر ودينهم هو الإسلام
قد أيقنوا أن الفناء مصير دُنيا هم ولو دامت لهم ما داموا
من كلّ شهمٍ ماجدٍ صلى الوغى والوجه أبيض ما علاه قتام
ركبوا رضا المولى وجنّات العلى فأنالهم من فضله ما راموا
ما زال يبذل نفسه في الذّبّ عن دين النبي كأنه الضّرغام
حتى سقى الأقوام كأس جِمامهم وسقاه كأس جِمامه الأقرام
لقى الجِمامَ ويا سعادة مُسلم يلقيه في ذات الإله جِمامٌ
نال الشهادة والسعادة وانثنى والعرضُ أبيض ما عليه ملام
ما كل من رَامَ السعادة نالها إنّ السّعادة والشقاء أقسام
سبق القضاء بما هو كائنٌ طوي الكتابُ وجّفت الأقلام

اللهم . . بدوام غناك عن كل شيء سواك، ارحم دوام افتقارنا إليك، ولا
تجعل استغاثتنا بشيء دونك، وكما خلقتنا لعبادتك وفقنا لما له خلقتنا، وكما
ضمنت لنا أرزاقنا فاجعلنا بضمّانك واثقين، وكما أنزلت علينا كتابك، وبعثت
إلينا رسولك، فاجعلنا بكتابك عاملين، ولرسولك متابعين، ترى حضرنا مع من
يحسن السماع، فليتنقل عما هو مستمر عليه من زمان الرضاع، من سوء العادة

(١) «الصَّوَارِم» السوف.

(٢) «حتف» الحنف الهلاك.

وفساد الطباع ، وأداء من أهدى إليه النصح قبله وانفتح به حق الانتفاع .

* * *

هل من أخٍ وَجِدَ أطارُحه	ما لم أزل لَغْفِيه من بعدي
ما زلتُ أَكْتُمُ ما بُلِيْتُ به	حتى عجزتُ فقلتُ ما عندي
أنا من ملوك كان ملكهم	يعلمو ملوك الصين والهند
كان العدوُّ يخافُ غائِلتي	ويفرُّ من ظِلِّي على بعد
فقلتُ عن تحصين مملكتي	تباعد الأمراء والجند
فَغَرَّانِي الأعداءُ فاتزعوا	مَنِي البلاد وأخربوا مجدي

* * *

أمرني ربي بما فيه إصلاح شأني ، ونهاني عما فيه هواني وخسراني ، فعصيت ربي وأطعت شيطاني ، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابني ويدهاكم ما دهاني .

* * *

كنتُ في قريهم بكل نعيم	لا أبالي طوارق الحدثن
فسقاني العدوُّ كأس اغترارٍ	ليتني مِتُّ من قبل ما قد سقاني
غَرَّنِي باستمالة النفس للشهوة	حتى بحبِّها أغراني
شدَّ وَسْطِي منه بحبلٍ غرورٍ	ثم في حفرة الردى دلاني
والحسب الرقيب ينظرُ ما أصنعُ	حيث لا أراه ولا يراني
حين مددتُ يدي إلى شهوة الذ	فس التي قبل ذاك عنها نهاني
طار تاجُ الملك الذي كنتُ تُوجِّتُ	وأخرجتُ من قُصور الجنان
فاندبوا مَصْرَعي ونوحوا عليه	واحذروا بأن يَدْهَأكُم ما دهاني

* * *

ألا رجل كريم الطباع، يعزم عزمة البطل الشجاع، يوطن نفسه على صبر شناعة،
ويبذل في غسل عاره بأخذ ثاره حميد الاستطاعة، ويكف السنة الشامتين به عن
هذه الشناعة، فلقد سمع بمصيبتنا مع عدونا سامع الإنس والجن إلى قيام
الساعة، وهذا جزاء من سلك طريق المعصية وتنكب طريق الطاعة.

* * *

يا ويح من نزل العدو	به فلم يملك نزاعه
فأزاحه عن أرضه حتى	لقد أخلى رباعه
وسبى الحريم بعد أن	بلغ الفضيحة منه باعه
من كل وجه مصونة	كالبدر قد هتكوا أقناعه
أين الحمية والأبىة	والشهامه والشجاعة

* * *

كل قربة تتقرب بها إلى ربك هي قلعة من قلاع دينك، والعدو مجتهد في
كل وقت وعلى كل حال في حصار قلاعك بالرجال والرجال، فكل طاعة يفسدها
عليك فهي حصن من حصون دينك، انتزعه من بدنك، وأنت من استيلائه على
حصونك تقول لا بأس عليّ ما دمت آكل وأشرب وأجيء وأذهب، وهل البأس ألا
تكون هارباً من عدوك في كل مهرب، قد ضيق عليك كل مذهب، وكدر كل
مشرب؟ كلما ضربت معه رأساً كان عليك أظهر ولك أغلب.

* * *

شرُّقوا وغربُّوا ما	من الموت مهرب
كيف ينجو المطلوب	بالسير والله يطلب
ويموت تحت السيوف	كراماً أو تغلبوا
مالرأي بقاء غير	أن تستعدُّوا وتغضبوا
إن هذا الفرار عار	وله الرب يغضب

فأثبتوا في صفوفكم	فقبيح أن تهربوا
كم جديد قد أخلقوا	كم مشيد قد أخرجوا
والعدو المخذول يد	نو إلينا ويُقربُ
والسبابا غدت يُنا	ح عليها ويُندب
كم أسير لذيهم	وعلى الوجه يُضرب
كان بالأمس سالباً	فهو اليوم يسلب
لهف نفس على حرا	ئر تُسبى وتُنهب
يا أسود الورى اغضبوا	يا جنود السوغي اركبوا
واغسلوا العار واطلبوا ال	ئار تغلوا وتغلبوا

* * *

وأملوا الله إن آمله لا يخيب؛ اللهم آونا إليك، ودلنا عليك، واجعل راحتنا عند لقاءك، ورغبتنا فيما لديك، وضاعف صلواتك على عبدك ورسولك محمد وآله، وسائر عبادك الصالحين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

* * *

(١) «مُقتد» المقتد: شجر له شوك.

(٢) لا أدري ما علاقة هذا بالقصيدة.

المجلس الثاني والعشرون

أهل الإيمان واليقين والتقوى

عباد الله . . تأهبوا للعرض على الملك الديان، واستبغضوا من هذه السنة^(١) فما أدرك النار وسنان. أيها العبد العاجز الفقير . . أطلب من باب الغني القدير، تبطل لسؤاله، وتعرض لنواله، فلو أنالك قطرة من بحار أفضاله، لأصبحت مما لا يخطر خوف الفقر على باله.

* * *

ألا ناهض في خيله ورجاله	بعزمة ليث الغاب يوم نزاله
لحرب عدو قد تملك أرض	بإذلاله وزاهٍ بعد دلاله
ألم تعلموا أن العدو سبأكُم	وأوثقكم في قده وحباله
وقد كنتموا في العز والمجد لنا	جوار كريمٍ غافرٍ بنواله
فأخرجكم منها العدو بكيده	وصرتم إلى إنكاليه ونكاله
فضجوا إلى البر الرحيم يمدكم	بنصرٍ على المخدول يوم قتاله
وعوذوا من الشيطان بالله إنه	سميعٌ عليهم فارغبوا في سؤاله

* * *

(١) السنة: بكسر السين وجفة نون مفتوحة. هي النوم الخفيف.

بَابُ

أيها العبد المقهور المضيم، استعذ بالله السميع العليم، ولا تنس في ابتداء كل أمر: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فإن أنت لم تجد لبركة اسم الله أثراً ظاهراً في جميع الأمور، فاعلم أنك مقصر عند التسمية في الإخلاص والحضور.

ذكر اسم الله في ابتداء الأقوال والأفعال، أنسة من الوحشة وهداية من الضلال. وحمده تعالى فرض لازم لكل أحد على كل حال، لأنه أهل أن يحمد إن ابتلى وإن عافى وإن منع وإن أنال، عم بفضلہ النساء والرجال والكهول والأطفال، ولطف في قدره وقضائه بأهل أرضه وسمائه، فلم يخل من لطفه سافل ولا عال.

يا من لا تمتد الأيدي بالرغبة والمسألة إلا إليه، يا من لا يُعوّل في كشف شدائد الدنيا والآخرة إلا عليه، يا من كل الرغائب لديه، والمواهب لديه، ليس لضربنا سواك كاشف، ولا على ضعفنا سواك عاطف: المعافي من عافيته، فعافنا من موجبات سخطك وعقابك. والمهدي من هديته، فاهدنا سبيل الواصلين إلى جنابك.

بروح الإيمان بالله: تحيا القلوب من موت غفلاتها، وينور مصباح اليقين مستضيء الأرواح في ظلماتها. وبالتداوي: يُداوى بدواء التقوى فتخلص النفوس من آفاتها.

فمتى أردت أن تعرف عناية الله بعباده المؤمنين، وبماذا أنعم الله على أهل التقوى واليقين، فاتل أربع آيات من سورة البقرة^(١)، لتعلم أن خيرة خلق الله من جميع العالمين: أهل الإيمان واليقين والتقوى، الذين ارتقوا من معارج النور كل مرتقى، وحصلوا على النعيم، وتخلصوا من طول البقاء في دار الشقاء.

(١) أولها.

من خرج من دار الكفر إلى حظيرة الإيمان، فقد أُخرج من الظلمات إلى النور؛ لأن الكافر جاحد كاند، والمؤمن معترف شكور، والشاكر بالمزيد موعور، والكاند على الباب مطرود؛ فطوبى لمؤمن وويل للكفور، وماذا عليه لو آمن بربه؟ فكيف وقد ختم على سمعه وقلبه من قوم لهم قلوب بها لا يفقهون، ولهم آذان بها لا يسمعون، إن وُعطوا بما فيه نفعهم لا ينتفعون، وإن تركوا بسوء حالهم فهم عن غيهم لا يرجعون ﴿١﴾ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴿٢﴾، حال بينهم وبين الإيمان سر القدر، والله الحجة البالغة، فلو شاء لهداهم أجمعين فكيف يعذر من ما عُذر.

بالعدل عذب ربنا من عذب، وبالفضل غفر لمن غفر، تفضل على قوم فوجههم إلى الجنة، وعدل على قوم فعدل بهم إلى سقر.

فلو اجتهد أهل السماء والأرض لم يقدروا نفعهم، وكيف يعطيهم الخلق وقد حكم الخالق بمنعهم، ﴿٣﴾ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴿٤﴾.

إياك والنفاق، فالمنافق لربه مخادع. ولا تطمع في الخلاص بغير إخلاص، فالطمع سراب خادع.

ربما نفع الرياء في الدنيا ولكنه في الآخرة ضار لا نافع. أهل الإخلاص على طريق من سلكها فقد اهتدى، وأهل الضلال قوم لا يرجعون عن الضلال إلى الهدى، لا يحذرون مصارع السوء ولا يخافون عواقب الردى.

لقد ضرب الله للفريقين في كتابه الأمثال ولم يتركهم سُدى: فأما أهل الحق فصبروا عليه - وأما أهل الباطل فطال عليهم المدى.

لأولي الأبصار تضرب الأمثال، وسماع من لا روح فيه محال.

* * *

(١) سورة البقرة الآية ٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٧.

أَيْنَ رَكْبُ الْمَخَاطِرِ فِي السَّرَى لَمْ تُثْنِهِ عَنْ عَزْمِهِ الْأَهْوَالِ
 اللَّهُ مَوْلَانَا وَمَالِكُ رِزْقِنَا مَا بَالُنَا لِرِضَاهُ لَا نَحْتَالِ
 فِي حُبِّهِ يَحْلُو الْعَذَابُ وَتُرْكِبُ الْأَخْطَارُ وَالْدَّمْعُ الْمَصُونُ يَزَالِ
 وَعَلَيْهِ يُسَخَى بِالنَفُوسِ وَتُنْفَقُ الْأَعْمَارُ وَالْأَرْوَاحُ وَالْأَمْوَالُ
 يَا سَائِلِي عَنْ نَبْلِ عَالِيٍّ وَصَلِهِ أَصْدِيقٌ وَكَيْفَ عَلِمْتَ كَيْفَ تَنَالِ
 وَأَعْطَى الْعَوَازِلَ فِي هَوَاهُ فَلَيْسَ فِي شَرِّعِ الْغَرَامِ مُطَاوِعِ الْعَدَالِ

* * *

لما خلق الله الخلق ادعوا محبته كلهم، فأذاقهم من رحمته شيئاً من حظوظ النفوس، فلم يثبت معه منهم شيء إلا قليل، واشتغل الأكثرون بالنعمة عن المنعم؛ ثم صب على الباقيين البلاء والمحنة، فاشتغل الأكثرون بالبلاء عن المبلي؛ ثم امتحن البقية الباقية بالعبادة الموصلة إلى الوصل فأقلهم من يمضي بذلك الحمد.

ليس بُدُّ للمخلوق من أن يكون خالق، لأن العبودية لكل من سوى الله وصف لازم لا يجد فيه بُدّاً.

فمن كان على عبادة الله عاكفاً لم يجعله الله لغيره عبداً، ولا بغير بابه واقفاً. ومن تكبر عن عبادة مولاه ابتلاه بعبادة من سواه، حتى فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى، كان بعبادة غير الله مبتلاً، ولهذا قال الملائكة من قوم فرعون: أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض، ويذكرك وآلهتك^(١)، لما تكبر عن عبادة الحق، وادعى أنه إله لجميع الخلق، ابتلاه الله بعبادة الأصنام على وجه الإهانة والإرغام.

(١) الأعراف ١٢٧. قال ابن كثير: قرأ بعضهم: ويذكرك وإلا هتك أي عبادتك وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وغيره قلت معناه: أي يتركون عبادتك فقد كان فرعون في قومه إله يعبد من دون الله.

فاعبدوا الخالق معتقكم عن عبادة المخلوق، وابتغوا عند الله الرزق فكل من سواه من فضله مرزوق.

أيها العبد. . إن كنت بربك مؤمناً فتحقق بالإيمان بالله، وكن في عبادته وإلى عبادته محسناً، وتدبر أمثال القرآن، فقد ضرب الله للناس فيه من كل مثل. إنما فائدة ضرب المثل: ظهور ما خفي من حسن أو قبح في وصف أو عمل.

ضرب الله سبحانه في كتابه المثل « بالحمار » لعالم أقبل بلسانه على دراسة العلوم ثم أعرض بقلبه عنها، و « بالكلب » لعالم أتاه آياته فانسلخ منها، و « بالحجارة » لقساة القلوب، و « بالأنعام » لمن همه في المأكول والمشروب، و « بالعنكبوت » في ضعف من اشتد في عبادة المخلوق مثله، و « بالذباب » في عجز الأوثان عن استنقاذ ما سلبه بغيه أو علق برجله.

لو علم المخلوق قدر نعمة الخالق عليه، لو علم المرزوق بعض إحسان الرازق إليه، ولو لم يكن إلا نطق لسانه وشفته وسمع أذنيه ونظر عينيه وبطش يديه وسعي رجله إذا يسجد لله سجدة شكر لم يرفع رأسه منها إلى يوم الوقوف بين يديه.

فكيف وأنتم عن ذكره وشكره غافلون؟ بل أكثركم لأمره مخالفون، يدعوكم إليه وأنتم فارّون، ويأمركم أن تؤمنوا به وأنتم فريق منكم بربهم كافرون، ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ (١)، غذاكم في ظلمات الأحشاء كما يغذي الثمر في الأغصان، ثم أخركم من الظلمات إلى ضوء الفضاء وسعة الأوطان، ثم وعدكم أن ينقلكم من عتمة شقوة الدنيا إلى روح نعيم الجنان. كم أنتم بلقائه لا توقنون، ولنعمته لا تشكرون، ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه

(١) سورة البقرة الآية ٢٨.

ترجعون ﴿﴾، كنتم أمواتاً في أصلاب الآباء فأحياكم في بطون الأمهات، ثم يميّتكم بعد هذه الحياة، ثم يحييكم بعد هذا الممات لجزاء يوم الميقات، وهو للمتقين يوم العيد الأعظم، ولكنه على عصاة حسرات، ثم يرجعكم إليه ويبيحكم النظر إلى وجهه الكريم، ويذيقكم من رحمته لعلكم تشكرون، ويربكم آياته فأَي آيات الله تنكرون، ﴿﴾ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميّتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴿﴾.

* * *

نِعْمُ تَرَادَفَ إِثْرُهَا نِعْمُ هَذَا هُوَ الْإِفْصَالُ وَالْإِكْرَامُ
 غَمَرَتْ أَيْادِيهِ بَرِيقُهُ فَأَنَارَ مِنْهَا الْعَرَبُ وَالْعَجْمُ
 أَتَرَى سَلَكْنَا بِرَحْمَتِهِ دَاراً يَدُومُ لِأَهْلِهَا النِّعْمُ

* * *

اللهم بلغنا برحمتك دار كرامتك برحمتك يا أرحم الراحمين .

* * *

المجلس الثالث والعشرون

تفسير سورة القدر

الحمد لله . . الذي له مقاليد السموات والأرض، وبيده النفع والضرر، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، إن أسررنا فهو يعلم السر، وإن جهرنا فهو يعلم الجهر، وإن استرزقنا فهو يسط الرزق، وإن استنصرنا فهو ينزل النصر، أرسل إلينا رسولاً جبر منا كل كسر، وأغنى منا كل فقر، وأنزل علينا كتاباً شرح منا به كل صدر، ورفع به منا كل قدر، شرع لنا فيه حج البيت الحرام، وصيام شهر الصبر.

فسبحان من خص من شاء من خلقه بما شاء من فضله، لا يعارض معارض في حكمه، ولا يسأله سائل عن فعله، جميع العالمين بتسخيره مذللون، ولتقديره مسخرون، ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾^(١).

* * *

كيف السبيلُ إلى سعادةٍ من	حَكَمَ القضاء بأنه يشقى
من كانت الأقدار تُهبطه	هيهات يطمع أنه يرقى
كيف البقاء وقد جرى قلمٌ	في اللوح أن الخلق لا يبقى

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٣.

كل الذي سبق القضاء به حَتْمُ الوقوع وكائنُ حقاً
فاصْبِرْ لحكم الله وأَرْضْ به ما قد قضى لا بد أن يلقى

بَابُ

تبارك الذي جرت بالسوابق أعلامه، ومضت في الخلائق أحكامه، وأوضح
طريق الخير والشر، أمره ونهيه وحلاله وحرامه .

أحمده حمداً يتصل به أحنانه، ويتم به إنعامه . وأشكره شكراً يفوق دوام
السموات والأرض رواته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لو باشرت القلب انجلي
واستنار ظلامه .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أكمل الله بيعته دين الإسلام، وأتم
بشرعه معالم الحلال والحرام، فاستمر للدين كماله، واستقر من الشرع تمامه؛
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة باقية ببقاء الدهر وبعدما تفتى لياليه وأيامه،
خصوصاً على خليفته: الإمام أبي بكر الصديق الذي رجح موازين الأمة ميزانه،
وسبق إسلامهم إسلامه . وعلى فاروقه: الإمام عمر بن الخطاب الذي ما زالت
أيام الإسلام به زاهرة، وشرائع الدين ظاهرة، إلى أن فجعنا به جماعته . وعلى ذي
النورين: عثمان بن عفان، الذي كتب القرآن، وأرسله إلى أمصار الإسلام، فلا
تصح الصلاة إلا بما احتوى عليه إمامه . وعلى أبي السبطين: الإمام علي بن أبي
طالب، الذي أفحم القائلين كلامه، وهزم الضالين إقدامه . وعلى سائر الآل
والأصحاب، ومن اتبعهم بإحسان على منهاج السنة والكتاب، حتى لا يبقى أحد
من حزب الله إلى يوم المآب، إلا تغمدته من العزيز الوهاب: صلاته وتشريفه
وإكرامه .

اللهم . . واهد ثواب ما نتلوه من كتابك العزيز إلى أمواتنا وأموات المسلمين^(١).

اللهم . . نور بالقرآن ظلماتهم، وضاعف بثواب القرآن حسناتهم، وارحمنا فيما بقي من أعمارنا، وإذا صرنا إلى ما صاروا إليه أكرم نُزلنا يوم القُدوم عليك، يا أكرم من تُقدم الوفود عليه. افعل اللهم ما سألناك من الخير بنا وبسائر المسلمين، واحشُرنا وإياهم في زمرة الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، برحمتك يا أرحم الراحمين.

هذا مجلس عقده قدرة العزيز الرحيم .

لله علينا باجتماعنا فيه خيراً كثيراً وفضل عظيم، لأنه مجلس عقد لذكر الله وذكر الآية، لم يحضره إن شاء الله إلا من هو وليّ الله أو محب لأوليائه.

فاجعلوا شكر نعمة الله عليكم فما يهديه من الهدى في هذا المجلس إليكم، أن تحضروا بالقلوب كما أنتم بالأبدان حاضرون، وتكونوا عاملين بما أنتم له سامعون، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون.

- تفسير سورة القدر -

نستنزل رحمة الجليل، بتفسير شيء من التنزيل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر ﴿٢﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى سماء الدنيا، ثم كان الله ينزله على رسوله نجوماً بعضه في إثر بعض،

(١) راجع المسألة وصول ثواب قراءة القرآن للميت. مسلم بشرح النووي (١/٨٩، ٩٠).

(٢) سورة القدر.

فذلك قوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾^(١). وقيل: بل كان في كل سنة يستسخ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر ما تحتاج إليه الأمة في تلك السنة، فيكتبه السفارة في هذه الليلة. كما قال تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾.

وإنما سميت هذه الليلة ليلة القدر: لأن الله تعالى يقدر فيها أمر السنة إلى السنة الأخرى أحكام بلاده وعباده، وكذلك عظم الله قدرها بقوله: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ تعجباً لنبيه ﷺ من جلال قدرها. ثم نبّه على شرفها وفضلها فقال: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ قال مجاهد: قيامها والعمل فيها خير من قيام ألف شهر.

ثم قال تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ الروح: هو جبريل عليه السلام، يهبط جبريل والملائكة إلى أرض القدر بإذن ربهم. أي بأمره ينزلون، كما قال تعالى عن الملائكة: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾.

قوله: ﴿من كل أمر﴾ أي ينزلون بكل أمر من الخير والبركة لصوم شهر رمضان.

وفي قوله: ﴿سلام هي﴾ أمران: - أحدهما أنها ليلة سليمة من كل آفة وعاهة وبلاء وفنة حتى مطلع الفجر، أي إلى مطلع فجرها. - الثاني: أن الملائكة إذا مروا بمؤمن أو مؤمنة في الصلاة سلّموا عليه من ربه، يقولون: سلام عليك يا مؤمن تصيب كذا وكذا من الخير. يخبرونه بما سيلقى في سنته، حتى يقولوا له: وأنت متزوج فلانة. ولا يسلمون على مدمن خمر ولا ساحر ولا كاهن ولا مُصرّ على الزنا.

(١) ذكره ابن كثير في نهاية تفسيره في كتاب فضائل القرآن وقال: هذا اسناد صحيح. وله شاهد في البخاري من حديث ابن عباس أيضاً في كتاب فضائل القرآن وأخرج الحاكم في المستدرک (٢/٢٢٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر فكان إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه أو أن يحدث منه في الأرض شيئاً أحدثه.

فطوبى لعبد وفق لموجبات الرحمة، ورزق عزائم الغفران، واستمر على
فعل الخير إلى حين الخاتمة ومفارقة الشيطان.

اليوم: سوق الآخرة كاسد، وسوق الدنيا في نفاق. فلهذا عمل الدنيا علينا
سهل وعمل الآخرة شاق، فإذا تجلّى من أمر الآخرة ما هو اليوم مستور عن
الخلائق، تمنينا أن أيام الحياة كانت كلها صياماً وقياماً، وودنا لم يعط من الدنيا
إلا ما كان لا بد أن يكون قواماً.

فاستهنوا اليوم بركوب الأهوال، في الحصول على الوصول إلى إحراز
الوصال، قبل أن يفرط الأمر، ويزجر البحر، ويخرب القصر، ويعمر القبر، ويكاد
المُقام أن يكون على جمرة، وحسرة أحر من الجمرة، ويسكر سكر ندامة لا سكر
خمرة.

* * *

لَهْفَ عُمري على انقضاء العُمر	في ذنوبٍ أنقض الوِزْرَ ظهري
استهل الشَّهر الشريف فيمضي	من حياتي وما انتفعت بشهري
أيها الحائزُ الوصال هنيئاً أنا	ما دُقت غير طعم الهجر
ما مُرادي إلا وصال حبيبي	ليلة الوصل منه ليلة قَدِرْ
مَنْ سفيرٍ إليه في كشف ضري	مَنْ شفيعي إليه في جبر كسري
لذذ السمع يا سميري بذكر	اسم حبيبي فذكره روح سري
قل وخذ مُهجتي جزاك مني	بسم الله يجلو هموم قلبي وصدري
قاسمُهُ راحتي ورُوحِي وأنسي	في حياتي وفي مماتي ونشري

* * *

اسم الحبيب الأول، اسم من ليس غيره يُعوّل. كل ما نحن فيه من بعض
ما خَوَّل، ما سلا عن حبه إلا من قد استحوذ الشيطان على قلبه.

* * *

يا من عليه في الخطوب مَعَوْلُ وبه إليه تَشْفُعي وتوسُّلي
عذلوا عليك وفي الفؤاد صَبَارُ يلهمي المسامع عن كلام العُدْل
قالوا هَوَاةُ قَاتِلُ فأجبتهم لا رأي لي في الحب إن لم أُقتل
يا من يُحب سوى الجواد لمحسن البَرِّ الرَّحِيمِ المُنْعَمِ المُتَفَضِّلِ
فقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأوَّل

* * *

أما القلوب فموقوفة عليه، وأما الأرواح فمرتاحة إليه؛ وأوصلوا الصوم عما
سواه، لتحرزوا منه الوصال، ولا ترى ليلة العيد إلا ليلة الانتقال.
لا يزال وليّ الله من صومه عما ألهمى عن الله موثقاً في القيود، فإذا مات
استهل هلال العيد واستطلع طالع السعود.

* * *

ما العبد عندي سوى وصالٍ لوفيتي روعه الصدود
إن نلتُ ممن أحبُّ وصالاً فذلك اليوم يوم عيدي

* * *

الصائمون ثلاثة، والمعيدون ثلاثة:

- صائم عن المفطرات المتناولة للبطن والفروج. ومعيد إذا أذن شهر صيامه بالخروج.
- وصائم عن المحرمات المحظورة في الكتاب والسنة. ومعيد إن زحزح عن النار وأدخل الجنة.
- وصائم عن كل ما ألهاه عن مولاه. ومعيد إذا قدم عليه تلقاه برضاه وتجلا له حتى يراه.

فصم هذا الصوم بهذه النية، فإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نواه.

* * *

صمْتُ دهري عن كل شي سواكم	وجعلت التَّعْيِيدَ يومَ أراكم
ليس سُؤلي سوى رضاكم	فمُنُوا يا أحبتي برضاكم
لا نعيمَ إلا نعيمَ هواكم	كما لا عذابَ إلا عذابَ قِلاكم
أنا مستشفِعُ إليكم بذُّلي	وخضوعي لعزِّكم وغِلاكم
بكم وقد حَلَفْتُ لا زِلْتُ في	السَّيرِ مُجَدًّا حتَّى أُحِلَّ حماكم
ولو أَنِّي أَطَعْتُ أَغْمَضْتُ عيني	عن جميع الوجود حتَّى تراكم
إنْ أَنَلْ وَصَلَكُم بِالْفَضْلِ مِنْكُمْ	أو أُمْتُ في هواكم فِداكم

* * *

من كان في الله مماته، كان بالله حياته. ومن كان في الله هلاكه، كان الله نجاته. فوجهوا الوجوه إليه، واذبحوا النفوس عليه، ولا تؤملوا راحة دون لقائه، ولا تمدوا أيديكم إلى غير عطائه.

فكل من لا يجبره الله فهو كسير، وكل من لا يغنيه الله فهو فقير.

لا تنال الفضل إلا من جود من كل الورى من فضل جوده سائل، إلى نذاه فقير.

كم له من عتقاء صاروا من ملوك الآخرة، بعدما كان في قبضة السعير السيد أسير. يا فقر من لم يحصل على الغنى من فضله، ذاك الذي مات عطشان وهو وسط غدير.

اطلبوا حياة القلوب من موت الذنوب، واحيوا ما بقي من ليايكم في خدمة علام الغيوب. واغتنموا عمراً باقيه لا يبقى، وماضيه لا يؤوب، يا من قد شاب

وهو بالذنوب مشوب، يا غيبة احتوت على كل غيوب، بادر، فالشمس قد تدلت للغروب، والعمر كالثلج كلما جاءت يذوب.

غرس الله كرامة أوليائه، ثم ختم عليها، فلا أُذُن سمعت بها ولا عينٌ نظرت إليها. فإذا كان يوم الجزاء فُضَّت تلك الخُتوم، وظهر السر المكتوم، فندم أهل التقصير حين لا ينفع الندم، ونادى منادي الكرم: سيعلم أهل الجمع اليوم، من أولى بالكرم، إنهم المتقون، وما أدراك ما هم؟ هم الذين تركوا في مرضاة الله مشتهاهم، وخالفوا في موافقة الحق هواهم. فلو قيل لهم: تمنوا. لكان القرب مناهم. ولو قيل لهم: ترقوا لكان إلى الحضرة مرتقاهم.

أولئك الذين أنعم الله عليهم وأرضاهم، لأنه لم يفقدهم حيث أمرهم، ولم يرههم حيث نهاهم.

جعلنا الله منهم، وحشرنا في زمرتهم، وبلغنا مناهم.

* * *

المجلس الرابع والعشرون

طلب الوصال

الحمد لله المستمر الدوام والبقاء، وهو أهل الحمد والشكر والمدح والثناء هو الرب الواحد وكل من سواه مريبوب، ليس لعاقِل من دونه معبود، ولا لعارف غيره محبوب، خَلَقَ الخلق ليربحوا عليه، ثم شرع لهم ما يقربهم به إليه، ويحظيهم به لديه.

فالصلاة نورهم، والصوم طهورهم؛ فمن أقام الصلاة، وأدام الصيام، فقد حصل له بربه الاتصال، وتم عليه منه الإنعام؛ ومن لا صلاة له ولا صيام، فهو أضل سبيلاً من بهيمة الأنعام، نصبت له موائد الكرم، فلم يجلس مع الكرام الذين أحمصوا بطونهم من فضول الطعام، وأصمتوا ألسنتهم عن لاغيات الكلام، وفرغوا قلوبهم للمناجاة في جنح الظلام، فارتقوا إلى ذروة الرزق، وسقط غيرهم في مهول الحرام.

* * *

مَسْنِي الضَّر من ركوبِ ذنوبِ	بِ أَثْقَلْتَنِي بِالْوِزْرِ والآثامِ
كم زمان معظَّم فيه تُرْجَى	توبة من ركوبِ ذنبٍ حرامِ
ثم يمضي يومي وشهري وعامي	وسقامي كما عهدت سقامي
خادمُ الله لا يملُ من الخدمة	حتى يُسقى بكأسِ الجِمَامِ

* * *

يا من أفرح لهم الهجر قلبه، قم إلى طلب الوصال .
ويا من قد أثقل الأوزار ظهره، اطرح عنك هذه الأثقال .
راجع المعهود، وراع العهود، واغسل بحلاوة الوصل مرارة الصدود .

* * *

أقبل الوصل حين ولَّى الصُّدود	فربيعُ الأفراح غَضُّ جديد
ورواقُ الإقبال والعزِّ والبهجة	والأنس فوقتنا ممدود
وقميصُ الهجران والصدِّ والإء	راض والبين والقلَى مقدود
قُم فقد أنجز لك يا مسكين	من تحت تلك الوعود
كاد عَوْدُ الوصال يُنسى فعاد	ألماً فيه وأخضر ذاك العود
وانقضت دولة الشقاء والحزن	وأوفى سرورنا السُّعود
إن تُوفي الأيادي وتُوفي	بوعود البُشرى وترعى العهود
إحذر الطرد بعد ذا الصُّلح ما	في كل وقت يُصالحُ المطرود
تُب إلى الله من ذُنوبك في	وقتكَ هذا فالوقتُ وقتٌ سعيد
لا تُعدِّ الذنوب فالتَّكسُّ ^(١) في	الإسقام بعد الإبراء منها شديد

* * *

هذا وقت توبة المصيرين، وتشمير المعصّرين، وإقبال المعرضين، وانتباه الغافلين .

فأذيبوا شحوم الشبع بنار الجوع، واتشحوا بمشقة السهر راحة الهجوع،
وقلّلوا حضور الأشواق اللعينة، واعتزلوا الشواغل الملهية، وأشركوا صلحاء
الفقراء في طعامكم، وضمّموا الأرامل والأيتام إلى عيالكم، وأطيبوا المطاعم،

(١) النكس: بالفتح والضم مع سكون الكاف أي عودة المرض إلى المريض بعد شفاؤه منه .

وصنّوا الجوارح، ونزّهوا النفوس، وطهروا القلوب، والزموا الطاعة، وعانقوا
القناعة، وأديموا العبادة، وأكثروا الذكر، وأقلوا اللغو، وأنزلوا أنفسكم بقية العمر
بمنزلة مريض بحمي، أياماً قليلة رجا عافية الدهر، أو بمنزلة كسير يحتمل مشقة
الرباط ليحصل له الجبر.

* * *

قد أطلتم صدّي وطردّي وهجرّي	فمتى تجبرون بالوصل كسري
مسنّي الضر مذ هجرتم ومالي	غيركم من أرجوه يكشف ضري
كم بُعادٍ وجَفوةٍ وصدودٍ قد	فنى في البعاد والهجر بعدي
طال عنكم بالبعد صومي فمتى	تغرب شمس النوى ويحضر قطري
يوم عيدي إذا انقضى الهجر عني	أماليلة الوصل فهي ليلة قدري
آه واقبح تفريطي في سا	عتي ويومي وعامي وشهري
من مجيري من الذنوب فقد	أبس وجهي شيئاً وانقضّ ظهري
كلما تُبتُّ قد نقضت فما	أخوفني أن أزور قبري بوزري
عند ربّ الخير الكثير	ولكني حرمتُ الخير لشري
ربّ جد لي برحمة تغسل العار	وتمحو وزري وتصلح أمري

* * *

من عرف الله بالرحمة رجاء، ومن عرفه بالانتقام فحق له أن يخشاه، ومن
عرفه بما هو أهله من كمال الجمال انشرح برحيق هواه عن رجائه وخوفه حتى
يلقاه.

* * *

أصوم لوجهه عمّا سواه	فلا إفطار لي حتى أراه
وأحمي منية الدارين قلبي	فمالي فيه إلا رضاه

وكل هوى يميل إليه صب عليّ محرّم إلا هواه
أوالي من يواليه بجهدى ولست بخاضع لسوى علاه
ولست بطالبٍ لسوى يديهِ ولست بخاضع لسوى عُلاه
أرجى القربُ منه وهو معطٍ يُبلِّغ كلّ ذي أملٍ مُناه

* * *

الأوقات الشراف مواسم الأشراف، يعرفون لها جلال قدرها، ويرغبون إلى الله في عظيم تزايد العامل نشاطاً في العمل، وتطلق العاطل من عقال الكسل.

فأقيموا في هذه الأوقات المباركة دين الله حق الإقامة، ولا تهتموا بتحصيل الغنيمة إلا بعد احراز السلامة، فإن فاعل الخير غانم، وتارك الشر سالم، والعافل هو الذي تهمة سلامته من المعاطب، قبل أن يهمة تحصيل المكاسب.

فردوا المظالم إلى المظلومين، قبل أن تتصدقوا على الفقراء والمساكين. واجعلوا عنايتكم بأوامر المفروضات والواجبات، مقدمة على التطوع بالنوافل والمستحبات. وصونوا بطونكم عن المكوس والغضوب، قبل أن تصونوها عن المأكول والمشروب. وامسكوا ألسنتكم عن الكلام القبيح، وأطلقوها بالتهليل والتسبيح. فإنما ينتفع المريض بشرب الدواء، بعد الحمية من أسباب الداء.

فأما أهل التخليط على نفوسهم في أمر أبدانهم وأديانهم فهيهات أن يقوم ربحهم بخسرانهم.

* * *

أسس الدين بالثقا يرتقي كل مرتقى إنما ينفع الدواء إذا صادف الثقا
كلما قلت قد مضى زمنُ الصبر والشقا عُدْتُ في سجلّ سوء حالي باليد موثقاً
مذ غبتُ عن مُقلتي دمعها قطره أرقا ارحموا مُذْنِفاً يذوب عليكم تشوقاً

صَوْمُهُ مَدَّةَ الْفِرَاقِ أَتَى سَاعَةَ الْفَقْدِ لَاءَ عِيْدِهِ يَوْمُ يُصْبِحُ الْعُودَ بِالْوَصْلِ مُورِقًا

العاصي لا يزداد بطول الحياة إلا مقتاً وطرداً، وكل صلاة لا تنهى عن
الفحشاء والمنكر لا تزيد العبد من الله إلا بعداً.

ما عدل من خلقه الله ورزقه ثم صار لغير خالقه ورازقه عبداً، يوجب
بمخالفته مقتاً، ويطمع أن ينال ودّاً، ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن
عهداً﴾^(١).

أكذب الرجاء رجاء أهل الإساءة، وأسوأ الجزاء جزاء أهل المعصية،
وأمقت الخلق إلى الله عبدٌ مسيء في عمله، معجب بنفسه.

من صام وأفطر على الحرام فلا صام ولا أفطر، ومن حج بنفقة من حرام
لم ينظر الله إليه ولا إلى حجه.

اجتهد أن تتوب قبل أن تموت، فما أعسر خلاص من لقي الله مصرّاً على
ذنبه.

إذا لم يتيسر لك ترك جميع الذنوب فاترك الكبائر والمظالم، فإن الصلاة
والصيام والاستغفار تكفر ما سوى ذلك من المآثم.

إذا عاملت ربك بأمرين كفأك ما سواهما: الإسلام، والتوبة. فإن
أضفت إليهما التمسك بالسنة فأنت من ملوك الجنة، فإن رزقت مع ذلك الذكر
الكثير الخالص فأنت من ملوك أهل الحضرة.

نافسوا في اقتناء النفائس، فإنما يجني أحدكم ما هو اليوم غارس. كم من
فارس اليوم وهو غداً راحل، وكم من راحل اليوم وهو غداً فارس.

(١) سورة مريم الآية ٧٨.

لا إله إلا الله، شارع الشرع بحكمته . لا إله إلا الله، مجازي العاملين
بجنته . لا إله إلا الله، مخصص العارفين بحضرته .

لا إله إلا الله، غامر الخلق برحمته .

الذين أسهروا له العيون، وأخمصوا له البطون، فهم طول دهرهم عما
سواه صائمون، وفي مسجد الخلوة عليه عاكفون .

جعلوا مدة الحياة صومهم، ليكون الموت عيدهم . وقنعوا أيام العاجلة
بالخلق، ليلبسوا في الآخرة جديدهم . فلما أنجزوا لله من أنفسهم وعوده، أنجز
لهم من نفسه وعوده . فأوى طريدهم، وأدنى بعيدهم، وعوضهم من شقائهم
سعوده . أنهم قد جعلوا أنفسهم عبيده، فجعل الولدان المخلدون عبيدهم .
من كان لله عبداً فذاك مولاه الموالي، ومن تولاه أضحى على الخليقة
والي .

* * *

وَلَّى عَنِ الْكَوْنِ لَمَّا وَآلَى الْجَنَابُ الْعَالِي	يَا فَوْزَ عَبْدٍ لَهُ الرَّبُّ مُكْرِمٌ وَمُوَالِي
قَدْ حَلَّ مِنْ قُرْبِ مَوْلَاهُ بِسَامِيَاتِ الْمَعَالِي	وَنَالَ مِنْ طَيْبِ وَصْلِ الْحَبِيبِ كُلِّ مَنَالِي
مُسْرَبَلًا بِسَرَائِلِ الْعِزِّ وَالْإِقْبَالِ	لَا يَخْطُرُ الْخَوْفُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ مِنْهُ بِبَالِي
يَا حَسْرَتَا ضَاعَ عَمْرِي فَحَالَ بِالْبُعْدِ حَالِي	كَمْ ذَا تَشَوَّفُ نَفْسِي بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ
وَالِي مَتَى أَتَرْجَى بُلُوغَ أَمْرِ مُحَالِي	لَا يُبْلَغُ الْمَجْدُ إِلَّا بِالشَّدِّ وَالتَّرْحَالِ
وَالزَّهْدُ فِي دَارِ دُنْيَا قَدْ آذَنْتَ بِزَوَالِي	وَالصُّومُ حَتَّى يَكُونَ التَّعْيِيدُ يَوْمَ وَصَالِي

* * *

جميع الطاعات والعبادات التي يتقرب بها إلى الله المتقربون، لها شريعة
يروبها الناقلون . وحقيقة يفقهها العارفون . ولا شريعة ولا حقيقة إلا وهي فيما

جاءنا به عن الله المرسلون. فمن عمل بالظاهر المعتاد، وأهمّل الباطن المراد، فليس هو من أولي الألباب؛ لأنه اشتغل بالقشر عن اللباب.

رب قائم ليس من قيامه إلا السهر والتعب، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الظمّ والتعب، فأمنوا إلى ظاهر الشريعة باطن الحقيقة، واسلكوا مع السالكين إلى الله أحمد الطريقة، وافطموا هذه النفوس عن سوء الرضاع، فإنما شرعت لكم الطاعات لتقلكم عن رديء الطباع.

إلى متى أكلاً وشرباً ونوماً؟ فقد آن أن تذيبوا شحوم الراحة والشبع صلاة وصوماً؛ فكل ما أنتم فيه عما قليل زائل، ولو كان دائماً لا يزول فما هو بباطل، ولا له حاصل.

أين أنتم عن مخاوف البر الرحيم في جنات النعيم؟ أين أنتم من لذة المناجاة إذا أرحى سدوله الليل البهيم؟ يا لها لذة ما ذاقها إلا ذو فطن هضيم، وقلب سليم ﴿وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (١).

عبادتان مؤكدتان في عبادة الإسلام: إحداهما - الصلاة - والأخرى - الصيام. ومن أدمن فعلهما غفرت له الإساءة، وضمن له الإحسان، وسُلك في محجة الإيمان إلى دار الإيمان.

إنما كان الصوم والصلاة موجبين لغفران الذنوب لما فيهما من تطهير النفوس وإصلاح القلوب، فالصوم يجلو عن مرآة الباطن، والصلاة يجلى فيها ما هو من الشر كامن.

فيا خيبة المحجوبين ماذا فاتهم من المشاهدة؟ لأنهم رضوا أن يبيتوا ويطونهم ملأى وعيونهم راقدة، ليلهم أضغاث أحلام، ونهارهم لغو الكلام وكسب الحطام، فهيهات أن يذوقوا من حلاوة مناجاة الله ما ذاق أهل الصلاة

(١) سورة فصلت الآية ٣٥.



<p>وأُطْلُتُمْ جُنْحَ الظَّلَامِ الْقِيَامَا رُكْعاً سَجْدًا وَطَوْرًا قِيَامَا إِلَّا الْمَلُوكَ الْكِرَامَا تُكْتَبُ مَمَّنْ عَلَى الْمَكَارِمِ حَامَا لَمْ يَصِلْ غَيْرُ مَنْ عَلَى السَّيْرِ دَامَا لَمْ يَلِجْ غَيْرُ مَنْ عَلَى الْبَابِ رَامَا فِي خَيْرٍ لِلْمُتَّقِينَ إِمَامَا ذَاقَ طَعْمَ الْعِيدِ مَنْ عَنْ غَيْرِ الْأَحِبَّةِ صَامَا فَلَا مَاجِدَ إِلَّا الَّذِي عَنْ الْمَجْدِ حَامَا وَفِي الْقَلْبِ مَنْ الْوَجْدِ مَا يَذُودُ الْمَلَامَا مَنْ ذِي جِجَى فِي هَوَاهُ هَامَا</p>	<p>لَوْ أَدِمْتُمْ عَمَّا سِوَاهِ الصِّيَامَا وَأَقِمْتُمْ فِي الصَّلَاةِ لَهُ فَطَوْرًا لَوَجَدْتُمْ لَذَاذَةً لَمْ يَذُقْهَا مُسْتَلْذًا حُمٌّ عَلَى مَا حَامُوا عَلَيْهِ عَسَى دُمٌّ عَلَى السَّيْرِ مُدْنِفًا وَصَحِيحًا قُمٌّ عَلَى الْبَابِ خَاضِعًا وَذَلِيلًا أَمْ ذَاكَ الْجَمَى الْمَنِيعُ تَصِيرُ صُمٌّ عَنِ الْغَبَائِرِ إِنَّمَا حَامٍ عَنِ ذَلِكَ الْمَجْدِ الْأَثِيلِ لَا تَمِي كَفٌ وَكَيْفُ أَصْفَى أَنَا إِنْ هَمْتُ فِي هَوَاهُ فَكَمْ</p>
---	---



لَوَدَرَى الْمَطْرُودُ مَا فَاتَهُ ، وَمَنْ أَيْنَ لِلْمَطْرُودِ أَنْ يَدْرِي ، لَذَرْفَ دَمُوعِ
الْأَسْفِ حَتَّى تَظِلَّ عَلَى الْخُدُودِ تَجْرِي ، سَرَتْ الرِّكَابَ إِلَى وَصَالِ الْأَحْبَابِ وَرِكَابِهِ
لَا تَسْرِي ، مَا شَرَى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْرِي .



<p>وَتَحَيَّرْتُ بِأَمْرِي سَوَى صَدٍّ وَهَجْرِي حَتَّى كَشَفَ ضُرِّي</p>	<p>عَيْلٌ فِي حُبِّكَ صَبْرِي أَطْلُبُ الْوَصْلَ فَلَا أُعْطَى مَسْنِي الضَّرِّ وَفِي قَدْرِهِ</p>
---	--

ليلة أنظر فيها وجهه ليلة قدري
جبروني بوصول طال بالهجران كسرى

* * *

اللهم اجبر كسرنا، واكشف ضرنا، يا كريم يا رحيم.

* * *

مواعظ

موعظة في انتظار الفرج

اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، أنت وحدك صاحب الأمر وإليك المنتهى .

فمن ذا يرجو سواك، أو يخشى لك الآخرة والأولى، وبيدك مفاتيح الرحمة والهدى، من حصل له منك الرضا فأولئك لهم الدرجات العلى، ومن يحلل عليه غضبك فقد هوى، فأمه هاوية لظى .

المعافي من عافيت، والمبتلي من ابتليت، والحكم ما حكمت، والقضاء ما قضيت .

كل معبود سوى وجهك الكريم باطل، وكل مُلكٍ سوى مُلكك الكبير زائل، وكل ظل سوى ظلك الظليل قالص، وكل فضل سوى فضلك العظيم ناقص .

سبحانك وبحمدك كما ينبغي لعز جلالك ورفيع مجدك، سبحانك وبحمدك عدد نعمك ومدد رفدك، بيدك البسط والقبض، ولك مقاليد السموات والأرض . الرضا منك أهم الهمم، والرضا عنك فرض الفرض .

اللهم فارزقنا الرضا منك، ووفقنا للرضى عنك، ولك الحمد على كل الأحوال وفي جميع الأحيان وبكل المستعان وأنت المستعان وعليك التكلان،

فمن أكرمه فهو المكرم، ومن أهنته فهو المهان، ومن خذلته فهو المخذول، ومن أعنته فهو المعان. لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض، الحنان المنان. حنانيك يا حنان، يا من ببابه لقاصده مما يخاف أمان، مكاني وحالي أنت تعلمه، وهل على الرب يخفى حالة ومكان.

* * *

إذا لم تَجُدْ لي أنت من ذا يَجُودُ لي	إذا لم تَعْنِي أنت كيف أَعان
إذا لم تُحِطْ بي أنت من ذا يُحِطْ بي	إذا لم تَصْنِي أنت كيف أَصان
أَتَيْتُكَ أَشْكُو مِنْ عُدْوَانِهِمْ	على كل ما خَوَّلْتَنِيهِ أَخان
حَسِبْتُهُمْ عَوْنِي فَلَمْ أَرْ	سوى أن على النَّائِبَاتِ أَعانوا
قَرِينِي وَنَفْسِي ثُمَّ دُنْيَايَ وَالْهَوَى	ظَنَنْتُمْ لَمَّا زَامَنِينَ فَشَانُوا
وَقَدْ كَانَ عَنِّي الْغَشُّ مِنْهُمْ مَعِيًّا	فها قد بدا لي اليوم فهو عَيَان
إِلَى مَتَى كَمْ أَنَا بَيْنَ الْعَدَى وَإِلَى	مَتَى أَضَامُ عَلَى الْمَدَى وَأُهَان
عَسَى فَرَجٌ مِنْ رَاحِمٍ بِمَلَابَسٍ	من الدِّينِ وَالتَّقْوَى مِنْ أَدَان
فَمَنْ وَفَّقَ الرَّحْمَنُ فَهُوَ مُوَفَّقٌ	ومن يُعِنِ الرَّحْمَنُ فَهُوَ مُعَان

* * *

واعلم أنه كأن لم تكن شدة إذا كان بعدها فرج، وما أطيّب حلاوة التوسعة إذ يشتدّ الحرج، لا تعرج في شدائدك على غير باب الله فما على غير باب الله مُنْفَرَجٌ، ولا تستغث بسوى العزيز الرحيم عند إحاطة الكرب العظيم، فهو المنجي من الهلاك والمنقذ من اللّجج.

ما أعز جناب من احتمى بجنابه، وما أوثق أسباب من تمسك بأسبابه، ذاق طعم الذل من وقف على غير بابه، وتاه في أودية الضلال من استهدى بغير كتابه. الحمد على ما أنعم به من كتابه المستبين، وصراطه المستقيم، ونسأله

تمام نعمته في إقامة دينه المتين، ومتابعة رسوله الكريم، كان ﷺ يأمر بالرجوع إلى الله تعالى في كل حال، لعلمه بأن الرجوع إلى غيره ضلال، وأن ليس من سواء إلا خيبة الآمال وفساد المآل.

* * *

في غير وجودك خابت الآمال ورجا رحمة من سواك محال
وسلوك كل الطرق في طلب الغنى إلا طريقك حيرة وضلال
فإذا رضيت فكل نار جنة والمر حلو والصدود وصال
وإذا غضبت فكل نور ظلمة والريح خسر والنعيم وبال
هب لي رضاك فما أبالي بعده إن نلته أن لا أنال منال

* * *

أيها العبد المخلوق في كبد، استعن بالله وعليه استند، فنعم العون ونعم المستند، ولا تعتمد على أحد سواه، فما في الوجود إلا إياه، من عليه يعتمد.
واصمد في حوائجك إليه، فهو الله الصمد؛ كم فرج من كرب، وكم ثقف من واد، وكم نظر إلى ذي شقوة فأسعده إلى الأبد.

* * *

يا من علاه الحزن والكمد وامتد في مكروهه الأمد
وغدا إماماً في الشقاء فما في عظم بلائه أحد
أقصد لضررك باب مقتدر ما خاب وقد في بابه قصدوا
قل يا مفرج كل ضائقة وعليه دون الخلق يعتمد
يا من إذا ضاقت مذاهبنا فإليه في التفريج يسند
ها قد صمدت إليك ملتمساً فرجي وأنت الواحد الصمد

* * *

إذا أردت أن تعرف بعض ما لله أهله من تفريج الكروب، وإغاثة الملهوف والمكروب، فتذكر ما كنت فيه في ضائقة الأحشاء، إذ لا تبطش مع من يبطش، ولا تمشي مع من مشى مسجوناً في أضيق السجون، لا تشعر بما يكون وما لا يكون قد جمع بطنك، وساقاك إلى فخذيك، وخررت بذقنك على ركبتيك، مربوطاً بالرُّبُط اللوازم، مقموطاً في قمت المشائم، لا تعرف الليل من النهار، ولا تفرق بين الغائب والحاضر، مكتوف اليد والرجل والسمع والبصر، لا تستوحش لمن غاب ولا تستأنس ممن حضر.

يخلق خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث، ليس لك إلى غير الله ملجأ، ولا من دون الله مستعان، فبيناً أنت في تلك الضائقة والحرَج، لا يقدر أبواك ولا غيرهما على توسعة ولا فرج، إذ أرسل الله إليك من ملائكته الألفاظ من حل عنك تلك الروابط، وقطع عنك ذلك الكتاف، ثم دبرك وأنزلك من لطفه بما لا تهتدي العقول إلى وصفه، فإذا أنت في سعة القضاء بعد ضيق تلك الأحشاء محفوفاً مرحوماً بأنواع الأرزاق من الأجانب والأقرباء، هذا يلقي عليك ناعم الثياب، وهذا يسقيك بارد الشراب، مخدوماً محفوفاً مرحوماً مكنوناً فيما اشتهدت نفسك من لبن لم يتغير طعمه، بقدرة الخالق دروره، وعند الرزاق علمه.

حتى إذا تمت نعمة الله عليك في تمام نشأتك، وبَلَغْتَ النهضة والمعرفة لا بحولك ولا بقوتك، تحملت من الهموم، وعلقت لغير كرم الله آمالاً، وتخيرتك في شذائلك من ذا تعول، ولا ترجع إلى صانعك فيما نابك ولا تهتدي إليه، كأنك كنت المدبّر لنفسك في أطوار الأرحام والأصلا ب.

جدّد إيمانك، فقد ارتبت بضمان خالقك، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب.

اللهم . . اهدنا، ولا تضلنا، يا أرحم الراحمين .

* * *

موعظة في ذمّ الملاهي

الحمد لله الذي لم يجعل لعباده التَّحَاب في غير مرضاته، تعجب الناس من دوام إقبالهم على الله وهم يرون الإعراض عنه عجباً، أدبهم الله بمعالم دينه فأحسنوا في معاملته أدباً.

فإن أردت الوصول إلى ما وصلوا بسلوكهم إليه، فأقبل على ما أقبلوا عليه، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، كيف يلهو من الموت بناصيته معقود، ثم بعد الموت ظلمات الضرائح وضيق اللحود، ومن ورائه برزخ إلى الوقت المعلوم واليوم الموعود؛ ثم إن نجا، فبعدكم ينجو؟ والسحق في نار الخلود، فاستعد لذلك كله استعداداً صادقاً لا زوراً ولا كذباً وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

هب أنك لهوت في زمن الشباب، وعُذرت في سهوك وأوقات غفلتك، فما عذرك اليوم في اللهو؟ قد زجرك الإسلام والشيب عن الغفلة والعطلة والخوض واللغو.

تب إلى الله واتخذ الطاعات قرباً، وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً.

* * *

طوبى لمن في مرضي ربه رغباً ومن مصارع أهل اللهو قد هرباً

قد وَطَّنَ النَّفْسَ أَنْ اللَّهَ سَائِلُهُ فَفَرَّ مِنْهُ إِلَيْهِ مَهِيئاً هَرَباً
 وَلِلتَّقَى مَرْكَبٌ يَنْجُو بِرَاكِبِهِ فَيَا نَجَاةَ الَّذِي مَعَ أَهْلِهِ رَكِبَا
 وَلِلْهَدَى رَفَقَةٌ فَاسْعِدْ بِصُحْبَتِهِمْ فَيَا سَعَادَةَ مَنْ أَهْلُ الْهَدَى صَحَبَا
 اللَّهُ ذُرٌّ عِبَادٍ قُرْبُهُ طَلَبُوا لَمْ يَطْلُبُوا فَضَّةَ مِنْهُ وَلَا ذَهَبَا
 سَارُوا بِعِزِّهِ وَتَشْمِيرِهِ مَا اتَّخَذُوا فِي سِيرِ دُنْيَاهُمْ لَهْوَاً وَلَا لَعِبَا
 الصَّدَقِ مَرْكَبُهُمْ وَالْحَقِّ مَطْلَبُهُمْ لَا زُورَ مَا زَجَّ دَعْوَاهُمْ وَلَا كَذِبَا
 أَقَامَهُ الَّذِينَ هُمْ لَا رُغْبَ فِي الْأَجْرِ رَ إِنْ غَيْرِهِمْ فِي الْأَجْرِ رَغْبَا
 كَذَلِكَ الْأَسَدُ لَا تَبْتَغِي إِذَا وَثَبَتْ إِلَّا الْفَرِيسَةَ لَيْسَتْ تَبْتَغِي السَّلْبَا

* * *

أهل العزة بالله والغفلة عن الله، لا في ثوابه يرغبون ولا من عتابه يرهبون، فكيف يطمعون في معرفته وهم بما عنده جاهلون ولأوامره مخالفون، وإذا ذكروا لا يذكرون، وإذا رأوا آية يستسخرون، وكأئن من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

أمروا بعبادة الخالق وخلّقوا لمعرفته، فلم يقبلوا منه ولا أقبلوا عليه. وندبوا إلى الإنابة والإسلام فلم يسلموا له ولا أنابوا إليه، ولولا جهلهم بما أعد الله لأوليائه لم يطلبوا إراحتهم إلا عند لقائه، ولم يجعلوا رغبتهم إلا فيما لديه، فهم عن إجابة داعي الحق متناقلون، وإلى اتباع خطوات الشيطان متسامعون، فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

ما أجهل من أعرض عن سماع القرآن، وأصغى إلى مزامير الشيطان؛ ما أغفل كل من هتف به داعي الكرامة أجاب داعي اللهو والهوان والخسران؛ ما أخسر من رفض بضاعة الطاعة واقتنى بضاعة العصيان، فتقطع عن قوم هم بالله متصلون، متصل بقوم هم عن الله منقطعون ﴿صُمُّكُمْ غُمِّيْ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١)،

(١) سورة البقرة الآية ١٧١.

﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾^(١).

* * *

من حَادَ عَنْكَ قَرَابَةُ الْمَجْنُونِ	والعقل في الإغراضِ عَنْكَ جُنُونِ
وَعَلَا مَثْوَاكَ الدُّنْيَى فِكَلٍ مِنْ	لَمْ تُعْلِهِ التَّقْوَى فِذَاكَ الدُّنُونِ
أَشْكَو إِلَيْكَ الْبُعْدَ فَهُوَ يَلِيَّتِي	مَنْ لَمْ تُقَرِّبْهُ فَكَيْفَ يَكُونِ
كَانَ الْأَنَامُ يَرُونَ أَنِّي عَاقِلٌ	ظَنًّا وَكَمْ يَخْطِى الصَّوَابُ ظُنُونِ
لَمَّا خَنْتُ وَقَدْ هَجَرْتُمْ بَنَانِي	وَلَهُمْ بِأَنِّي جَاهِلٌ مَجْنُونِ
قَوْمُ جُنُوبِهِمُ السَّلْوُ وَمَعَشَرَ	فِي الْحُبِّ هَامُوا وَالْجُنُونُ فُنُونِ

* * *

شتان بين قوم سلكوا طريق الغيِّ وقوم سلكوا طريق الرشاد، لقد خاب
الرامي بهم الخطا وفاز الرامي بهم السداد، كم من فقر سن في قبره السدس،
وكم من مطروح على شوك العتاد.

فارحموا هذه الأنفس المسكينة وأكرموها عن الدنيا المهينة، ﴿ اعلموا أنما
الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ﴾^(٢).

* * *

يَا أَيُّهَا السَّالِكُ طَرِيقَ الرَّدَى	قَدْ اشْتَرَى الْغِيَّ وَبَاعَ الرَّشَادَ
قَدْ آنَ تَنْحُو طَرِيقَ الْهُدَى	وَتَقْتَفِي سِيرَةَ أَهْلِ السَّدَادِ
يَا سَادَةَ عُقْدَ ضَمِيرِي بِهِمْ	إِنَّهُمْ صَفْوَةٌ كُلِّ الْعِبَادِ
لَا تَسْأَلُوا مَاذَا لَقِيَ عَبْدُكُمْ	مَنْ بَعْدَكُمْ مِنْ ضُرِّيَوْمِ الْبِعَادِ

(١) سورة الزخرف الآية ٨٣.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٠.

الجَفْنُ قد طَلَقَ لذِيذِ الكرى والجنبُ قد فارقَ لِيَنَ المهَادِ
لُونَالِ طَرَفِي مِنْكُمْ نَظْرَةَ كَانَتْ لِقَلْبِي هِيَ أَقْصَى الْمَرَادِ
قَدْ قَلَّ فِي دُنْيَا حَظِّي مِنَ الْوَصْلِ تُرَى مَا الْحَالُ يَوْمَ الْمَعَادِ
إِنْ كُنْتَ فِي آخِرَتِي هَكَذَا يَا حَسْرَةَ الْقَلْبِ وَحُزْنَ الْفُؤَادِ

* * *

قد ثبت في العلم المحكوم له بالثبات أن العبد يموت على ما عليه عاش،
ويبعث على ما عليه مات. فمن هنا ينبغي للمحجوبين اليوم أن يقيموا مآتم
العويل خشية أن يقل نصيبهم من الآخرة من الوصل كما هو اليوم قليل ﴿سواء
محياتهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾^(١).

فيا فجعة قلوب المحجوبين اليوم، ماذا فاتهم والله الملك الجليل وحصلوا
على الشفاء الطويل. هذا جزاء من سمع داعي الهدى فتصامم عن إجابة
الداعي، هذا جزاء من سمع داعي الهدى فقصرت عن الوصول إلى الله
المساعي، يا لها حسرة ما أوجعها، وحسرتة ما ألدعها.

أما اليوم، فقلب المطرود عن الإحساس بألم الفراق محجوب، ولكن في
غدي عذاب الجحيم له مباشر، وعليه مصبوب. كان في ظل الحياة راقداً فأيقظته
رقدة الموت، وكان عن سماع النصيح متصامم، فأسمعه الصوت، أطار النوم من
عينيه، وأزال الشكر من رأسه، صرعه يوم الوعيد، ﴿لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد﴾^(٢).

* * *

(١) سورة الجاثية الآية ٢١.

(٢) سورة ق الآية ٢٢.

كم بَعَادٍ وَجَفْوَةٍ وَصُدُودٍ نَالٌ مَنِّي عَدُوَّكُمْ مَا يَزِيدُ
 كُنْتُ بِالْأَمْسِ فِي الْجَنَابِ قَرِيباً وَأَنَا الْيَوْمَ مُبْعَدٌ مَطْرُودُ
 يَا عِبَادَ الرَّحْمَنِ يَا مَنْ هُمْ فِي حِرْزِ اللَّهِ رُكَّعٌ سُجُودُ
 فَاشْفَعُوا بِالَّذِي أَنْتُمْ بِالْقَرِيِّ بَ مِنْهُ فَهُوَ الرَّحِيمُ الْوَدُودُ
 اذْكُرُونِي فَاسْتَفْتِحُوا إِلَيَّ بِأَباً هُوَ فِي وَجْهِ عَبْدِكُمْ مَرْدُودُ
 حَلَّلُوا عَقْدَةَ الصُّدُودِ فَقَدْ وَلَّى زَمَانِي وَالْعَدُوَّ بِي مَعْقُودُ
 كُلُّ مَا لَا يُرْضِيكُمْ أَنَا مِنْهُ تَائِبٌ فِيهِ بَعْدَهَا لَا أَعُودُ
 اغْفِرُوا لِي يَا سَادَتِي وَاضْمِنُوا لِي كَلَّمَا عُدْتُ بَعْدَهَا أَنْ تَعُودُوا
 يَا أَهْلَ الْفَقْرِ الْمُسِيرِ وَأَنْتُمْ أَهْلُ أَنْ تَبْذُلُوا النَّدَى وَتَجُودُوا
 قَدْ رَنَّا لِحَالِي الْحَسُودِ مِمَّا أَلَا قِيَهُ وَيَا ذُلَّ مِنْ رِثَاءِ الْحَسُودِ
 كُلُّ هَذَا مِنْ سُوءِ حَظِّي مَحْسُودُ وَمِنْ يُعِصُّ شَقَوِي مَعْدُودُ
 اِرْحَمُونِي فَلَيْسَ غَيْرُ الْمَوَالِي رَاحِمٌ يَلْتَجِيءُ إِلَيْهِ الْبَعِيدُ
 كُلُّ عَبْدٍ وَإِنْ تَشَرَّدَ حِيناً فَإِلَى بَابِ مَالِكِهِ يَعُودُ

* * *

موعظة في الزهد والقناعة

أيها الساكن في دار القلعة والرحيل، أيها الضاحك في مواطن البكاء والعويل، لا تركز إلى دار الغرور، فليس لعاقل إليها ركون ولا عليها تعويل، أما سمعت نعتها بالقلّة في محكم التنزيل: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾^(١) من وثق بعهودها لم يجد لها عهداً، ومن علق بوعود لا تفي لها وعداً، حقها في كتاب الله الذم فكيف توليها حمداً، بينما محبتها معها في وصال إذا أولته صدّاً وأردته بعداً، أمدّها قصير ونكدّها طويل، ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾.

* * *

يا أَلِفَ دَارِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ	عمرُ قصيرٌ وعناءٌ طويل
قد آن أن تزهد فيما بقي	منها فإن اللَّبثَ فيها قليل
اقنع بأدنى عيشها وانحرف	عنها فما ظلّها من مُقِيل
عزیزها عمّا قليلٌ ذليلٌ	صحيحها بعد يسير عليل
لا تصلح الدنيا لغير التّقي	والزُّهد والبرّ وفعل الجميل
فمن يُردّها لسوى طاعة الله	فقد ضلّ سواء السبيل

* * *

(١) سورة النساء الآية ٧٧.

طوباً لمن توكل على الله واعتصم بحبله، وإذا نزلت به حاجة لمن ينزلها بمخلوق مثله، وإذا أجلب عليه الشيطان بخيله ورجله وثق بضمان مَنْ كل الخير في خزائنه وكل النوال من عنده.

فتوسلوا بشافع كرمه إلى شافع نعمه، فلا خير إلا من عنده، ولا عيش إلا في ظله، ﴿وإن خفتُم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾^(١). عجبت لمن يؤمن بما في القرآن من ضمان ثم يهتم لرزقه، ولم يؤمن بغنى الخالق وكرمه ثم يطلب حاجته من خلق الله.

هو الفاتق الراتق لا راتق لفتقه ولا فاتق لرتقه، وهو أهل كل خير فإذا أردتم الخير فاطلبوه من أهله، ﴿وإن خفتُم عليه فسوف يغنيكم الله من فضله﴾.

من علق نفسه بمعروف غير معروف الله فرجاؤه خائب، ومن حدث نفسه بكفاية غير كفاية الله فحديثه كاذب، لا يغيب عن علمه غائب، ولا يعزب عن علمه عازب.

فتوسلوا بطاعته إليه، وتوكلوا في حوائجكم عليه، وآملوا الراحة عند لقائه، ووجهوا الرغبة إلى ما لديه، واسألوه يعاملكم بإحسانه، واستجيروه أن يأخذكم بعدله، ﴿وإن خفتُم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله﴾.

* * *

أُتْرَى	أَفُوزُ	بِوَصْلٍ	مِنْ	لَا	فَوْزَ	إِلَّا	بِوَصْلِهِ
وَأَقِيلُ	فِي	ظِلِّ	الَّذِي	طَابَ	الْمَقِيلُ	بِبَرْدِ	ظِلِّهِ
يَا	طَيِّبَ	عَيْشِ	الْبَالِغِ	ذَلِكَ	الْجَنَابِ	وَطَيِّبَ	عَيْشِ
مِنْ	نَالِهِ	نَالَ	الْمَرَا	مَ	وَفَازَ	بِالْمَطْلُوبِ	كُلِّهِ

* * *

(١) سورة التوبة الآية ٢٨.

جناب الله أعلى مرتقى من أن يبلغه الراقي باستفراغ جهده، وجنة الله أعلى قيمة من أن يملكها المشتري بثمن من عنده.

ما للعبد إلا رحمة مولاه وعنايته بعبده، فانفض عنك قصد من سواه وتحقق بانفراد قصده، وتوكل على الحمى الذي لا يموت وسبح بحمده.

إياك والطمع فيما في أيدي المخلوقين فالمطامع قاطعة الأعناق، وصن وجهك عن استرزاق المخلوقين وتوجه إلى الرازق، أخلقت^(١) مساءلة الخلق وجوه السائلين فأين أنت عن الخلاق، اسأل من خير، واستعذ من شره، وتعرض لعطائه ورفده، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده.

من رزقه الله الكفاف والعفاف فقد ألبسه ثوب الشرف، ومن ابتلاه بالمسألة والإلحاف فقد أوقعه في مهواة التلف، ومن جعل رزقه من كسبه وعافاه من الإسراف فقد وقّعه لسيرة السلف. فاسلك سبيل من تعقّف عن السؤال، وترفع عن أوساخ أيدي الرجال، وارض عن الله في جميع الأحوال، وثق بالخالق في ضمانه وصدق الوفاء في وعده، وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده.

* * *

وأوقعك الشيطان فيها بجهده
وصرت لها شبه الأسير نفده
ولم تلق ذا رِفْدٍ بجود رفده
وهمٌ قد أحاط بجنده
بقلبك حتى ضقت صدرًا برده
عليه من الهول الشديد وإدّه
فذاك من الخيرات آخر عهده

إذا أثقلتْكَ السيئات بِحِمْلِها
ولَحَّتْ عَلَيْكَ النَّفْسُ فِي شَهَوَاتِها
وضاق عَلَيْكَ الرَّزْقُ فِي كُلِّ مَدْخِلٍ
وَأَمْسَيْتَ ذَا فَقْرٍ وَذَيْنٍ وَغُرْبَةٍ
وَأَحْضَرْتَ ذَكَرَ الْقَبْرِ وَالْمَوْتِ وَالْبَلَى
وَفَكَّرْتَ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ وَمَا احْتَوَى
وَحِفَّتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي مِنْ نُوى بِها

(١) أخلقت: أبلت.

على باب مولى سامع صوت عبده
فقير عمى لا يهتدي طرق رشده
توكل عليه ثم سبّح بحمده

هنالك فارفع قصة الحال ثم قف
وقل يا كريم انظر إلى حال عاجز
خزائنه فيها المطالب كلها

* * *

موعظة في اليقين

الحمد لله الذي من اتبع هواه فلا يضل ولا يشقى ، ومن آمن به وكفر بما
سواه فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن لم يتخذ من دونه وكيلاً فهو المؤمن
حقاً ، ومن لم يتحقق بالإيمان فقد سبق إلى كل الخيرات سبقاً .

* * *

كن مؤمناً بالله حقاً	تسبق إلى الخيرات سبقاً
كم يدع بلسان الإيمان	إقراراً ونطقاً
فإذا اختبرت يقينه	لم تلق ذاك القول صدقاً

* * *

لو أيقن المخلوق أن له على الخالق رزقاً ، ما كان يعبد بعد خالقه لأجل
الرزق خلقاً .

شهادة أن لا إله إلا الله توجب عليه أن لا نتخذ من دون الله وكيلاً ، ولكننا
نقربها إقراراً صحيحاً ، ونعتقد اعتقاداً عليلاً .

لولا سقم العقائد لبنت من القواعد ؛ أما القول فقائم ، وأما العمل فقاعد ،
وأما الهوى فمستيقظ ، وأما العقل فراقد .

إذا حضرنا مجالس الذكر فالقلب غائب، والجسم شاهد. فأحضروا الأفهام قبل الأجسام، واستعدوا لتدبر المعنى قبل سماع الكلام، ولا ترضوا أن يكون حظكم من المعرفة بالله تلُّسكم بظواهر الإسلام، ولكن طالبوا أنفسكم بتحقيق دعواها، وامنحوا معرفتها بالله في نزل مشتهاها، فإن هي تركت من خشية الله كلما عنه نهاها، وإلا فاتهموا بضعف اليقين. فمن ضعفه قوي الشيطان على العصيين، ومن ضعفه ثقلت الطاعة والعبادة على البطالين، ومن ضعفه ساءت ظنون المرتابين. ولو قوي يقين المخلوق بأن الله إليه في كل وقت ناظر، وعليه في كل حال قادر، لما خطرت مخافة الخلق له في خاطر، ولما قصر في طاعة العزيز القاهر، في فعل ما هو به أمر، وترك ما هو عنه زجر.

فاستجبروا بالله من ضعف اليقين، فإنها آفة الظاهر والباطن.



<p>بقلبي من الأشواق داءً مخامرٌ ولو صدقت دعوى اشتياقي وكم مُدَّعٍ للشوق يزعم أنه ولو كان في دعوى المحبة صادقاً وكم قائل آمنت بالله وحده إذا سمع القرآن لم يُصغِ سمعه ويسأل رزق الله من فضل خلقه ولو كان في الإيمان بالله مُوقناً فلا تُوترَ بالقول مما تقوله</p>	<p>إلى غائب عن ناظري وهو حاضر لم يكن لجسمي بعد البعد إلا المقابر كثيبٌ حزينٌ دامع الطرف ساهر لزار حماهم والسوق شواهر وفي قلبه شرك خفي وظاهر كأن ليس في القرآن ناهٍ وأمر ويخضع في أبوابهم وهو صاعر لُسَدَّتْ بفضل الله منه المفامر فكم مؤمن بالقول والفعل كافر</p>
--	---



ثلاثة من الناس عناؤهم طويل، وحاصلهم قليل:

- المبتهل في الدعاء وغذاؤه خبيث .

- والدارس للعلوم وفهمه بليد .

- والمجتهد في الأعمال و يقينه ضعيف .

● مثل المجتهد في الدعاء مع الاغتذاء بالحرام : كمثل الرامي بالسهم في هدف من رخام .

● ومثل كثرة الدرس مع بلادة الفهم : كمثل الاستكثار من الطعام مع سوء الهضم .

● ومثل المجتهد في العمل مع ضعف اليقين : كمثل تطويل البناء على غير أسّ مكين .

إذا أحسست من نفسك بضعف اليقين ، فاستكثر من ثلاثة أشياء :

- أحدها : إجمالة الفكر في آيات الحق سبحانه في سمواته وأرضه وسائر خلقه .

- ثانيها : النظر في المصحف وعلوم أهل اليقين الذين صَنَّفوا في تسليل الخلق إلى الخالق .

- ثالثها : مجالسة العلماء العاملين ، والصلحاء من أهل الدين الذين يفيدك النظر إليهم ، والإصغاء إلى كلامهم ، رسوخ اليقين في قلبك .

* * *

عليك بصحبة الأخيار حتى	تصير لهم مُحبًّا مُستهما
وإن هجرؤك أو ولؤك صدًّا	فلا تزدد بهم إلا غراما
وصالُّهم الطَّعام لكل روح	ومن يبقى إذا عدم الطعاما
عبادُ مكرمون لخير مولى	سقاهم من محبته مدا
وقد وقفُوا نفوسهم عليه	وفي مرَضاته هجروا المقاما

وَأَهْلَهُمْ لخدمته فصفوا ركوعاً أو سجوداً أو قياماً
فلو أبصرتهم في الدهر يوماً بعينك أو سمعت لهم كلاماً
لصار القلب منك لهم رهيناً بودك أن تكون لهم غلاماً

* * *

موعظة في الاجتهاد في الأعمال

عباد الله . . ابذلوا في طلب مرضاة مولاكم المهج، واتبعوا الكتاب الذي أنزل واسلكوا المنهج الذي نهج، وإن لحقتكم في عبادته شدة أو حرج، فكم في جنته من فرج ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾^(١).

أنفقوا في سبيله الأموال والأعمال، وجدّوا في طلب قربه آناء الليل وأطراف النهار، واحذروا البعد عن قربهِ فتمام شقوة المحبين بُعد الديار، وادخلوا في زمرة المشتاقين فيا سعادة من فيهم دخل، ويا شقاوة من منهم خرج، ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ إذا هتف الفراق فيا أيها الذين آمنوا قولوا: لبيك ربنا وسعديك. فإذا سمعتموه يأمر وينهى فقولوا: سمعنا وأطعنا، خذ بنواصينا إليك. وإذا ندبكم إلى اتباع سبيل من أناب الله إليه فقولوا: دل حيرتنا عليك. وإذا حالت دون الوصال بحار الأهوال: فاقتحموا منها اللجج، ﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾.

(١) سورة الحج الآية ٧٨.

اجهّدوا في القرب من مَلِكٍ	من ثوى بالقرب منه نجا
اقتلوا فيه النفوس أساً	وابذلوا الأرواح والمهجاً
اركبوا الأخطار في طلب	القرب منه واقطعوا اللججاً
ما لكم من غيره فرجٌ	فاطلبوا من عنده الفرجاً
قطرةً من لطف رحمته	تجعل المحزون مُبتهجاً

* * *

سبحان من زخرت بحار كرمه بجواهر هباته، وهطلت سحائب نعمه بمياه وصلاته. فتعرّضوا لنفحات رحمته، وشمّروا في طلب مرضاته، وأتقوا الله حق تقاته، ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾، كيف تهملون شكر الله وكنتم فقراء فأغناكم، كيف تقصّرون في إجابة الله وهو الذي إلى جنته دعاكم.

يا قومنا أجيئوا داعي الله، وسارعوا إلى جنة كعرض أرضه وسمواته، واتقوا الله حق تقاته، الموت عما قليل بساحتكم نازل، ومن نزل بساحته الموت فهو لكل ما هو فيه له مفارق وعنه زائل.

فتنبهوا من الغفلة، فما تحسن الغفلة بعاقل، واستعدوا للموت، واستعيذوا من وحشة القبر، واتقوا الله حق تقاته.

* * *

لا دَرَّ دَرٌّ ^(١) البين ماذا لقي	محبكم من حرّ لوعاته
لله قوم طلقوا عيشتهم	في طلب الله ومرضاته
ما همُّهم غير إتصال بمن	قد قَتَلُوا الأرواح في ذاته
لم يعبدوا الله لينجوا	من النار ولا يحظوا بجَنّاته

(١) «لا دَرَّ دَرٌّ»: لا كثر خيره.

مُناهم منه رضاه فما زاد فمن أفضال عاداته

* * *

المنافسة في القرب من الله طريق أهل المعرفة بالله، فاسلكوا طريق العارفين، فإن عجزتم عن سلوك أهل العرفان فاقتدوا بسنة الخائفين. واحكموا صنعة مركب التقوى، فبين أيديكم بحر لا ينجلي فيه إلا سباحة السباحين. وكونوا على وجل من هجوم الأجل، ولا تطفكم الدنيا ولا يلهيكم الأمل، واستعدوا لله بتقواه وإصلاح العمل، واحذروا حسرة النادمين، وصفقة الخاسرين، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾^(١).

ما أثقل رقاد الغافلين، ومن بلادة أفهام الجاهلين: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

شمس الهرم تنسخ علل الشباب، ومركب الأجل يمرّ مرّ السحاب، أما الأعمار ففانية آخذة في الذهاب، وأما الأعمال فباقية خالدة في كتاب، فتأملوا مصائر النافرين، بما تملون على الكرام الكاتبين، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

* * *

نَسِيتُ الذَّنْبَ لِمَا طَالَ عَهْدُ	وقد سطرته أيدي الكاتبينا
وَأَحْصَى الْحَفَظَانِ عَلَيْكَ مَا	قد عملت على تضاعيف السنيينا
سَتَحْصِدُ مَا زَرَعْتَ وَسَوْفَ تُجْزَى	إذا جَزَى الحبيبُ العاملينا
سَتَجْنِي مَا غَرَسْتَ وَسَوْفَ تَلْقَى	فعالك يوم نشر العالمينا

(١) سورة الزمر الآية ٥٦.

فمنقلب برضوان وفوزُ ومُنقلب بصفقة خاسرينا

* * *

يا من تُعدّ عليه الأنفاس عدًّا، لا يستطيع لماضيها ردًّا، ولا تجد من
تناهيا بُدًّا، تغدو إذا نزل بك الموت أن تستنصر عليه جندًا، يوشك أن يرميك
بحجر يهدم الآجال هدمًا، ويهدّ أسوار الأعمار هُدًّا.

* * *

للموت	مُرادة	تَهْدُ	قواعد	الأعمار	هَذَا
وَحُسامه	غضب	يَقْدُ	مُتُون	كل الخلق	قَدْ
الخُلْد	ليس	بدارنا	فاطلب	بدار الخلد	خُلْدًا
وَأْمَهْدُ	لنفسك	في ضري	حك من	فِعَالِ الخير	مهدا

* * *

العمر يمر مرّ السحاب، ما مرّ منه لا يعود، وما تبقى للذهاب والمهلة
تخدع خدع السراب، والذاهب ليس له إياب، والموعود يوم الحساب.

تجهّز فقد حدا الحادي بالركاب، وتهيّا للسكنى تحت التراب. أما الزيت
فقد نفذ، وأما الشمع فقد ذاب، وأما الدنيا فقد تباعدت، وأما الآخرة ففي
اقتراب كيف البقاء وقد ولدت والموت مني في اقتراب، حتى تمرّ به سفينة عمره
مرّ السحاب، ما مرّ منه لا يعود، وما تبقى للذهاب.

قد آن لي أن أستعد لمصرعي تحت التراب، وأجودّ العمل الذي أنجوبه
يوم الحساب.

أترى.. بأي يوم أوفّي يوم تقريرى كتابي؟ إن كان باليمنى : فياطوبى ويا
حُسن المآب. أو كان باليسرى : فياويل ما ألاقى من عذابى.

يا رب . . لا تعضل يوم مسألتني جوابي ، واحفظ لساني عن أن يقول بغير مقبول الصواب .

ثلاثة من الخلق لا تثبت لهم يوم القيامة حجة ، ولا تقبل منهم معذرة :
المتحجج بالقدر ، يقال له : لم يقدر الله عليك إلا ما اقتضت حكمته فيك .
والمدعي الجهل بالله وبشرعه : يقال له : قد تعرف الله إليك بنفسه يوم ميثاقه ،
وقد وُلدت على الفطرة ، وقد جاءك من الأنبياء ما فيه مزدجرٌ ، والمعتذر باستحواذ
الشیطان وتسويل النفس ، وتبرج الدنيا : يقال له : قد أعنت على الشيطان
بالذكر ، فشغلت عن ذكر الرحمن حتى قَيَّضَ لك الشيطان فصْدَّكَ عن سبيل
الهدى ، وأعنت على النفس بالعقل ، فأبيت إلا الميل إليه معها حتى أسلمك
إلى الهوى ، وأتيح لك من حلال الدنيا ما فيه عن حرامها غنى ، فما قنعت
بذلك الغنى ، فالويل لمن لا يلقيه الله حجته ، ويقبل معذرتة ، ويعود بقوّته على
ضعفه ، ويعامله بفضله ولطفه .

اللهم فعاملنا في الدنيا والآخرة بلطفك وفضلك . . واحملنا على حكم
إحسانك لا على حكم عدلك . . إنك على حكم عدلك أنك جواد كريم .

* * *

موعظة فيما يقال في الأوقات

يقال في الأوقات الشراف: تبارك الله وسبحانه، ما أجل الله وما أعظم شأنه، من بعض آياته خلق الزمان والمكان، مخلوقات خير كل إنسان، وما وقف حكيم لها على حقيقة، ولا قام لباحث عليها برهان. فتعالى الله سبحانه، ما أظهر برهانه، وما أقهر سلطانه، خير العقول والفطن فيما ظهر من أمره وما بطن، لو لم يكن فيما أوجد الله من بدائع آياته إلا هذا الزمان وتصرف أوقاته، فأجبلوا هذه الأفكار في مرور هذا الليل والنهار، واعتبروا بما فيهما، ففيهما لأولي الأبصار اعتبار.



مَعْنَا ذَاكَ قَبْلَ مَوْتِي يَكُونُ	جَبَرُ كَسْرِي عَلَيْكُمْ يَهُونُ
وَيَمْضِي الْفَنَاءُ وَتَعُضُّ الدِّيُونُ	فَيَزُولُ الشُّقَاءُ وَيَنْفَرُجُ الْهَمُّ
وَالَّذِي حَلَّ بِي لَكُمْ مُسْتَبِينُ	قَدْ أَطْلَعْتُمْ طَرْدِي وَيُعْذِي وَصْدِي
وَامْتَدَّ سُقَامِي مَالِي عَلَيْهِ مُعِينُ	مَسْنِي الضُّحْرُ وَانْقَضَى الْعَمْرُ
وَنَحُولُ بَادٍ وَدَاءُ دَفِينُ	جَلَدٌ رَاحِلٌ وَضِيمٌ مَقِيمُ
حَازَ الْأَمَانِي فَذَلِكَ الْمَغْبُونُ	كُلُّ مَنْ لَا تَرْضَوْنَ عَنْهُ وَلَوْ
وَدَمَعُ عَيْنِي مِنَ الْعْيُونِ غَبُونُ	فَاجْبِرُونِي فَالْقَلْبُ مَنِي كَسِيرُ

أنا مسكينكم وفي بابكم ما زال يُجبر ويُرحم المسكين

* * *

اللهم ارحم افتقارنا، واجبر انكسارنا، ونور أسمعنا وأبصارنا، واجعل
خضوعنا لك، واقبالنا عليك، وثقتنا بك، ورغبتنا فيك، ولا تلجئنا في مطالب
خيرات الدنيا والآخرة إلى أحد إلا إليك يا أرحم الراحمين.

* * *

موعظة في التقوى

سبحان من أكرم عباده المتقين بالتقوى، فكل كرامة لا تؤسس على التقوى ليس لها ثبات ولا جدوى.

ما برح أهل خشية الله وتقواه يتركون شهواتهم من نفوسهم من خشية الله، ويؤثرونه بطاعته على من سواه، حتى أورثهم جواره، وبوأهم جنة المأوى، ومن جاور الله في جنته فقد بلغ أورثه الخير الكثير، والملك الكبير، والغاية القصوى، والعاقبة للتقوى.

من عزم على قطع بحر الهلاك إلى ساحل السلامة فليركب مركب المتقين. ومن أراد الفوز والفلاح، والحصول بعد سلامة سلامة رأس المال على أكرم الأرباح، فليستبضع بضاعة المتقين. ومن أحب أن يكون الله وليه، فليتوسل بوسيلة المتقين، فجميع مطالب أهل الدنيا حاصلة بغير طلب لأهل التقوى، والآخرة عند ربك للمتقين.

ارتقى طلاب العلى في طلبها كل مرتقى وما بلغوا درجة أهل التقى، وارتقى طلاب النجاة كل المرتقى وما تحصنوا بحصن أهل التقى. شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، بتناول الرزق قسم لهم مولاهم، وتفردوا في الآخرة بالنعيم والبقاء، والآخرة خير لمن اتقى.



أُتْرَى أَفَارِقُ ذَا الْعَنَاءِ وَذَا الشَّقَاءِ	بوصال سَكَّانِ المَصَلَّى والتَّقَا
وَأَحْلَ بِالمَرْقَى الَّذِي مَا فَوْقَهُ	لمريد غَايَاتِ المعَالِي مُرْتَقَا
بِجَوَارِ أَهْلِ الدِّينِ وَالْإِحْسَا	نَ وَالْبِرِّ وَالْعِبَادَةِ وَالتَّقَا
يَا وَيْحَ نَفْسِ ذَوِّقُوهَا هَجْرَهُم	بعد التَّوَاصُلِ كَيْفَ أَمَكْنَهَا البَقَا
النَّوْمُ مِنْ بَعْدِ التَّرْحُلِ فَاقْدُ	وَالدَّمْعُ مِنْ يَوْمِ التَّرْفُقِ مَارَقَا
يَرْقُوهَا لِمَنْ رَقَّتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ	يَقْضِي الزَّمَانَ تَجَمُّرًا وَتَحْرُقَا
قَدْ آتَى مِنْ رِقِّ النَّوَى وَالْبَيْنِ وَالْ	هَجْرِ الْمُبْرَحِ وَالفِكْرِ أَنْ يَعْتَقَا
أَخَذَ الْفِرَاقُ نَصِيْبَهُ فَهَلْ لِي	بعد مَا أَخَذَ النَّصِيْبَ مِنَ اللَّقَا
يَا نَفْسُ إِنْ رُقَّتِ التَّوَاصُلُ فَاتَّقِي	مَا فَازَ بِالمَحْبُوبِ غَيْرَ مِنْ اتَّقَا

* * *

للمتقين في تقواهم أربع مراتب، يلزمها أربع نتائج :

المرتبة الأولى : تقوى الكفر . ونتيجتها : تحريم الخلود في النار .

المرتبة الثانية : تقوى المعاصي . ونتيجتها : الخلاص من العقاب .

المرتبة الثالثة : تقوى فضول الدنيا . ونتيجتها : خفة الحساب .

المرتبة الرابعة : تقوى كل شاغل يشغل عن الله ، ولو كان من الغوافل

المكسبة لثواب الله . ونتيجتها : وفور النصيب من النظر إلى الله عز وجل .

* * *

نَهَايَةُ مَقْصُودِي وَأَقْصَى مُنَايَ	أَنْ يَرَانِي أَهْلُ لِلْوَصَالِ حَبِيبِ
إِذَا نَالِي مِنْهُ الْوَصَالَ وَدَامَ لِي	فَلَا نَالِي مِمَّنْ سِوَاهِ نَصِيبِ

* * *

احذروا التقصير في الطلب، ونافسوا في معالي الرتب؛ وغالبوا من عاقكم

عن الله، فإنما الدولة لمن غلب؛ واحذروا التقصير في الطلب، لا تفتكم أعلى
الرتب.

* * *

شَمِّرُوا فِي السَّيْرِ واجتهدوا	فِي اكْتِسَابِ الْبِرِّ والقرب
وَأَطْلُبُوا اللَّهَ الْكَبِيرَ بما	فِي قُوَى الْإِمْكَانِ من طلب
لَا تَخْلُوا النَّفْسَ ترغب في	فَضَّةٍ مِنْهُ وَلَا ذهب
هَمَّةُ اللَّيْثِ الْغَضَنْفَرِ في	قَبْضَةِ الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ
وَكَذَا الْعَشَّاقُ لَيْسَ لَهُمْ	غَيْرَ مَسْرَى الْحَبِيبِ مِنْ إِرْبِ

* * *

إذا سئلت عن أكثف الخليقة بالآ؟ فقل: هو محب بسهم البعاد رمى.
وإذا قيل لك: من أسوأ البرية حالا؟ فقل: مخلوق إلى غير جناب الخالق
مرتمي. ومتى أردت أن تعرف المعافاة من جميع البلوى؟ فهو الذي إلى سند
التقوى مستند، وبحمى التقوى محتمي.

* * *

حَظِيْتُ بِنُورِ الْإِيمَانِ من	قَلَمِ التَّوْحِيدِ لَا بِالْمِدَادِ والقلم
مَنْ لَا يَرَى مَا رَأَيْتَ يَوْمَ بَدَى	جَمَالِكَ لِلْعَيُونِ فهو عَمِي
مَا عَذَرَ مَنْ لَا يَحِبُّ خَالِقَهُ	وَهُوَ أَقَامَ الْوُجُودَ مِنْ عَدَمِي
وَهُوَ الَّذِي عَمَّ بِالْعِطَاءِ إِلَى	أَنْ غَمَرَ الْعَالَمِينَ بِالنَّعْمِ
دَرَّ الْمَنَّ وَالطَّوْلَ وَالتَّفْضِلَ	وَالْإِحْسَانَ وَالْمَوْهَبَاتِ وَالْكَرَمِ

* * *

الساعي إلى غير باب الله معثر القدم، والشاكر لغير نعم الله مسلوب النعم، واللاجئ إلى غير حرم الله مباح الحرم. كل ركن سوى ركن الله منهدم، وكل حصن سوى حصن الله ينثلم.

من خاف فليلجأ إلى حرم التقى فهو الحرم المتقون، هم الملوك وغيرهم لهم خدم، حازوا الرضا من فضل مالکهم وفازوا بالنعم، شهد النبي بأن تقوى ذي الجلال هي الكرم.

[للتقوى اشتقاق يردها إلى أصلها، وحدٌ يكشف عن حقيقتها، وعلامات تعرف بها، وأقسام تنقسم إليها، وأحكام يقضي بها عليها، ونتائج معجلة، وأخرى مؤجلة، وغاية إليها المنتهى، وجزاء ينفرد به المولى.]

●● فأما اشتقاق التقوى: فهي من الوقاية وهو الستر، فكما أن الوقاية لما يلقي عليها سائر فكذلك التقوى تستر المتقي من مكاره الدنيا والآخرة.

●● وأما حد التقوى: فهي الانحجاب عن الله بمراضيه.

●● والتحرز: مخاوف العبد بالدخول فيما أمره الله بالدخول.

●● وأما علامات التقوى: فاجتناب المحرمات والمكروهات والمسارة إلى الواجبات والمستحبات.

●● وأما أقسامها فثلاثة:

- تقوى الموجبات للعقاب.

- وتقوى الموفقات للحساب.

- وتقوى المانعات للثواب.

● أما الموجبات العقاب: فهي الأمور الشيطانية. وهي: الكفر، والبذعة، والمعصية.

● والموفقات للحساب: هي الأمور النفسانية. وهي: متابعة الهوى في نيل المشتهى من فضول حظوظ الدنيا.

● وموانع الثواب: إما تثبيط الشيطان، أو كسل النفس، أو فساد الرأي، أو قلة العلم.

● ● أما أحكام التقوى: فحكمان:

- وجوب استحباب التقوى.

- وأداء الفرائض.

● والتقوى المستحبة: التنزه عن المكروه، والتطوع بالمسنون.

● ● وأما نتائجها العادلة: فالسلامة من شر الشيطان والنفس.

● ● وأما أمورها الآجلة: فالنجاة من العذاب، والحلال من الحساب، والفوز بالجنة، والوصول إلى الحضرة.

● ● أما غايتها: فاستقرار الدخول في الصالحين.

● ● وأما الجزاء الذي ينفرد به الله تعالى: فالنظر إلى رب العالمين.

* * *

من كان يطمعُ أن يفوزَ بِقُربِ ربِّ العالمينا
ومنحه نظراً إليه إذا أباح الناظرينا
ويعُدُّ من أهل الصَّلاح إذا يُعَدُّ الصالحونا
ويُجارُ من سوء النِّيات ومن عذاب الخاطئينا
فعليه بالتَّقوى ففي التَّقوى مرادُ الطَّالِبينا
ما فاز بالخيرات في الدَّارين غير المتَّقينا
يا ربِّ فارزُقنا مقام المتَّقينا
واغفر لنا يا ربِّ ولجميع المُسْلِمينا

* * *

موعظة في الورع

الحمد لله الذي جعل الكتاب والسنة محتوين على الهدى والنصائح، فمن سلك سبيلهما فقد سلك إلى الفلاح الطريق الواضح، ومن عُرِّيَ من ملابستهما فقد انتصب لأعين الناظرين في المقام الفاصح، ولاح عليه من شواهد الشقوة لائح.

لقد احتوت علوم الكتاب والسنة على إيضاح معالم الهدى، ومن سلك طريق الهدى فقد أمن من عواقب الردى.

● ● ● أربع نصائح مستخرجة من أصول نصوص الكتاب والسنة، من عمل بها فقد سلم من سخط الله والنار، وحصل على رضوان الله والجنة وهي:
[التقى . والورع . والزهد . والعبادة]

وهذه الأربع نظام الدين، من أقامها مُحييت عنه الشقوة، وكتبت له السعادة.

● فاتق الله باجتناب المحرمات تكن من التّوَّابين.

● وتورع عن اقتحام الشبهات تكن من المتطهرين، ومن مات وتطهر فقد صار من أحباب الله، والله محب التوابين ومحب المتطهرين.

● وأما الزهد فهو: ترك ما زاد على قدر الضرورة في الدنيا، وبه تتخلص من

الحساب الطويل .

● وأما العبادة فهي : إقبالك على خدمة المولى ، وبها تحصل الثواب الجزيل ،
وتدخل على الملك الجليل .

* * *

هل إلى وادي التقي من سبيل	فهو قصدي ونهاية سُولي
منذُ فارقتُ رؤياه لم يَطُبْ	لي من بعدها من مَقِيل
كنتُ فيها قائمُ الجاه عَالِي	القَدْرِ في خدمة مولى جليل
فتبدلتُ بعدها بعزّي ذلاً	فارحموا غربة عبدٍ ذليل
فأدُّنوا في القرب منكم قليلاً	ما قليلٌ منكم بقليل
طال في دار البُعَادِ عَنائي	من مُجيري من عناءٍ طويل
ليس نومي بعدكم بحلال	ليس صبري عنكم بجميل
روّحوا بالبعد عنكم كربتي	برّدوا بالقرب منكم غليلي
ذكرُكم حادى رِكايبى إليكم	وسَنَأُكم في المسير دَلِيلِي
كان تعويلي عليكم فلما	نبتُم لم يبق غير العويل

* * *

الواجب على كل موهوب ومسلوب أن لا يزال في اللجأ إلى الله ،
والاستغاثة على قدم الدءوب ، أما الموهوب فيزداد ولا يسلب ، أما المسلوب قليلاً
يدوم .

ولكي توهب ، لا تذهب عن باب مولاك ، فما للعبد عن باب مولاه
مذهب ، لا تركب غير سفينة الكتاب والسنة ، فما لطالب السلامة بسواهما
مركب .

لا تشرب من غير حوض الشرع، فليس في القيامة غير حوض الشرع مشرب.

لا تستعذب غير طعم الإيمان، فما عذبٌ سواه إلا وهو منه أعذب.

كل المطالب وإن طال المدى تُسلب، إلا الهدى والتقى فاجعلهما المطلب؛ بالهدى استقام السالكون على الطريق؛ وبالتقى يخلص المتورطون من حلق المقبر؛ وبالورع سمت للمتقين تقواهم، وبالزهادة تخلصوا من شواغل دنياهم لعبادة مولاهم.

فمن زهد وتورّع واتقى، فقد ارتقى من مقاعد الصدق كل مرتقى.

فأما التقوى فذكرها كثير في القرآن لفظاً ومعنى.

وأما الورع والزهد فمدحهما والأمر بهما كثير لا باللفظ لكن بالمعنى.

فكل ما في القرآن من ذم الدنيا فهو مدح للزهد، وكل ما فيه من الأمر بالثبّت والتيقن فهو أمر بالورع.

فليتجنب المؤمن العاقل البصير القليل من مشتبهات الأمور، والقليل والكثير من الحرام. وليعلم أن بين يديه حساباً دقيقاً وحساباً طويلاً، ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾^(١).

* * *

تُمسي وتُصبحُ عن الطّاعات مَعْمُولاً لا تستطيع عن السُّوءاتِ تحويلاً
كم ذا تُجَازِفُ مَنطوقاً ومفعولاً وكل ذا عنه العبدُ مسئولا

* * *

(١) سورة الإسراء الآية ٣٦.

كم من قد سلك طريقاً يظنه واعراً، وكم من قد شرب صافياً يحسبه حلواً
فإن مرأ؛ بئنا هو شارب خمرأ، وساكن قصرأ: إذ صار الخمر جمرأ، والقصر
قبرأ، ﴿وكأين من قرية عنت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً
وعذبناها عذاباً نكراً فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً﴾ (١).

وكلما يُرى من أهوال يوم القيامة ما لأحد مطمع منه في السلامة إلا من أتى
الله بقلب سليم، إذا أدركته مراحم العزيز الرحيم.

فأحكموا من اليوم صنع مركب المسير، فبين أيديكم بحر عميق، مسافة
قطع ذلك اليوم العسير. واجعلوا التقى والورع مساميره، وصدق العزيمة
واخلاص النية شراعه وملاحه، والخوف المزعج، والشوق المقلق مقاذيفه
ورياحه. فما دامت الريح لكم طيبة فاغتنموا إلى الله المسير، وإن جاءكم ريح
عاصف فاستعينوا باللطيف الخبير، فنعم المغيث ونعم المجير.

* * *

<p>غير أن يَرْحَمَ اللطيف الخبير أو أكن عاجزاً فأنت قدير وما سواك مُجِير مُجِيرٌ بغوثه يستجير يا غنيُّ ارزقني فإنني فقير بإيك يُجبر المكسور مُستضامٌ مُستضعفٌ مقهور وأنا اليوم مُبعدٌ مهجور ومالي سواك مُجِير</p>	<p>مالضعفي من الخُطوب مُجِيرُ إن أكن جاهلاً فأنت عظيمُ قد أحاطت المخاوف من كلِّ النواحي ليس للبعد غير مولاهُ في الكرب يا قويُّ ارحمني فإنني ضعيفُ كَسَرَتْ قلبي الذُّنوب وفي أنا أشكو إلى مَعَالِيكَ أني كنت عن حضرة الوصال قريباً مَسْنِي الضُرِّ من قريني ومن نفسي</p>
---	--

(١) سورة الطلاق الآية ٨.

رَبِّ هَبْ عَلَيْهَا مِنْكَ نَصْرًا أَنْتَ نَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرُ

* * *

ما انتصر المحارب في مواطن حربه بمثل التغوث بمراحم ربه وتصحيح
العزيمة على التوبة من ذنبه .

والمُتَغَوِّثُ بالرب محتاج إلى صدق التوجه واللجاء، والتائب من الذنب
مفتقر إلى صحبة أهل الورع والتقوى .

وإنما يتمكن من الورع من هو زاهد في الدنيا، لأن حبها لا يدعك تتورع
مما فيه شبهة، إذا كان في تناوله شهوة .

فتدرّع يدرع الزهد في الشهوات، وإتق ربك بترك المحرمات وأداء
المفترضات، وتحجب إليه بما أطعت من فعل المستحبات، فحينئذ نوفيكَ على
أبوابه، ونقرّبكَ من جنابه، ويدخلكَ في جملة أحبّابه، فإن سألته أعطاك، وإن
دعوتَه لبّاك، وإن استنصرته على عدوك نصركَ، وإن اعتذرت إليه من تقصيركَ
عذرَكَ، وكان سمعكَ الذي تسمع به، وبصركَ الذي تبصر به، آخذ بيدك كلما
عشرت، مغنياً لفاقتك كلما افتقرت، إن أسأت عاملك بالغفران، وإن أحسنت
ضاعف لك الإحسان . هذه معاملة الله لأهل التقى والورع، فهل أنت ممن إذا
وعظ أصغى واستمع؟ وبما فهم من الحكمة والموعظة انتفع؟ أم أنت ممن همّه
النوم والشبع؟ إذا جاءه النهار رعى ورتع، وإذا جاءه الليل التف واضطجع .

* * *

وَمِيضُ الْمَوْتِ قَدْ لَمَعَا	مِنْذُ صُبْحِ الضُّوءِ قَدْ سَطَعَا
مَعَ بِالْإِنْذَارِ حِينَ دَعَا	وَمُنَادَى الْحَقِّ قَدْ مَلَأَ السَّ
طَاعَةَ الدَّاعِي وَقَدْ سَمِعَا	أَيُّ عُدْرٍ لِلْمَقْصُرِ فِي

ما لجسمي لا يذوبُ أسيَّ	ما لطرفي بعدهم هجما
ما لقلبي حين أسمعُه	سائقُ الإطْعان ^(١) ما انصدعا
كان حَقِّي أن ترى كَيْدِي	يوم سَارُوا إِثْرَهُمْ قطعاً
أخْبِرُوهُمْ أن عبدهم	حدّه للبين قد ضرعا
كان لي مجدٌ بقربهم مُدّ	باءوا عن ناظري اتضعاً
كان لي شمل فشتّه	صارخ التفريق حين نعى
يا لها صرخة ملأت	كل قلب ذاقها وجعا
اهبطوا منها نقف فرحاً	بعدها للصب ما رجعا
ما بقي غير البكاء إلى	أن يعود الشمل مجتمعا

* * *

يا عباد القريب المجيب، أقدرُوا قدر فراق الحبيب. كنتم في نعيم حين كنتم في جواره ثم صرتم في شقاء.

ضجّوا تحت سياط الهجر، وعجّوا وألحوا في طلب الوجل ولجّوا، صلوا وصوموا وتصدّقوا وحجّوا، واحذروا أن تبعثوا في جملة الهالكين، فأقل الناس من ينجو.

بعث للنار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، فلم يبق للجنة إلى عُشر عُشرنا^(٢)، ولعلمهم المتقون الورعون، الذين للقرآن مستمعون، وبما سمعوا منه

(١) «الإطعان» السير والترحل.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: «يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد». قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف». ثم قال: «والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة». فكبرنا. فقال: أرجو أن تكونوا =

منتفعون، إذا اتضع غيرهم في وهاد المعصية فهم إلى ذرى الطاعة مرتفعون، وإذا تفرق غيرهم في شعاب الضلال فهم إلى شعب الهدى مجتمعون.

* * *

لله قومٌ تواصوا بالصَّبر في طلب العُلَى على الورع والتقوى والزُّهد مُجتمعون
يُتلى القرآن عليهم فيُحضرون قلوبهم مُصغون نحو التالي إليه مُستمعون
يُسارعون إلى ما فيه الرِّضا من ربِّهم ويَقبلون النصائح والكلام يعون
لم يعلموا ليقولوا بل يعملون ليعملوا فهم لصدق النِّية بالعلم مُنتفعون
سَمُّوا إلى المجد لَمَّا دعاهم دَاعِي الهدى فهم مدى الدَّهر فيه راقون مُرتفعون
إذا دُعوا للدُّنيا تمنعوا ولا ترفعوا لكنهم للعلي ذي الجلال مُنصعون^(١)
يا لهلف رُوحِي عليهم يا شوق قلبي إليهم حازوا وصال المولى ونحن منقطعون
اللهم.. لا تقطع بنا دون الاتصال بك، ولا تصرنا عن توجُّه أهل التوحيد إليك.

وأدخلنا في أهل التقى والورع والزهد والعبادة.

-
- ثلث أهل الجنة». فكبرنا. فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبرنا فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود».
- * [٦٠ كتاب الأنبياء ٧ باب قصة يأجوج ومأجوج، ٦٠٥ كتاب التفسير. سورة الحج، ٨١ كتاب الرقاق ٤٦ باب إن زلزلة الساعة شيء عظيم، ٩٧ كتاب التوحيد ٣٢ باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ... طرفه﴾ وأخرجه أيضاً في الرقاق من حديث أبي هريرة باب الحشر].
- * وأخرجه مسلم من حديث أبي سعيد في الإيمان رقم ٣٧٩ باب بعث النار، وأخرج من حديث عبد الله بن عمرو في كتاب الفتن وأشراف الساعة في باب خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وقتله إياه وفي آخره ذكر بعث النار تسعمائة... رقم ١١٦.
- * وأخرجه الترمذي من حديث عمران بن حصين في كتاب التفسير باب سورة الحج وقال: حسن صحيح.
- * وأخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن مسعود: (٣٨٨/١)، ومن حديث عبد الله بن عمرو (١٦٦/٢) ومن حديث أبي سعيد (٣٢/٣، ٣٣)، ومن حديث عمران بن حصين (٤/٤٣٢)، (٤٣٥).

واجعل موتنا من كل شرّ راحةً، وحياتنا من كل خير زيادةً، برحمتك يا
أرحم الراحمين .

وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيّين وعلى آله وصحبه أجمعين .
وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وآل كلّ وسائر الصالحين .
وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .
ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .
وحسبنا الله ونعم الوكيل .
آخره والله أعلم .

[تمّ بحمد الله]

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- مراجع التحقيق
- فهرس الموضوعات

فهرست الآيات القرآنية

الآية	رقم	الآية	الصفحة
		سورة البقرة (٢)	
٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٢١١	
٧	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٢١١	
٢٨	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ . . . تَرْجِعُونَ﴾	٢١٣	
٣٨	﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٥٢	
٢٦١	﴿مِثْلَ الَّذِينَ يَنْقُوتُ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . . وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾	١٩٦	
٢٠١	﴿. . . رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٢٧	
٢٣٨	﴿. . . وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	١٣٧	
٢٥١	﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ . . . الْعَالَمِينَ﴾	١٩٦	
٢٦١	﴿مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفَقُونَ . . . وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ﴾	١٩٦	
		سورة آل عمران (٣)	
٨١	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ . . . مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾	١١١	
١٠٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٢٣	
		سورة النساء (٤)	
٧٧	﴿. . . قَلِيلٌ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾	٢٤٤	

سورة المائدة (٥)

- ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء... العالمين﴾ ٢٠
- ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ ٢١
- ﴿قال رجلان من الذين يخافون... مؤمنين﴾ ٢٣
- ﴿قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً... فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ ٢٤

سورة الأنعام (٦)

- ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة... لا يؤمنون﴾ ١٢
- ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون﴾ ٤٣

سورة الأعراف (٧)

- ﴿... يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره... رب العالمين﴾ ٦٩
- ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون﴾ ١٣٠

سورة الأنفال (٨)

- ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا...﴾ ١٥
- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ ٢٧

سورة التوبة (٩)

- ﴿... وإن خفتهم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله...﴾ ٢٨
- ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق... المتقين﴾ ٣٦

- ﴿... وقاتلوا المشركين كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ ٣٦
- ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة...﴾ ١٣٠
- ﴿... ومن أوفى بعهده من الله...﴾ ١١١
- ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون... وبشر المؤمنين﴾ ١١٢

سورة يونس (١٠)

- ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد... يعلمون﴾ ٥
- ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه...﴾ ٦١

سورة هود (١١)

- ﴿آل كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ ٩٣
- ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لکم منه نذير وبشير﴾ ٩٣
- ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ ٩٣
- ﴿... وإن تتولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ ٩٤
- ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ ٩٥

سورة إبراهيم (١٤)

- ﴿آل كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ ١٦٢
- ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد﴾ ١٦٢
- ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويغفونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد﴾ ١٦٢

سورة الحجر (١٥)

٩٢	﴿فوريك لنسألهم أجمعين﴾	٧٣
٩٣	﴿عما كانوا يعملون﴾	٧٣

سورة الإسراء (١٧)

١	﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾	١٨٨
١٣	﴿وكل إنسان ألزمناه طائفة في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً﴾	١٢٥
١٧	﴿... وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾	٩٠
٣٦	﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾	٢٦٦
٦٢	﴿... أرايتك هذا الذي كرمت عليّ...﴾	٣٦

سورة مريم (١٩)

٧٨	﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الله عهداً﴾	٢٢٧
----	-------------------------------------	-----

سورة طه (٢٠)

٧	﴿... يعلم السر وأخفى﴾	٧٧
---	-----------------------	----

سورة الأنبياء (٢١)

٢٣	﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون﴾	٢١٥
----	--------------------------------	-----

سورة الحج (٢٢)

٧٨	﴿وجاهدوا في الله حق جهاده...﴾	٢٥٢
----	-------------------------------	-----

سورة المؤمنون (٢٣)

١٠٨	﴿... اخشوا فيها ولا تكلمون﴾	١٤٥
-----	-----------------------------	-----

سورة النور (٢٤)

٦٣	﴿... فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾	٧٣
----	---	----

سورة الفرقان (٢٥)

- ٢٤ ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾ ٨٥
٥٤ ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ ٩١

سورة الشعراء (٢٦)

- ٢١٩ ﴿وتقبلك في الساجدين﴾ ٧٦

سورة القصص (٢٨)

- ٣٨ ﴿... لعلني أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ ٣٦
٦٩ ﴿... يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ ٧٧

سورة الروم (٣٠)

- ٧ ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ ١٠٢ - ١٦٣
١٧ ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ ١٢٩
١٨ ﴿وله الحمد في السموات والأرض ومشيأً وحين تظهرون﴾ ١٢٩
١٩ ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾
٢٥ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾

سورة فاطر (٣٥)

- ٤٤ ﴿... وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض﴾ ٢٢
إنه كان عليماً قديراً ﴿

سورة الصافات (٣٧)

- (٨ - ٩) ﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً...﴾ ١١٧

سورة الزمر (٣٩)

- ٥٤ ﴿وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾ ١٢٦

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتَ لِمَنْ
السَّاحِرِينَ﴾ ٥٦ ٢٥٤

سورة غافر (٤٠)

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ
الْمَصِيرُ﴾ ٣ ١٨٥

﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ٦٠ ١٤٤

سورة فصلت (٤١)

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ٣٥ ٢٢٩
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ٤٢ ٨٠

سورة الشورى (٤٢)

﴿وَلَوْ سَظَّ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ . . . بِصِيرٍ﴾ ٢٧ ٦٣

سورة الزخرف (٤٣)

﴿فَذَرِهِمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا . . .﴾ ٨٣ ٢٤١

سورة الجاثية (٤٥)

﴿. . . سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٢١ ٢٤٢

سورة محمد (٤٧)

﴿. . . ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَلْوَا بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ﴾ ٤ ٢٠١

﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ٣٨ ٨٩
﴿يَكُونُوا أَمْثَالَكُمُ﴾

سورة ق (٥٠)

﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
حَدِيدٌ﴾ ٢٢ ٢٤٢

سورة الواقعة (٥٦)

١٧ - ٢١ ﴿يطوف عليهم ولدان مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ...﴾ ١٢٠

سورة الحديد (٥٧)

- ١ ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٧٥
- ٢ ﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٧٥ - ١٥٧
- ٣ ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٧٥
- ٤ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾ ٧٥
- ٤ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا...﴾ ٧٦
- ٤ ﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا تَكُونُوا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٧٦
- ٥ ﴿لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٧٦
- ٦ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ...﴾ ٧٦
- ٦ ﴿... وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٧٧
- ٢٠ ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُو زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ... الْغُرُورِ﴾ ٢٤١

سورة الطلاق (٦٥)

٨ ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرَسَلَهُ فَحَاسِبْنَاهَا حَسَاباً شَدِيداً﴾ ٢٦٧

وَعَذَبْنَاهَا عَذَاباً نَكِراً﴿

سورة الملك (٦٧)

- ١ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦
- ٢ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ١٠٦

سورة المعارج (٧٠)

٤ ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ١٨٥

	سورة الانسان (٧٦)	
٩٢	﴿متكئين على الارائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً﴾	١٣
	سورة النازعات (٧٩)	
٢١	﴿... أنا ربكم الأعلى﴾	٢٤
	سورة الفجر (٨٩)	
١٤٩	﴿يا أيها النفس المطمئنة﴾	٢٨
	سورة القدر (١٠١)	
٢١٧	﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وما أدراك... ﴿	٥ - ١

فهرست الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم طرف الحديث	الصفحة
١	اتق دعوة المظلوم فإنه ليس
٢	أخلص دينك يكفك
٣	ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا
٤	إذا انصرف من صلاة المغرب فقل : اللهم أجرني
٥	إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع
٦	إذا ركع أحدكم فليقل في ركعته سبحان ربي العظيم
٧	إذا كان يوم القيامة صارت أمي ثلاث فرق فرقة
٨	إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا
٩	أرأيتم سليمان بن داود عليه السلام وما أعطاه الله
١٠	أربع تجري عليهم أجورهم بعد الموت رجل مات
١١	أقرب ما يكون العبد من الرب في جوف الليل
١٢	التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير
١٣	إن بين الله وبين الخلق أربعين ألف حجاب
١٣م	إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
١٤	إن الله أذل ابن آدم بالموت
١٥	إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقربه
١٦	أيها الناس إنه لم يبق من
١٧	ثلاثة لا تسأل عنهم رجل
١٨	الدعاء مخ العبادة
١٤٣	

١٩	الدعاء هو العبادة	١٤٣
٢٠	دون الله تعالى سبعون ألف حجاب	٧٧
٢١	السائحون هم الصائمون	١٣٣
٢٢	سياحة أمتي الصيام	١٣٣
٢٣	صلاة أحدكم وهو قاعد	١٣٦
٢٤	العلماء ورثة الأنبياء	٥٥
٢٥	كل كلام أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله	١٩
٢٦	لا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة	١٤٢
٢٧	لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين	١٢٣
٢٨	ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله	١٤٣
٢٩	ما من دعوة أسرع إجابة من دعوة	١٤١
٣٠	ما من رجل يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل	٩٧
٢١	ما من عبد يرفع يديه حتى يبدوا بياض	١٤٣
٢٢	ملعونة هي الدنيا ملعون ما فيها	٨٦
٢٣	من حج بمال حرام فقال لبيك . قال الله له : لا لبيك	١٢٤
٢٤	من سبح في دبر صلاة الغداة	١٦٥
٢٥	من سره أن يستجيب الله له عند	١٤٠
٢٦	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً	٥٥
٢٧	من قال إذا أصبح وإذا أمسى رضيت بالله	١٦٦
٢٨	من قال حين يأوي إلى فراشه استغفر الله	١٤٢
٢٩	من قال حين يصبح بسم الله الذي لا يضر	١٦٦
٣٠	من قال حين يصبح فسبحان الله حين	١٦٧
٣١	من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجله	١٦٦
٣٢	من كان في قلبه آية من كتاب الله	٨١
٣٣	من لم يدع قول الزور	١٢٤
٣٤	من لم يسأل الله غضب الله عليه	١٤٣
٣٥	من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين	٥٥

٥١	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ	٣٦
١٢٥	يؤتى بجهنم يوم القيامة تقاد	٣٧
١٢٦	يؤتى بجهنم حتى توقف عن يمين العرش	٣٨
٩٥	يا أيها لناس أخلصوا أعمالكم	٣٩
١٨١	يا بلال الت الله فقيراً	٤٠
٢٦٩	يقول الله تعالى يآدم	٤١

مراجع التحقيق

● القرآن الكريم ودراساته :

المصحف الشريف .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

تفسير ابن كثير

زاد المسير - لابن الجوزي . المكتب الاسلامي طبعة أولى سنة ١٩٦٨

تفسير الطبري دار المعرفة ١٩٨٠

● الحديث ودراساته :

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . لجمع من المستشرقين ترجمة محمد فؤاد

عبد الباقي مطبعة بريل بلندر ١٦٥

مفتاح كنوز السنة - لفنسنك . ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة معارف لاهور ١٩٧٧

تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف

فهرست أحاديث المسند - لأبي هاجر سعيد زغلول . دار الكتب العلمية طبعة أولى ١٩٨٥

فتح الباري بشرح صحيح البخاري

صحيح مسلم بشرح النووي

سنن أبي داود

سنن النسائي بشرح السيوطي

جامع الترمذي

سنن ابن ماجة

سنن الدارقطني

سنن الدارمي

سنن ابن ماجة بشرح السندي
عون المعبود بشرح سنن أبي داود
مسند الإمام أحمد - المكتب الاسلامي
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للهيثمي
الأدب المفرد - للبخاري
فضل الله الصمد
شرح السنة للبغوي
المستدرک - للحاكم
السلسلة الصحيحة - للألباني .
السلسلة الضعيفة - للألباني
اللؤلؤ والمرجان - محمد فؤاد عبد الباقي
الترغيب والترهيب - للمنذري
عمل اليوم والليلة لابن السني
موارد الظمآن
الزهد لابن أبي عاصم
جمع الجوامع - للسيوطي
صحيح الجامع الصغير - للألباني
الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني
ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - للألباني
زاد المعاد - لابن القيم
تخريج السنة: للألباني
الكامل في الضعفاء - لابن عدي
○ كتب العقيدة والوعظ واللغة وكتب الرجال
التوحيد لابن خزيمة
شرح القصيدة الطحاوية
بستان الواعظين - لابن الجوزي
التبصرة - لابن الجوزي

لسان العرب - لابن منظور
تقريب التهذيب - لابن جرير
تهذيب التهذيب - لابن حجر

فهرست الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
● مقدمة التحقيق	٥ - ٦
● ترجمة المؤلف	٧ - ٩
● وصف المخطوط	١١ - ١٢
● المقدمة	١٧ - ٢٠
● المجلس الأول :	٢١ - ٣٤
- نعم الله تستوجب شكره	٢١ - ٢٤
- الزهد في الدنيا وطلب الآخرة	٢٤ - ٢٥
- صفات الفائزين	٢٥ - ٢٦
- مجالس الذكر ولحظات القرب وساعات الغفران	٢٦ - ٢٨
- دعاء وثناء وابتهاال	٢٨ - ٣٠
- الممتقون محبوبون في الدنيا فائزون في الآخرة	٣٠ - ٣٢
- مقارنة بين حال الغافلين وحال المستيقظين	٣٢ - ٣٣
- رؤيا عن الجنة ونعيمها	٣٣ - ٣٤
● المجلس الثاني :	٣٥
- أربع من المهلكات	٣٥
أولاً: الكفر	٣٥
ثانياً: البدعة	٣٦
ثالثاً: الغفلة	٣٦
رابعاً: حب الدنيا	٣٦ - ٣٧

٣٧	- زاد المحبين إلى رب العالمين
٣٧	- التضرع بالدعاء عند نزول البلاء
٣٩ - ٣٨	- الأمن والسلام في جناب الله والخوف والذل في البعد عنه
٤٠ - ٣٩	- الله يحيي القلوب الميتة بذكره كما يحيي الأرض بغيثه
٤٢ - ٤٠	- حفظ رأس المال مقدم على الربح
٤٤ - ٤٢	- يا طلاب الجنة أقبلوا
٥٧ - ٤٥	● المجلس الثالث
٤٦ - ٤٥	- من فضائل القرآن
٤٨ - ٤٦	- العالم حذر والعارف متيقظ
٥٠ - ٤٨	- تنبيه الغافلين إلى جنة رب العالمين
٥١ - ٥٠	- الطريق إلى الله
٥٢ - ٥١	- الصحة والفراغ
٥٣ - ٥٢	- سبل الأنام إلى دار السلام
٥٥ - ٥٣	- الداء والدواء
٥٧ - ٥٥	- فضل العلم والعلماء
٦٢ - ٥٨	● المجلس الرابع
٥٨	- دعاء
٥٩ - ٥٨	- استغاثة
٦٠ - ٥٩	- من شروط الذكر
٦١ - ٦٠	- جزاء المنقطعين إلى الله
٦٢ - ٦١	- معرفة الله بأصول ثلاثة
٦٨ - ٦٣	● المجلس الخامس
٦٥ - ٦٣	- حكمة الله
٦٧ - ٦٥	- جزاء المخالفين لأمر رب العالمين
٦٨ - ٦٧	- دعاء
٧٤ - ٦٩	● المجلس السادس
٧٠ - ٦٩	- سبحان الله

٧١ - ٧٠	- تأنيب للغافلين
٧٢ - ٧١	- مناصحة جليلة
٧٤ - ٧٢	- متاع الدنيا قليل
٨٢ - ٧٥	● المجلس السابع
٨٢ - ٧٥	- في التفسير وفصائل القرآن وحملته
٨٩ - ٨٣	● المجلس الثامن
٨٦ - ٨٣	- متابعة الرسول ﷺ
٨٩ - ٨٦	- ذم الدنيا
٩٩ - ٩٠	● المجلس التاسع
٩٢ - ٩٠	- تسبيح وحمد وثناء
٩٦ - ٩٣	- تفسير أوائل سورة هود
٩٩ - ٩٧	- مدح التواضع وذم الكبر
١١٠ - ١٠٠	● المجلس العاشر
١٠٢ - ١٠٠	- غوائل الشيطان
١٠٤ - ١٠٢	- أسباب الغفلة
١٠٥	● المجلس الحادي عشر
١٠٩ - ١٠٥	- ذكر الموت
١١٠ - ١٠٩	- نور العارفين
١١٢ - ١١١	● المجلس الثاني عشر
١١٢ - ١١١	- الميثاق
١٢١ - ١١٣	● المجلس الثالث عشر
١١٦ - ١١٣	- يوم الوعيد
١١٧ - ١١٦	- من خصائص الذكر
١١٩ - ١١٨	- فضل الاستغفار
١٢١ - ١١٩	- من لوازم الذكر
١٢٨ - ١٢٢	● المجلس الرابع عشر
١٢٥ - ١٢٢	- التقوى

- صفة جهنم ١٢٥ - ١٢٨
- المجلس الخامس عشر ١٢٩ - ١٣٥
- جزاء التائبين ١٢٩ - ١٣١
- مصير من مات بغير توبة ١٣١ - ١٣٢
- تفسير آية من سورة التوبة ١٣٢ - ١٣٥
- المجلس السادس عشر ١٣٦ - ١٤٦
- صلاة القاعد ١٣٦ - ١٣٧
- الذكر المقبول ١٣٨ - ١٣٩
- من كلام المصطفى ﷺ في فضل الدعاء وبعض الأدعية ١٤٠ - ١٤٤
- حكم ومأثورات ١٤٥ - ١٤٦
- المجلس السابع عشر ١٤٧ - ١٥٥
- من كلام السلف ١٤٧ - ١٥٢
- موعظة في تعليم القرآن ١٥٢ - ١٥٥
- المجلس الثامن عشر ١٥٦ - ١٧٢
- تفسير آية ١٥٦ - ١٦٣
- في الأذكار والدعوات ١٦٤ - ١٦٧
- من أقوال السلف ١٦٧ - ١٧٠
- دعوة المظلوم ١٧٠ - ١٧١
- من مهمات الطالب ١٧١
- حشرات المحرومين ١٧٢
- المجلس التاسع عشر ١٧٣ - ١٨٤
- تفسير آية من سورة التوبة - عدة الشهور ١٧٣ - ١٧٦
- أهل المحبة ١٧٦ - ١٨٢
- صحبة المعلمين ١٨٣
- قطاع الطرق على السالكين إلى رب العالمين ١٨٣ - ١٨٤
- المجلس العشرون ١٨٥ - ١٩٣
- الإسراء معناه وأسراؤه ١٨٥ - ١٩٣

٢٠٨ - ١٩٤	● المجلس الحادي والعشرون
٢٠٨ - ١٩٤	- في الجهاد وأهميته
٢١٤ - ٢٠٩	● المجلس الثاني والعشرون
٢١٤ - ٢٠٩	- أهل الإيمان واليقين والتقوى
٢٢٢ - ٢١٥	● المجلس الثالث والعشرون
٢٢٢ - ٢١٥	- تفسير سورة القدر
٢٣١ - ٢٢٣	● المجلس الرابع والعشرون
٢٣١ - ٢٢٣	- طلب الوصال
٢٣٥	● مواعظ
٢٣٨ - ٢٣٥	١ - موعظة في انتظار الفرج
٢٤٣ - ٢٣٩	٢ - موعظة في ذم الملاهي
٢٤٧ - ٢٤٤	٣ - موعظة في الزهد والقناعة
٢٥١ - ٢٤٨	٤ - موعظة في اليقين
٢٥٦ - ٢٥٢	٥ - موعظة في الاجتهاد في الأعمال
٢٥٨ - ٢٥٧	٦ - موعظة فيما يقال في الأوقات
٢٦٣ - ٢٥٩	٧ - موعظة في التقوى
٢٧١ - ٢٦٤	٨ - موعظة في الورع
٢٧٥	● فهرس الآيات القرآنية
٢٨٣	● فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٢٨٧	● مراجع التحقيق